

وزارة الثقافة

المخار من التراث العربي

(٧٣)

مِنْ

تَشْرِيفُ اللَّهِ عَلَيْهِ

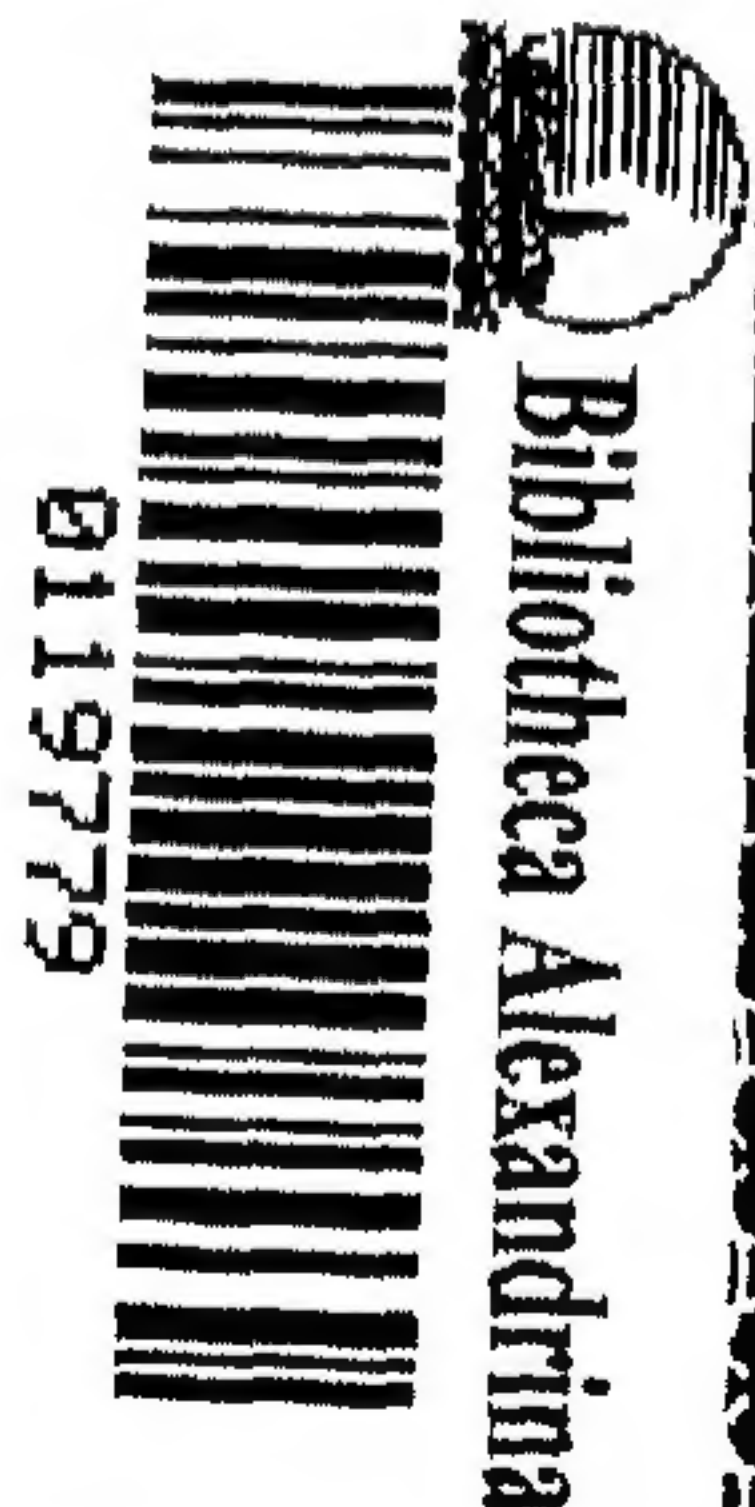
لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْسَنِ الْإِنِّي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السُّفْرُ الثَّلَاثُ

اختار له قصص وقدم لها وعلق عليها

منظر راجحي



المرافق الفني : زهير الكوسه

من نثر الدر
السفر الثالث

الهيئة العامة لـ	الأوسنة
رقم التخصيص
رقم التسجيل	١٠٠

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
الْمُخْتَارِ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
٧٣

مِنْ

تَشْرِيفُ الدِّكْرِ
٧٣

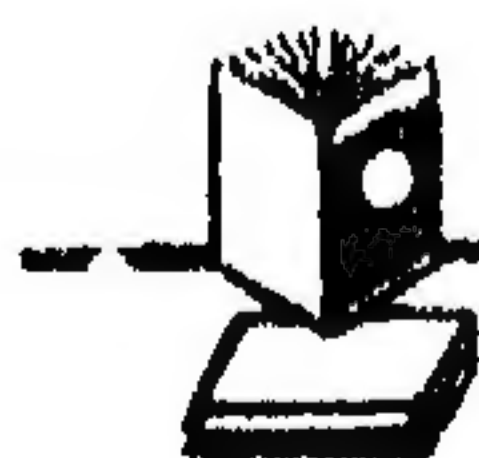
لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَسِينَ الْإِبِّي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السَّفَرُ الثَّالِثُ

اختار لنصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر راجحي



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجبي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج ٢٠ سم. -
(المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان ٣- أبو سعد الأبي
٤- الحجبي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الرابع

(«) من الجزء الرابع من « نثر الدر » وقد تقدمت الأبواب الثلاثة
في السمر الثاني من هذه الاختيارات .

نُكِيتٌ من كلام الحكماء

قيل لبعضهم : أخرج هذا الغم من قلبك . فقال :
ليس بإذني دخل

قال رجل لشبيب بن شيبّة (١) : أذا والله أحبُّك
يا أبا معبد . قال : أشهدُ على صدقك . قال : وكيفَ
ذاك ؟ قال : لأنك لست بجارٍ قريبٍ ، ولا ابنِ عمٍّ
نسبيٍّ ، ولا مُشاكِلٍ في صناعة .

وقالوا : صاحبُ السوءِ قطعةٌ من النار . ولذلك
لما قال القائل : ما رأينا في كلِّ خيرٍ وشرٍّ خيراً من
صاحبٍ . قال الآخر : ولا رأينا في كلِّ خيرٍ وشرٍّ شراً
من صاحب .

(١) شبيب بن شيبّة المنقي البصري ، فصيح بليغ إخباري
توفي سنة ١٦٢ هـ .

قال بعضهم : العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنَّه كان جاهلاً ،
والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ لأنَّه لم يكنُ عالماً .

سُئِلَ بعضهم عن الغِنَى فقال : شرٌّ مَحْبُوبٌ .
وعن الفقرِ فقال : مُلْكٌ ليس فيه مُحَاسِبَةٌ .

الفرصةُ ما إذا حاولتَه فأخطأك نفعُهُ لم يصلُ إليك
ضرُّه .

بلوغُ أعلى المنازلِ بغيرِ استحقاقٍ مِن أكبرِ أسبابِ
الهَلَكَةِ .

كلُّ شيءٍ يَعرِزُ إذا قَلَّ ، والعقلُ كما ما كان أكثرَ
كان أعزَّ وأغلى .

.. قال عامرُ بنُ عبدِ القيسِ (١) : الكلمةُ إذا خرجتُ
من القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وإذا خرجتُ من اللسانِ لم
تجاوزِ الأذانَ .

قالوا : مَقْتُلُ الرَّجُلِ بينَ لِحْيَتَيْهِ .

(١) عامر بن عبد قيس العبدي ، تابعي ، هو الذي علم أهل البصرة
القرآن وتوفي حوالي سنة ٥٥ هـ .

التَّشَبُّهُتُ نَصْفُ الْعَفْوِ .

قال أكرم : الكرمُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ . واللُّؤْمُ سُوءُ
التَّخَافُلِ .

قيل : أسوأ الناسِ حالا من اتَّسعت معرفته ، وبعُدَت
هَيْبَتُهُ ، وضاقَت مَقْدَرَتُهُ .

كان عبدُ الملكِ بنُ الحِجَاجِ يقول : لأنا للعاقلِ
المُدبِرِ أَرْجَى مِنِّي لِأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ .

وقالوا : أمرانِ لا ينفكَّانِ مِنَ الْكُذْبِ : كَثْرَةُ
المواعيدِ وشِدَّةُ الاعتذارِ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ (١) : السَّفَرُ ثَلَاثُ عَتَبَاتٍ ،
فأولُّها : الْعِزْمُ ، والثَّانِيَةُ : الْعُدَّةُ ، والثَّالِثَةُ : الرَّحِيلُ ،
وأشدُّهنَّ الْعِزْمُ .

قال أكرمُ بنُ صَيْفِيٍّ : الْعَافِيَةُ الْمَلِكُ الْخَفِيُّ .

وقال الفضلُ بنُ سَهْلٍ : لَيْسَتْ الْفُرْصَةُ إِلَّا مَا إِذَا
أَخْطَأَكَ نَفَعَهُ لَمْ يَنْلِكَ ضَرَرُهُ .

(١) خالد بن صفوان أحد فصحاء العرب ، توفي بعد سنة ١٢٠ هـ .

قالوا : سوءُ حاملٍ الغني يورثُ مَقْتاً ، وسوءُ
حاملٍ الفاقة يَضَعُ شَرَفاً

وقال أكرمُ : مَنْ جَزَعَ على ما خرج من يده فليَجْزَعْ
على ما لم يصلِ إليه

قال بعضهم : ظَفَرُ الكريمِ عَفْوٌ ، وعَفْوُ اللئيمِ
عَقُوبَةٌ .

كان يقال : لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرٍ ناله
عاجزٌ ، ولا يرغب في التَضْييعِ لنكبةٍ دخلتْ على محازمٍ .
وكان يقال : ليس من حُسْنِ التوكُّلِ أن تُقالَ "عَشْرَةٌ"
ثمَّ يركبَها ثانية .

قيل : لولا الإغضاءُ والنسيانُ ، ما تعاشرَ النَّاسُ
الكثرةَ الأضغان .

قالوا : ثلاثٌ يرغبن العدو : كثرةُ العبيدِ ، وأدبُ
الولدِ ، ومحبةُ الجيرانِ .

يُقال : سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كاذباً نظيرُ
الموتِ ؛ لفسادِ دُنياه ، وإذا كان صديقاً أشدَّ من الموتِ
لفسادِ آخرته .

قالوا : يُرْضِي الكرامَ الكلامُ ، وَيُصَادُ اللّثامُ
بالمال ، وَيُسَبِّحُ النبيلُ بالإعظام ، وَيُسْتَصْبَحُ السّفْهَاءُ
بالهوانِ .

قالوا : أمران أنسُ بالنّهار ومحشّةٌ بالليل : المالُ
والبستانُ .

قالوا : لا يزالُ المرءُ مستمراً ما لم يعثر ، فإذا عثرَ
مرّةً في الحبّار (١) لجّ به العِثار ولو كان في جَدَد (٢) .

قال بعضهم : ما شَيْبَتْنِي السّنون ، لكنْ شُكْرِي مَنْ
أَحْتَاجُ أَنْ أَشْكُرَهُ .

قالوا : المتواضعُ كالوَهْدَةِ يجتمعُ فيها قَطْرُهَا
وقَطْرُهَا غَيْرُهَا ، والمتكبرُ كالرَّبْوَةِ لا يقرُّ عليها قَطْرُهَا
ولا قطر غيرُها .

يُقَالُ : إِنَّهُ لَا يَصْبِرُ وَيَصْدُقُ فِي اللِّقَاءِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ :
مُسْتَبْصِرٌ فِي دِينٍ ، أَوْ غَيِّرُ أَنْ عَلَى حُرْمَةٍ ، أَوْ مُتَعَصٍّ
مِنْ ذُلٍّ .

(١) الخبار : الأرض الناعمة .

(٢) الجدّد : الأرض المستوية .

قال بعضهم : في مجاوزتك مَنْ يَكْفِيكَ فَقْرٌ لَا مُنْتَهَى لَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنْهُ .

وكان يُقال : العفافُ زينةُ الفقيرِ ، والشُّكْرُ زينةُ الغني .

اعتذارٌ مِنْ مَنْعٍ خَيْرٌ مِنْ وَعْدٍ مِمَّطُولٍ .

خيرُ المِزَاحِ لَا يُنَالُ ، وَشَرُّهُ لَا يُقْتَالُ . وإنما سُمِّيَ مِزَاحًا لِأَنَّهُ أَزِيحٌ عَنِ الْحَقِّ .

اليأسُ مِنْ أَعْوَانِ الصَّبْرِ .

قيل لبعض الحكماء : أَيُّ الْأُمُورِ أَعْجَلُ عُقُوبَةً وَأَسْرَعُ لِمُصَاحِبِهَا صَرَعَةً ؟ قال : ظالمٌ مِنْ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَجَاوِرَةُ النِّعَمِ بِالتَّقْصِيرِ وَاسْتِطَالَةُ الْغَنِيِّ عَلَى الْفَقِيرِ .

يقال : مَنْ سَعَادَةُ الْمَرْءِ أَنْ يَضَعَ مَعْرُوفَهُ عِنْدَ مَنْ يَشْكُرُهُ .

قالوا : شَيْئَانِ لَا يُعْرَفُ ظَعْنُهُمَا إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهِمَا : العَافِيَةُ وَالشَّبَابُ .

نظر شابٌ إلى شيخٍ يقاربُ خطاه فقال له : مَنْ قَتَيْدَكَ ؟ قال : الذي تركته يفتلُ قَتَيْدَكَ .

قيل لشيخٍ قد ذهبَ منه المأكُلُ والمشربُ والمنكاحُ : هل تشتهي أن تموتَ ؟ قال : لا . قيل : ولِمَ ذاكَ ؟ قال : أحبُّ أن أعيشَ وأسمعَ الأعاجيبَ .

قيل لبعضهم : ما بالُ الشيخِ أحرصُ على الدنيا من الشابِّ ؟ قال : لأنه قد ذاقَ من طعمِ الدنيا ما لم يذوقه الشابُّ .

قالوا : الدِّينُ عُقْلَةُ الشَّرِيفِ ، ما استرقَّ الكريمَ أفظُّ من الدِّينِ .

اختصمَ رجلانِ إلى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (١) في النُّطْقِ والصمتِ : أيُّهما أفضلُ ؟ فقال : بماذا أُبَيِّنُ لكما ؟ فقالا : بالكلامِ . فقال : إذاً الفضلُ له .

وقيل لبعضهم : السكوتُ أفضلُ أمِ النُّطْقُ ؟ فقال : السكوتُ حتى يُمَحْتَاجَ إلى النطقِ .

(١) سعيد بن المسيب المخزومي المدني أحد الأعلام العلماء ، وفقهه المدينة جمع بين الحديث والفقه ، والورع . توفي سنة ١٩٤ .

قيل : العقلُ يأمرُك بالآتفعِ ، والمروءةُ تأمرُك
بالآجملِ .

قيل لبعضهم : ما جِماعُ العقلِ ؟ فقال : ما رأيتهُ
مجتمعاً في أحدٍ فأصِفَه ، وما لا يوجدُ كاملاً فلا حدَّ له .
قال الزُّهرِيُّ : إذا أنكرتَ عقلك فاقدهُ بعقلٍ .
وقيل : عظمتِ المؤونة في عاقل متجاهل ، وجاهلٍ
مُتعاقلٍ .

وقيل : إنك تحفظُ الأحقَّ مِن كُلِّ شيءٍ
إلا مِن نَفْسِهِ .

قيل لبعضهم : العقلُ أفضلُ أم الجَدُّ ؟ فقال :
العقلُ من الجدِّ .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره
وطاعةَ نفسه عليه ممتنعةٌ .

قيل لآخر : أتحبُّ أن تُهديَ إليك عيوبُك ؟ فقال :
أما من ناصحٍ فنعم ، وأما من شامتٍ فلا .

قيل لآخر : هل شيءٌ أضرُّ من التَّواني ؟ قال :
الاجتهادُ في غير موضعه .

وقيل : العجزُ عجزانِ عجزُ التقصيرِ . وقد أمكن الأمرُ ، والحدُّ في طلبه وقد فات .

وقيل لآخر : أسأتَ الظنَّ . فقال : إن الدنيا لمّا امتلأت مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حذرًا .

تأمل حكيمٌ شَيْبَةً فقال : مرحباً بزهرةِ الحينكةِ ، وثمرَةِ الهدى ، ومقدِّمةِ العفةِ ، ولباسِ التقوى .

قيل : لا يسود الرجلُ حتى لا يبالي في أيِّ ثوبيه ظهرَ .

سمع حكيمٌ رجلاً يدعو لآخرَ ويقول : لا أراك اللهُ مكروها . فقال : دعوتَ له بالموتِ فإنَّ من عاش لا بد له في الدنيا من مكروه .

قالوا : من صفاتِ العاقلِ ألاَّ يتحدثَ بما يُستطاعُ تكذيبه .

قيل لبعضهم : متى يُحَمَّدُ الكذبُ ؟ فقال : إذا قَرَّبَ بين المتقاطعين . قيل : فمتى يُذَمُّ الصّدقُ ؟ قال : إذا كان غيبية .

صَحِبَ رجلٌ آخرَ سيّئَةِ الخلقِ فلما فارقه قال : قد فارقتهُ وخلقهُ لا يُفارقهُ .

المُزاحُ فَحُتْلٌ لا يُسْتَجَّ إِلَّا الشَّرُّ .

المروءةُ التامةُ مُباينةُ العامة .

أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداءه ، وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك أذاه .

السَّفَلُ إذا تعلَّموا تَكَبَّرُوا ، وإذا تمولوا استطالوا ،
والعِلْيَةُ إذا تعلَّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالوا .

ثلاثٌ لا يُستصالحُ فسادُهُنَّ بشيءٍ من الحِيلِ :
العداوةُ بين الأقاربِ ، وتحاسدُ الأكفاءِ ، وركاكةُ
الملوكِ (١) .

قيل لحكيم : أي شيء مِّنْ أفعال العبادِ يُشبهه أفعالُ
اللهِ ؟ قال : الإحسانُ إلى الناسِ .

يُقال : السَّخِي شجاعُ القلبِ ، والبَخِيلُ شُجاعُ
الوجه .

البَخِيلُ يعيشُ عَيْشَ الفقراءِ ، ويحاسبُ مُحاسَبَةَ
الأغنياء .

(١) الركاكة : الضعف .

العزلةُ توفّرُ العرضَ ، وتستُرُ الفاقةَ ، وترفعُ
ثِقَلَ المكافأةِ .

ما احتنكَ أحدٌ قطُّ إلا أحبَّ الحلوةَ .

خيرُ الناسِ مَنْ لم تجربْهُ ، كما أنَّ خيرَ الدُّرِّ ما لم
تَشْقُبْهُ .

قيل : أجلُّ ما ينزلُ من السَّمَاءِ التوفيقُ ، وأجلُّ
ما يصعدُ إلى السماءِ الإخلاصُ .

قيل : كلُّ مالٍ لا ينتقلُ بانتقالِكَ فهو كَفِيلٌ (١) .

وقيل : ما دارُ مَنْ يشتاقُ إلى السَّفرِ بدارٍ سَلَامَةٍ .

قال حكيمٌ : مَنْ الذي بلغَ جَسِيماً فلم يبطِرْ ،
واتَّبعَ الهوى فلم يعطَبْ ، وجاورَ النِّساءَ فلم يفتنْ ،
وطلبَ إلى اللِّثامِ فلم يتهنَّ ، وواصلَ الأشرارَ فلم
يندامَ ، وصحبَ السُّلطانَ فدامتْ سلامتُه ؟ .

اثنانِ يهونُ عليهما كلُّ شيءٍ ؛ العالمُ الَّذي يعرفُ
العواقبَ ، والجاهلُ الَّذي يجهلُ ما هو فيه .

(١) كفيل : ضامن .

وقيل : شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تمنّيتَ لنزوله
الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدته أبغضتَ لفقده
الحياةَ .

لِيَتَكُنْ النَوَائِبُ مِنْكَ بِبَالٍ ، فَأَكْثَرُ الْمَكَارِهِ فِيمَا
لَمْ يُحْتَسَبْ .

قال سفيانُ : ما وضعَ أحدٌ يده في قصعةٍ غيرهِ
إلاّ ذلٌّ له .

وقال أبو حمزة السكّوني : قال لي أبو عبيدٍ الله :
من أكلَ من ثريدنا وطشينا رقبته .

قال رجلٌ لمعروف (١) : يا أبا محفوظ ، أتحرّكُ
لطلبِ الرّزقِ أم أجلسُ ؟ قال : لا بلْ تحرّكُ ، فإنّه
أصلحُ لك . فقال : أمثلك يقولُ هذا يا أبا محفوظ ؟
فقال : ما أنا قلتهُ ولا أمرتُ به ، ولكنّ الله تعالى قاله
وأمرَ به حيثُ قال لمريمَ : « وَهْزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ

(٢) معروف الكرخي صاحب الأحوال والكرامات أسلم على يد
علي بن موسى الرضا وتوفي سنة ٥٢٠٠ هـ .

النَّخْلَةَ تَسَاقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» (١) ولو شاء
أن يُنزلَه عليها بلا هزٍّ لفعلَ .

قال بعضهم : رأيت عِكْرِمَةَ بِبَابِ بَلَدٍ (٢) فقلتُ
له : ما جاء بك إلى ههنا ؟ فقال : بَنَاتِي .

قال وهبٌ : الدراهمُ خواتيمُ ربِّ العالمينَ بمعاشِ
بني آدمَ ؛ لا تُؤْكَلُ ولا تُشْرَبُ ، وأينَ ذهبتَ بخاتمِ
ربك قُضيتَ حاجتُكَ .

قيل لبعضهم : لِمَ تُحِبُّ الدراهمَ وهي تُدْنِيكَ
من الدنيا ؟ فقال : هي وإنْ أدنتني من الدنيا فقد صانَتني
عنها .

قيل لسُفْيَانِ بْنِ عُيَيْنَةَ (٣) : ما أشدَّ حُبَّكَ
للدَّراهمِ ! فقال : ما أحبُّ أن يكونَ أحدٌ أشدَّ حُبًّا
لما ينفعُه مِنِّي .

(١) سورة مريم : ٢٥ .

(٢) من أجمل مدن خراسان ، قيل بناها الاسكندر ، افتتحت في
أيام عثمان .

(٣) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الْهَلَالِي ، شيخ الحجاز وأحد أعلامه ، عابد
فقيه عالم توفي ١٩٨ هـ .

قيل لبعضهم : أين بلغت في العلوم ؟ قال : إلى الوقوف على القصور ، عنها .

قال ابن السَّمَاكِ : الكمال في خَمْسٍ ؛ ألاَّ يعيبَ الرَّجُلُ أحداً بعيبٍ فيه مثلهُ حتى يُصلَحَ ذلك العيبُ من نفسه ، فإنَّه لا يفرغُ من إصلاحِ عيبٍ واحدٍ حتى يهجمَ على آخر فتشغله عيوبُه عن عيبِ النَّاسِ ، والثَّانيةُ ألاَّ يُطْلَقَ لسانُه ويدهُ حتَّى يعلمَ أفي طاعةِ ذاكَ أو في معصيةٍ ، والثَّالثةُ ألاَّ يلتَمِسَ من النَّاسِ إلَّا مثلَ ما يُعطِيهم من نفسه ، والرَّابعةُ أن يَسْأَلَ من النَّاسِ باستِشعارِ مُداراتهم ، وتَوْفِيَّتِهِمْ حقوقَهُمْ ، والخامسةُ أن يُنْفِقَ الفضلَ من ماله ويُمْسِكَ الفضلَ من قَوْلِهِ .

قالوا : إذا أقبلتِ الدنيا أقبلتُ على حمارٍ قَطُوفٍ (١) مَدِينِي ، وإذا أدبرتُ أدبرتُ على البُرَاقِ .

التَّؤَدَةُ حَسَنَةٌ في كُلِّ شَيْءٍ إلَّا في المعروفِ فإنَّها تُنْغِصُهُ .

(١) القَطُوف : البطيء .

أصاب متأملٌ أو كادَ ، وأخطأ مستعجلٌ أو كادَ .
 قيل لبعضهم : كيف لا يجتمعُ المالُ والحكمةُ ؟
 قال : لعزّة الكمالِ .

كان يقال : لكلِّ جديدٍ لذّةٌ إلا من الإخوانِ .
 العجزُ عجزانٍ : التقصيرُ في طلبِ الأمرِ وقد أمكنَ ،
 والجِدُّ في طلبه وقد فات .

قال يزيدُ بنُ أسيدٍ : أسرُّ السرورَ قفلةً
 على غفلةٍ .

قيل : سِتّةٌ لا تُخطئهم الكآبةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ
 بالغنى ، ومُكثّرٌ يخافُ على ماله ، وطالِبٌ مرْتبَةً
 فوقَ قُدْرتهِ ، والحسودُ والحقودُ وخليطُ أهلِ الأدبِ
 وهو غيرُ أديبٍ .

قال خالدُ بنُ صفوانٍ : مَنْ لم تكنْ له دابةٌ
 كثُرَتْ ألوانُ دوابّه (١) .

قال عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ : لو كنتُ شاعراً
 لبكيتُ على المروعةِ .

(١) لأنه يستعير أو يكتري كل يوم دابة .

وقال بعضهم : طلبت الراحةَ انْفِسي فلم أجد شيئاً
أروِّح لها من تركِ مالا يعينها ، وتَوَحَّشْتُ في البرِّيَّةِ
فلم أرَ وَحْشَةً أَشدَّ من قرينِ سوءٍ، وشهدتُ الزحوفَ (١)
واقبتُ الأقرانَ فلم أرَ قِرفاً أغلب للرجل من امرأةٍ سوءٍ ،
ونظرتُ إلى كلِّ ما يُذلُّ العزيزَ ويَكْسِرُهُ فلم أرَ شيئاً
أذلَّ له ولا أكسَرَ من الفاقة .

قالوا : أوَّلُ أمرٍ العاقلِ آخِرُ أمرٍ الجاهلِ .

قال رجلٌ لعبدٍ الحميدِ : أخوك أحبُّ إليك أم
صديقك ؟ قال : إنَّما أحبُّ أخي إذا كان صديقاً .

قالوا : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك جنوه ،
وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شرّه .

كان الكنديُّ يقول : المسترشدُّ مُؤتقى والمحتسِرُّ
مُسلِّقٌ (٢) . وكان يقول : العبدُ حرٌّ ما قنعَ والحرُّ عبدٌ
ما طمعَ .

(١) الزحوف : الحروب .

(٢) ملقى : ممتحن لا يزال يلقاه مكروه .

قيل لمحمد بن الجهم (١) بعد ما أخذ ماله :
 أما تفكر في ذهاب نعمتك ؟ فقال : لا بد من الزوال ،
 فلا أزال نعتي وأبقى خيراً من أن أزول عنها وتبقى .
 قال الشافعي : اغتنموا الفرصة فانها نحس أو
 غصص .

أغلظ سفيه "لليم فقيل له : ليم ليم تغضب ؟ فقال :
 إن كان صادقاً فليس ينبغي أن أغضب ، وإن كان كاذباً
 فبالحرى ألا أغضب .

قال بعضهم : ما أحسن حسن الظن إلا أن منه
 العجز ، وما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم .

لما قبض ابن عيينة صاية الخليفة قال : يا أصحاب
 الحديث ؛ قد وجدتم مقالاً فقولوا . متى رأيتم أبا عيال
 أفاح ؟ وقال : كانت لنا هيرة ليس لها جيرا فكانت
 لا تكشف القدور ، ولا تعيث في الدور ، فصار لها جيرا
 فكشفت عن القدور ، وأفسدت في الدور .

(١) محمد بن الجهم البرمكي ولي للمهدي بعض الولايات .

قال بعضهم : إذا أنا فعلتُ ما أُمِرْتُ به وكان خطأً
لم أذمَّمْ عليه ، وإذا فعلتُ ما لم أؤمرْ به وكان صواباً
لم أحمِّدْ عليه .

قال آخرُ ما استُنْشِطَ الصَّوَابُ بمثل المشورة ،
ولا حُصِّنَتِ النِّعَمُ بمثل المواساة ، ولا اكْتُسِبَتِ الْبَغْضَةُ
بمثل الكِبَرِ .

قيل لروح بن زنباع : ما معنى الصديق ؟ قال :
هو لفظٌ بلا معنى . يعني لِعَوَزِهِ .

وقال آخر : السَّفرُ ميزانُ الأخلاق .

قال عليُّ بنُ عُبَيْدَةَ : العقلُ مَلِكٌ والخِصَالُ
رعيته ، فإذا ضَعُفَ عن القيامِ عليها وصلَّ الحالُّ إليها .
قال : الكَلْبُ أَبٌ يُخَفِّفُ نَفْسَهُ وهو آمنٌ .

قال بعضهم : لو لم أدعِ الكذبَ تأثُّمًا لتركته تَكْرَمًا .
وقال آخرُ : لو لم أدعِ الكذبَ تَعَفُّفًا لتركته تَظَرُّفًا .
وقال آخرُ : لو أدعِ الكذبَ تَحُوبًا (١) لتركته تَأْدُبًا .
وقال آخر : لو لم أدعِ الكذبَ تَوَرُّعًا لتركته تَصَنُّعًا .

(١) التحوب : البعد عن الإثم .

قال بعضهم : الإفراطُ في الزيارة مملٌ كما أن التفریطَ فيها مُخِلٌ .

قال العتيُّ (١) : إذا تناهى الغمُّ انقطع الدَّمْعُ .
وقال إبراهيمُ بنُ أدهم (٢) : أنا منذُ عشرينَ سنةً في طلب أخٍ إذا غضبَ لم يقلُ إلاَّ الحقَّ فما أجدُ .
وقال غيره : إذا وليَّ صديقٌ لك ولايةً فأصبتَه على العُشرِ من صداقته فليس بأخٍ سوءٍ .

قصده ابنُ السَّماك رجلاً في حاجةٍ لرجل فتعسَّرَ ، فقال له : اعلم ، أني أتيتُكَ في حاجةٍ ، وإنَّ الطالبَ والمطلوبَ إليه عزيزان إن قُضيتْ ، وذليلان إن لم تقضِ ، فاختَرْ لنفسك عزَّ البَدَلِ على ذُلِّ المنعِ ، واختَرْ لي عزَّ النُّججِ على ذُلِّ الردِّ . فقضاها له .

وقصده آخرُ آخرَ مرَّةٍ في حاجةٍ فتلوَّى ، فكاد ينكلُ عن الكلام ، ثم سبقَ إلى معنيٍّ فخبَّره وقال للمسئول :

(١) محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي ؛ أخباري أديب شاعر توفي سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) إبراهيم بن أدهم الزاهد صاحب الكرامات والأحوال توفي سنة ١٦٢ هـ .

أنخبرني حين غابوتُ إليك في حاجتي ، أحسنُ بك الظنَّ ،
وأصوغُ فيك الثناء ، وأتخيرُ لك الشكرَ ، وأمشي إليك
بقدم الإجلالِ ، وأكلمُّك بالسان التواضعِ ، أصبتُ
أم أخطأتُ ؟ قال : فأفحيمَ الرجلُ وقال : بل أصبتَ .
وقضى حاجته وسأله المعاودة .

قال أبو العتاهية : قالتُ لعلِّي بن الهيثم (١) : ما يجبُ
للصديق ؟ قال : ثلاثُ خيالاتٍ : كتمانُ حديثِ الخلوةِ ،
والمواساةُ عند الشدةِ ، وإقالةُ العثرةِ .

قيل : سوءُ حملِ الغني يورثُ المدحَ ، وسوءُ
حملِ الفاقةِ قد يَضَعُ الشَّرَفَ .
قيل : الهوى شريكُ العَمى .

قيل لصوفي : ما صناعتُك ؟ قال : حُسْنُ الظنِّ
باللهِ وسوءُ الظنِّ بالناسِ .

ثلاثةٌ لم يُحَسِّنْ بها أحدٌ فسلم : صحبةُ السَّاطانِ ،
وإفشاءُ السرِّ إلى النساءِ وشُرْبُ السُّمِّ للتجربةِ .

(١) علي بن الهيثم المعروف بجونقا كاتب شاعر ، كان أحد الكتاب
المستخدمين بديوان المأمون .

لكلّ شيء محلّ ، ومحلّ العقل مُجالسةُ الناسِ .
 أعجبُ الأشياءِ بديهةُ أمّنٍ وردتْ في مقامِ خوفٍ .
 قال ابنُ المقفّع : الحرصُ مُحَرِّمةٌ ، وأُبلِجُ
 مَقْشَلَةٌ ، فانظرُ فيمن رأيتَ أو سمعتَ : من قُتِلَ
 في الحربِ مُقبلاً أكثرُ أم قُتِلَ مُدبراً ، وانظرُ مَنْ
 يَطْلُبُ بالإجمالِ والتكرمِ أحقُّ أن تسخوَّ نفساك له أم
 مَنْ يطلبُ بالشرِّ والحرصِ .

قال بكرُ بنُ المعتمر (١) : إذا كان العقلُ تسعةَ
 أجزاءٍ احتاجَ إلى جزءٍ من جهلٍ ليُقَدِّمَ على الأمورِ ؛
 فإنَّ العاقلَ أبداً مُتَوَانٍ متوقِّفٌ مترقِّبٌ متخوِّفٌ .
 قال ابنُ المقفّع : عملُ الرَّجُلِ بما يعلمُ أنَّه خطأٌ
 هوَى ، والهوى آفةُ العفافِ ، وتركه للعَدْلِ بما يعلمُ
 أنَّه صوابٌ تهاونٌ ، والتَّهاونُ آفةُ الدِّينِ . وإقدامه
 على ما لا يدري أصوابٌ هوَ أم خطأٌ ليجاجُ ، واللَّجَاجُ
 آفةُ العقلِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّ الصِّدِّيقِ السَّكوتُ عنه أمثلُ ؟
 قال : تزكيةُ المرءِ نفسه .

(١) بكر بن المعتمر كان مقرباً للأمين ، قلده ديوان الخاتم ،
 ولأبي العتاهية شعر في مدحه .

وكان يقال : ثلاثة يُؤثرون المال على أنفسهم :
 تاجر البحر ، والعامل بالأجر ، والمرثي على الحكم .
 قالوا : قبَّح الله الدنيا ، فإنَّها إذا أقبلت على الإنسان أعطته
 محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .
 أعجزُ الناس من قصَّر في طلبِ صديقه ، وأعجزُ
 منه من وجدَه فضيعة .

قال رجل لأبي عبيد الله (١) : لئن أصبحت الدنيا
 بك مشغولة لتمسين منك فارغة . فقال : أنفق ما يكون
 التعب إذا وعد كذَّاب حريصا .

اجتمع علماء العرب والعجم على أنَّه لا يُدركُ
 نعيمٌ إلا ببؤسٍ ، ولا راحةٌ إلا بتعبٍ .

العاداتُ قاهراتٌ ، فمن اعتاد شيئا في سيره ونخلواته
 فضحه في علانيته وعند الملائكة .

قيل : المنى تُخْلِقُ العقل ، وتُفْسِدُ الدين ،
 وتُزري بالقناعة .

(١) معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ووزيره توفي سنة ١٧٠ هـ .

قال قتيبةٌ لِحُصَيْنٍ : ما السُّرورُ ؟ قال : عقلٌ يُقيمُك ،
وعلمٌ يُزيِّنُك وولدٌ يَسُرُّك ، ومالٌ يَسَعُك ، وأمنٌ
يريحُك ، وعافيةٌ تجمعُ لك المسراتِ .

أسرَّ رجلٌ إلى صديقٍ له حديثاً فلما استقصاه قال
له : أفهيمت ؟ قال : بل نسيتُ .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسِّر ؟ فقال : أجنحُ
المخبر وأحلفُ للمستخبر .

والعربُ تقول : من ارتاد لسرهٍ فقد أذاعه .

وقالوا : الأخُ البارُّ مَغِيضُ الأسرارِ .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لا يكتبُ ، قال : تلك
الزَّمانَةُ الخَفِيَّةُ (١) .

قال بعضهم : قديمُ الحرِّمةِ وحديثُ التوبةِ
يَمُحَقَّقَانِ ما بينهما من الإساءةِ .

قالوا : ركوبُ الخيلِ عزٌّ ، وركوبُ البراذين (٢)
ذِلَّةٌ ، وركوبُ البغلِ مَهْرَمَةٌ ، وركوبُ الحميرِ ذُلٌّ .

(١) الزمانَةُ : مرض يدوم .

(٢) البراذين : جمع برذون وهو الجواد المهجين غير العربي .

قالوا : أربعٌ يسودُّن العبد : الصدقُ والأدبُ
والفقهُ والأمانةُ .

قال الزُّهريُّ : الكريمُ لا تُحْكُمُه التجاربُ .

قالوا : العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشيئٌ من الرجالِ
تُعرفُ بالولاية .

قال رجلٌ من قريشٍ لشيخٍ : علمني الحلم .
فقال : هو الذِّلُّ ، أفصبرُ عليه ؟ .

ويقال : ماقلٌ سفهاءُ قومٍ إلا ذُلُّوا .

وعزَّى رجلٌ الرشيدَ فقال : ياأمير المؤمنين ،
كان لك الأجرُ لابلِكَ وكان العزاءُ لك لاعتنِكَ .

كان يقال : لك ابنُك ريحانُك سبعاً ، وخادمُك
سبعاً ، ثم عدوٌّ أو صديقٌ .

قيل لبعض الحكماء : ما الشيءُ الذي لايسحسُنُ أن
يُقَالَ وإنْ كان حقّاً ؟ فقال : مدحُ الإنسانِ نفسه .

جلس بعضُ الزُّهادِ إلى تاجرٍ ليشتري منه شيئاً ،
فمرَّ به رجلٌ يَعرِفُه ، فقال للتاجرِ : هذا فلانُ الزَّاهدُ

فأَرْخِصْ مَاتَبِيعُهُ مِنْهُ . فغَضِبَ الزَاهِدُ وَقَامَ وَقَالَ :
إِنَّمَا جِئْنَا لِنُشْرِيَ بِدِرَاهِمِنَا لَابِمَذَاهِبِنَا .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ فِي
حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ؟ فَقَالَ : التَّوْفِيقُ .

قِيلَ لِبَعْضٍ مِّنْ يَطَابُ الْأَعْمَالُ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ :
أَخْدُمُ الرُّجَاءَ ، حَتَّى يَنْزِلَ الْقَضَاءُ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : أَوْسَعُ مَا يَكُونُ الْكَرِيمُ مُغْفَرَةً ،
إِذَا ضَاقَتْ بِالْمَذِيبِ الْمَعْدِرَةُ .

قَالَ آخَرُ : أَمْتَعُ الْجُلُوسِ الَّذِي إِذَا عَجَبَتْهُ عَجِبَ ،
وَإِذَا فَكَّرَتْهُ طَرَبَ ، وَإِذَا أَمْسَكَتْ تَحَدَّثَ ، وَإِذَا فَكَّرَتْ
لَمْ يَلْمُزْكَ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَتَى يُسْحَمَدُ الْغِنَى ؟ قَالَ : إِذَا
اتَّصَلَ بِكَرَمٍ . قِيلَ : فَمَتَى تَذَمُّ الْفَقِيرَةُ ؟ قَالَ :
إِذَا اقْتَرَنْتَ بِأَثْوَمٍ .

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ (١) : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ
فَالْقَلِيلُ يَكْفِي ، وَمَنْ طَلَبَهُ لِلنَّاسِ فَمَحَوَّاجُ النَّاسِ كَثِيرَةٌ .

(١) مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ الْبَصْرِيُّ الزَّاهِدُ الرَّاوِيَةُ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٧ هـ .

قال رجلٌ لآخر : إني أتيتُك في حاجةٍ فإن شئت
قضيتها وكنتا جميعا كريمين ، وإن شئت منعتها وكنتا
جميعا ائيمين .

قال بعضُ النُّسَّاكِ : قد أعياني أنْ أنزل على رجلٍ
يعلمُ أني لا آكلُ من رِزْقِهِ شيئا .

قيل : مثَلُ شُرْبِ الدَّواءِ مثَلُ الصَّابونِ
لِلثَّوبِ يَنْقِئُهُ وَلَكِنْ يُخْلِقُهُ .

كان يقال : النظرُ يحتاجُ إلى القَبُولِ ، والحسبُ إلى
الأدبِ ، والسُّرورُ إلى الأمنِ ، والقُربى إلى المودة ،
والمعرفةُ إلى التجاربِ ، والشَّرَفُ إلى التواضعِ والنجدةُ
إلى الجِدَّةِ .

قال بعضهم : أعناقُ الأمور تشابه في الغيوبِ ، فربَّ
مَحْبُوبٍ في مكروهٍ ومكروهٍ في محبوبٍ . وكم من
مغبوطٍ بنعمةٍ هي دأؤه ، ومرحومٍ من داءٍ فيه شفاؤه .

وقيل : ربَّ خيرٍ في شرٍّ ، ونفعٍ في ضرٍّ .

قال ابنُ المقفَّعِ : الحسدُ خلقُ دنيٍّ ، ومن دناءته
أنه يُوكَّلُ بالأقربِ فالأقربِ .

قال قتادة^(١) : لو كان أحدٌ مكتفياً من العلم
لاكتفى نبيُّ الله موسى عليه السلامُ إذ قال : « هَلْ
اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْداً(٢) » .
قال دغفلُ بنُ حنظلة(٣) : إنَّ للعلم أربعة :
آفةٌ ونكدٌ وإضاعةٌ واستجاعةٌ فأفَّته النسيانُ ، ونكده
الكذبُ ، وإضاعته وضعه في غير موضعه ، واستجاعته
أنك لا تشبعُ منه .

قال بعضهم : عيادةُ النوكى الجلوسُ فوق القدر ،
والمجيء في غير وقت .

قال أكثمُ بنُ صيفي : «أحبُّ أن أكتفى كُلَّ
أمرٍ الدُّنيا . قالوا : وإن أسمنتُ وألبنتُ ؟ قال :
نعم . أكرهُ عادةَ العجز .

قال أبو عثمان : كتبَ شيخٌ من أهل الرِّيِّ على بابِ
داره : جزى اللهُ مَنْ لا يعرفُنَا ولا نعرفُه خيراً ، فأما

(١) قتادة بن دعامة السدوسي ، حافظ ثقة ، وعالم جليل ، توفي
سنة ١١٧ هـ .

(٢) سورة الكهف : ٦٦ .

(٣) دغفل بن حنظلة الشيباني السدوسي ، نسابه العرب .

أصدقائنا الخاصة فلا جزاهم الله خيرا ، فإننا لم نُؤتِ قط إلا منهم .

قيل لرجلٍ من أهل البصرة : مالك لا ينمى مالك ؟ قال : لأني اتخذتُ العيال قبل المال ، واتخذ الناسُ المالَ قبلَ العيال .

كان خالدُ بنُ صفوانٍ يكره المزاح ويقول : يصيبُ أحدهم أخاهُ ويصكُّهُ بأشدَّ من الحديد ، وأصلبَ من الجندل ، ويفرغُ عليه أحرَّ من المِرْجَلِ . ثم يقول إنَّما مازَحْتُهُ .

كان يقال : لا ينبغي لعاقِلٍ أن يشاورَ واحداً من خمسةٍ : القطَّانَ والغزَّالَ والمعلِّمَ وراعي الضَّأنِ ولا الرجلَ الكثيرَ المحادثةِ للنساءِ .

قال رجلٌ لابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : ما تركَ لك أبوك ؟ قال : تركَ لي مالاَ كثيراً . فقال : لا أعلمك شيئاً هو خيرٌ لك مما تركَ أبوك ؟ إنه لا مالَ لعاجزٍ ، ولا ضياعَ على حازمٍ ، والرقِيقُ جَمالٌ وليس بمالٍ ، فعليك من المالِ بما يَتَعَوَّلُكَ ولا تعولُهُ .

وقيل لخريم الناعم (١) : ما النعمة ؟ فقال : الأمن ؛ فإنه ليس لحائف عيش ، والغنى ؛ فإنه ليس لفقر عيش . والصحة ، فإنه ليس لسقيم عيش قيل : ثم ماذا ؟ قال : لا مزيد بعدها .

قيل : خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره .
أراد رجل الحج . فأتى شعبة بن الحجاج (٢)
فودّعه فقال له شعبة : أما إنك إن لم تر الحليم ذلاً ،
والسفه أنفًا سليم حجك .

روى عن بعض الأئمة أنه قال : الإنصاف راحة ،
والإلحاح قبح ، والشح شناعة ، والتواني إضاعة ،
والصحة بضاعة ، والحياة وضاعة ، والحرص مفقرة ،
والدناءة محقرة ، والبخل غل ، والفقر ذل ،
والسخاء قربة ، واللؤم غربة ، والدثة استيكانة ،
والعجز مهانة ، والأدب رياسة ، والحزم كياسة ،

(١) هو خريم بن عامر بن الحارث المري لقب بالناعم .

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام ، شيخ البصرة ، والمحدث الأشهر موصوف بالعلم والزهد والرحمة والقناعة ، كان رأساً في العربية والشعر بجانب معرفته بالحديث . توفي سنة ٥١٦ هـ .

والعُجْبَةُ هلاكٌ ، والصبرُ ملاكٌ ، والعجلةُ زللٌ ،
والإبطاءُ مَلَلٌ .

ثلاثةُ أشياء لاثباتُ لها : المالُ في يدٍ من يذرُّ ،
وسحابةُ الصيفِ ، وغضبُ العاشقِ .

قيل للشَّيْبِي (١) : ما الفرقُ بينَ رقٍّ العبوديةِ ورقٍّ
المحبةِ ؟ فقال : كم بين عبدٍ إذا أُعتقَ صارَ حرّاً ،
وبين عبدٍ كلما أُعتقَ ازدادَ رقّاً ؟ .

قالوا : الزَّاهدُ في الدِّينارِ والدِّرهمِ أعزُّ من الدِّينارِ
والدِّرهمِ .

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أنت ؟ قال : كيف
أكون ، وأنا إذا كنتُ في الصَّلَاةِ فدخلَ إنسانٌ غنيٌّ
أوسَّعُ له بخلافِ ما أوسَّعُ للفقيرِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّما أحمدُ في الصَّبيِّ الحياءُ أم
الخوفُ ؟ فقال : الحياءُ لأنَّ الحياءَ يدلُّ على عقلٍ والخوفُ
يدلُّ على جُبْنٍ .

(١) الشَّيْبِي قيل اسمه دلف بن جحدر وقيل : جعفر بن يونس ،
زاهد متصوف ، له مقامات وأحوال توفي سنة ٣٣٤ .

قالوا : ربَّ حَرْبٍ جُنَيْتٍ بلفظةٍ ، وربَّ وُدٍّ غُرْسٍ بلحظةٍ .

شكا رجلٌ إلى بشرٍ بنِ الحارثِ (١) كثرةَ العيالِ فقال له : فَرَّغَكَ فلم تشكره ، فعاقبك بالشُّغلِ .

كان يُقال : إذا تزوَّج الرجلُ فقد ركبَ البحرَ ، فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

قالوا : أصبرُ الناسَ الذي لا يُفشي سرَّه إلى صديقه مخافةَ أن يقعَ بينهما شيءٌ فيُفشيَّه .

قالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم :
الآني طعاماً لم يُدْعَ إليه والمتأمرُّ على ربِّ البيتِ في بيته ، وطالبُ المعروفِ من غيرِ أهله ، وراجي الفضلِ من اللئامِ ، والدّاخِلُ بين اثنين لم يُدْخِلاه ، والمستخفُّ بالسلطانِ ، والجالِسُ مجلساً ليسَ له بأهلٍ ، والمقبلُ بحديثه على من لا يسمعه .

قالوا : ثمرةُ القناعةِ الرَّاحةُ ، وثمرَةُ التَّواضعِ المحبَّةُ ، وثمرَةُ الصبرِ الظَّفَرُ .

(١) بشر بن الحارث المروزي المشهور ببشر الحافي ، زاهد له مناقب ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٥٢٢٧ .

قال بعضهم : نحن في دهر الإحسان فيه من الإنسان
زينة ، والجميل غريب ، والخير بدعة ، والشفقة
ملتق . والدعاء صلة ، والثناء خداع ، والأدب
مسألة ، والعلم شبكة ، والدين تلبيس ، والإخلاص
رياء ، والحكمة سفة ، والقول هذر ، والإطراق
ترهيب ، والسكوت نفاق ، والبذل مكافأة ، والمنع حزم
والإنفاق تبذير .

جلس رجل إلى سهل بن هارون فجعل يسمعه
كلما سخيفاً من صنوف الهزل ، فقال له : تنح عني ؛
فإنه لا شيء أميل إلى ضده من العقل .

قيل لبعض العلماء : أي علق (١) أنفاس ؟
فقال : عقل صرف إليه حظ .

قالوا : الاعتبار يفيدك الرشاد ؛ وكفاك أدباً
لنفسك ما كرهت من غيرك . الجزع من أعوان الزمان .
الجود حارس الأعراض . العفو زكاة القلب . اللطافة
في الحاجة أجدي من الوسيلة . من أشرف أفعال الكريم
غفلته عما يعلم .

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

احتمالُ نخوةِ الشَّرَفِ أَشدُّ من احتمالِ بَطَرِ
الغِنَى وذِلَّةِ الفقرِ مانعةٌ من الصَّبْرِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا ؟ قال :
من كان في طلبِ صديقٍ يرضاه .

قال يونسُ بنُ عبيد (١) : أعياني شيطانٌ : درهمٌ
حلالٌ وأخٌ في الله . .

استشارةُ الأعداءِ من باب الخذلانِ .

قالوا : إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ هلاكاً أهلكه برأيه ،
وما استغنى أحدٌ عن المشورةِ إلا هلكَ .

قال أكرمُ بنُ صيفي : الحرُّ لا يكون صريحَ بطنه
ولا فرجيه .

قيل : سِتُّ خِصَالٍ تُعْرِفُ فِي الْجَاهِلِ : الغَضَبُ
من غير شيء ، والكلامُ في غير نفعٍ ، والعَطِيَّةُ في
غير موضعٍ ، ولا يعرفُ صديقهُ من عدوه . وإفشاءُ
السِّرِّ ، والثَّقةُ بكلِّ أحدٍ .

(١) يونس بن عبيد بن دينار حدث عن أنس ، وتوفي سنة ١٣٩ هـ .

قال محمد بن واسع : إني لأغبط الرجل ليس له شيء
وهو راضٍ عن الله .

قالوا : سوء العادة كمين لا يؤمن .

التجني وافد القطيعة .

منك من نهارك ، وليس منك من أغراك .

يا عجباً من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد .

من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في عدوه
ما يسره .

تورث الضغائن كما تورث الأموال .

كم من عزيز أذله خرقه ، وعزيز أذله خلقه .

لا يصلح التلثم لأحد ولا يستقيم إلا من فرق أو
حاجة ، فإذا استغنى أو ذهبت الهيئة عاد إلى جواهره .

قل لبعضهم : ما أبقى الأشياء في أنفس الناس ؟

قال : أمّا في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب ،
وأمّا في أنفس السفهاء فالحق .

إذا انقضى ملك القوم جبنوا في آرائهم .

الضعيفُ المحترسُ من العدو القويُّ أقربُ إلى السَّلامةِ
من القويِّ المغترِّ بالعالمِ الضعيفِ .

الحزنُ سوءُ استكانةٍ والغضبُ لؤمٌ قدرةٌ .
كلُّ ما يؤكلُ يَنْشَيْنُ ، وكلُّ ما يُوْهَبُ يَآرِجُ (١) .
لا يصعبُ على القويِّ حملُ ، ولا على اللّيبِ عملُ ،
ولا على المتواضعِ أحدٌ .

الطرشُ في الكِرامِ ، والهَوَجُ والشجاعةُ في الطوالِ ،
والكتيسُ في القصارِ والملاحهُ في الحُولِ ، والنُبلُ
في الرِّبْعَةِ ، والدِّكَاءُ في الحُرْسِ ، والكيبرُ في العُورِ ،
والبَهْتُ في العميانِ .

بالكُلفةِ يَكْتَسِبُ الأصدقاءُ وبكلِّ شيءٍ يُمكنُ
اكتسابُ الأعداءِ .

أفقرُ النَّاسِ أكثرُهم كسباً من حرامٍ ؛ لأنه استدانَ
بالظلمِ مالا بدَّ له من ردِّه ، وأنفدَ في اكتسابه أيَّامَ
عُمُرِه ، ومنعَه في حياته من حقِّه ، وكان خازناً لغيره ،

(١) يارج : يفوح طيبه .

واحتملَ الدّينَ على ظهره ، وطُوبَ به في حين
فقَرِه .

الأمُّ النَّاسِ من سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائِرٍ .
أعسرُ الحيلِ تصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ عند
العاقلِ المُتميّزِ .

الرّيبةُ ذلٌّ حاضِرٌ ، والغَيِّبةُ لؤمٌ باطنٌ .
القلبُ الفارغُ يبحثُ عن السّوءِ ، واليدُ الفارغةُ
تنازِعُ إلى الإثمِ .

لا يتصرّفُ القضاءُ إلّا خالقُ القضاءِ .
لا كثيرٌ مع إسرافٍ ، ولا قليلٌ مع احترافٍ ،
ولا ذنبٌ مع اعترافٍ .
من كلِّ شيءٍ يقدرُ أن يُحفظَ الجاهلُ إلّا من
نفسه .

المتعبدُ على غيرِ فقهٍ كحمارِ الرّحى يدور ولا يبرحُ .
المحرومُ من طالٍ نصَبُه ، وكان لغيره مكسبُه .
كيفَ يحبُّ الدنيا من تغرُّه ، وتسوؤه أكثرَ ممّا تسرُّه .

مع العجلة الحِطَّارُ ، وربَّما خَطِيءُ المخاطرُ
بالقضاء .

شرُّ أخلاقِ الرِّجالِ البخلُ والجُبْنُ وهما خيرُ
أخلاقِ النساءِ .

إذا جاءَ زمانُ الخِذلانِ انعكستِ العقولُ .
سَعَةُ السِّمحاءِ أحدُ الحِصْبَيْنِ ، وكثرةُ المالِ عند
البِخلَاءِ أصعبُ الجَدْبَيْنِ .
من سوءِ الأدبِ مؤانسةُ من احتشمَكَ ، وكشفُ
خلَّةٍ من ستَرها عندَكَ ، والتزوعُ إلى مشورةٍ لم
تُدعَ إليها .

قال إبراهيمُ التيميُّ (١) : نِعِمَّ القومُ السُّؤالُ ؛
يدقُّون أبوابكم ويقولون : هل تُوجِّهون إلى الآخرة
شيئاً بشيءٍ ؟ .

* * *

(١) إبراهيم بن أبي يزيد التيمي العابد ، قتله الحجاج سنة ٥٩٢ هـ .

الباب الخامس

جِنْسٌ آخِرُ مِنَ الْأَدَبِ وَالْحِكْمِ
وهو ما جاء لَفْظُهُ عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ

كان يُقال : إذا غضبَ الكريمُ فآلِنُ له الكلامُ ،
وإذا غضبَ اللئيمُ فخذُ له العصا .

وقال بعضهم : غَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ ، وَغَضَبُ
الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ .

قال بعضهم وقد رأى رجلاً يتكلم فَيُكْثِرُ :
أَنْصِفْ أذْنِيكَ مِنْ فَمِيكَ ؛ فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذنان
وَفَمٌ واحدٌ لتسمعَ أَكْثَرَ ممَّا تقولُ .

قالوا : دَعِ الْمَعَاذِرَ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَفْاجِيرٌ .
وقال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ (١) : دَعِ الْإِعْتِذَارَ فَإِنَّهُ
يَخَالِطُهُ الْكَذِبُ .

(١) إبراهيم النخعي : فقيه العراق ، توفي سنة ٥٩٦ هـ عن تسع وأربعين
سنة .

قالوا : مكتوبٌ في الحكمة : أشكرُ لمن أنعمَ عليك ،
وأنعمُ على من شكركَ .

قال إبراهيمُ النخعيُّ : سلْ مسألةَ الحَمَقِ ، واحفظْ
حِفْظَ الأكياسِ . يعني العِلمَ .

قالوا : مُرُوا الأحداثَ بالمِراءِ ، والكهولَ بالفكرِ ،
والشيوخَ بالصمتِ .

وقال : عودُ نفسك الصَّبرَ على جليسِ السوءِ ؛
فإنَّه لا يكاد يُخطِئُكَ .

قال حاتمٌ لعديِّ ابنِهِ : يا بُنَيَّ إني رأيتُ الشرَّ
يتركُكَ إِنْ تركتَهُ ، فاتركهُ .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثةٍ : إلى كذوبٍ ،
فإنَّه يقرَّبُها وإن كانت بعيدةً ويباعدُها وهي قريبةٌ ،
ولا إلى أحمقٍ ؛ فإنَّه يريدُ أن ينفَعَكَ فيضركَ ؛ ولا إلى
رجلٍ له إلى صاحبِ الحاجةِ حاجةٌ ، فإنَّه يجعلُ حاجتَكَ
وقايةً لحاجتهِ .

وقالوا : لا تصرفْ حاجتَكَ إلى مَنْ معيشتُهُ من
رؤوسِ المكاييلِ والسنةِ الموازينِ .

وكان يقال : إيتاك وصدر المجلس وإن صدرك
صاحبته ، فإنه مجلس قلعة (١) .

قالوا : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، والليم
إذا شبع .

قال بعضهم : سيرك دمك ؛ فلا تُجربته في غير
أوداجيك .

كان يقال ، إيتاك وعزة الغضب ؛ فإنها تُصيرك
إلى ذلة الاعتذار .

قال بعضهم : إذا أرسلت لتأتي بغير فلا تأت بتمر ،
فيؤكل تمرك ، وتعنف على خلافاك .

قالوا : إذا وقع في ياك يوم السرور فلا تُخله
فإنك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يُخلِك .

قالوا : إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فانظر من
عدوه . وإذا أردت أن تعادي رجلاً فانظر من وليه .

قيل : إذا قللت أحداً مهماً فمجل له منفعة ،
وأجمل له في العدة ، وابسط له في المنيّة .

(١) قلعة : يتحول عنه .

قال بعضهم : الانقباضُ من الناسِ مكسبةٌ للعداوة ،
والانبساطُ مجلبةٌ لقرينِ السَّوءِ ، فكنْ بينَ المنقبضِ
والمسترسلِ ؛ فإن خيراً الآمورِ أوساطُها .

كان يقال : اجعلْ عمرَكَ كنفقةٍ دُفعتْ إليك .
فأنت لا تحبُّ أن يذهبَ ما تُنفقُ ضياعاً ، فلا تُذهبْ
عمرَكَ ضياعاً .

قيل : مَنْ أظهرَ شكرَكَ فيما لم تأتِ لِيهِ فاحذرْ
أنْ يكفُرَكَ فيما أسديتَ إليه .

لا تستعنْ في حاجتكِ بمن هو للمطلوبِ أنصحُ منه لك .
لا يؤمننَّك من شرِّ جاهلٍ قرابةٌ ولا إلفٌ ، فإن
أنخوفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ منها .

لا ترفعْ نفسَكَ عن شيءٍ قريبٍ إلى رئيسِكَ .
كنْ في الحرصِ على تنفقِ عِيبتِكَ كعدوكِ .
عليك بسوءِ الظنِّ فإنْ أصابَ فالخزمُ ، وإن
أخطأَ فالسلامةُ .

رضا الناسِ غايةٌ لا تُدرَكُ ، فتحرَّ الخيرَ بجهديكَ ،
ولا تكُرهْ سُخطَ مَنْ يرضيه الباطلُ .

إذا رأيت الرجلَ على باب القاضي من غير حاجةٍ
فاتَّهِمهُ .

رأى رجلٌ ابنه يماكسُ في ابتياعِ لحمٍ ، فقال :
يا بني ، سَاهِلٌ فما تُضَيِّعُهُ من عِرْضِكَ أَكْثَرُ ممَّا
تَنَالُهُ من عِرْضِكَ .

وقال بعضهم : الدَّيْنُ رِقٌ ، فلا تبدلْ رِقَّكَ
لمن لا يعرفُ حَقَّكَ .

وقال بعضهم : احذَرْ كُلَّ الحَذَرِ أَنْ يَخْدَعَكَ
الشَّيْطَانُ فَيُمَثِّلَ لَكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ ،
ويورثَكَ الهُؤَيْنَا بِالْإِحَالَةِ عَلَى الْقَدَارِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا
بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحَيَلِ ، وَبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ
الْإِعْذَارِ فَقَالَ : (نَحْذَرُوا حَيْذَرَ كَسَمٍ) (١) (وَلَا
تُلَاقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٢) .

وقال النبي عليه السلام : « اِعْتَقِلْ وَتَوَكَّلْ » .

(١) سورة النساء : ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

قالوا : لتكن عنايةُك بحفظ ما اكتسبته كعنايةك
بإكتسابه ، ولا تصحب غنياً ؛ فإنَّك إن ساوَيْتهُ في
الإِنفاقِ أَضَرَّ بِكَ ، وإن تفضَّلَ عليك استدلَّكَ .

إذا سألتَ كريماً حاجةً فدعهُ يتفكَّرُ ؛ فإنه
لا يُفكِّرُ إلا في خيرٍ . وإذا سألتَ لئيمًا حاجةً فخافِصهُ (١)
ولا تدعهُ يتفكَّرُ فيتغيَّرُ . وفي ضدِّ ذلك : إذا سألتَ
لئيمًا حاجةً فأجلَّه حتى يروضَ نفسه .

العدوُّ عدوان : عدوُّ ظلمته ، وعدوُّ ظلمتك .
فإن اضطرَّكَ الدهرُ إلى أحَدِهما فاستعنْ بالَّذي ظلمَكَ ؛
فإنَّ الآخرَ مَوْتورٌ .

لا تستصغرنَّ أمرَ عدوك إذا حاربته ، لأنَّك إن
ظفرتَ به لم تُحِمْهُ ، وإن ظفرتَ بك لم يُعْزَرْ ، والضعيفُ
المحتسِنُ من العدوِّ القويِّ أقربُ إلى السلامةِ من القويِّ
المغترِّ بالضعيفِ .

لا تصحبْ مَنْ تحتاجُ أنْ تكتُمَهُ ما يعرفُهُ اللهُ منك .
صُنِ الاسترسالَ منك محتسباً تجادَ له مُستحقاً ،
واجعلْ أنْسَاكَ آخرَ ما تبدلُهُ من وُدِّكَ .

(١) غامض : أخذ على غرة .

قال آخرُ : لا تجاهدِ الطَّالِبَ جهادَ المغالِبِ ، ولا
تتَّكِلِ اتِّكَالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضْلِ من السُّنَّةِ ،
والإجمالَ في الطَّالِبِ من العِفَّةِ . وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ
رزقا ، ولا الحرصُ بجالبٍ فضلا .

سمعَ بعضهم إنساناً يتكلمُ بما لا يعنيه فقال له : يا هذا
إنَّمَا تُحَمِّلِي عَلَى حَافِظِيكَ ، وتَكْتُبُ إِلَى رَبِّكَ ؛ فانظُرْ
عَلَى مَنْ تُحَمِّلِي ، وَإِلَى مَنْ تَكْتُبُ .

قال بعضهم : أَقِمِ الرِّغْبَةَ إِلَيْكَ مَقَامَ الْحُرْمَةِ بِكَ ،
وَعَظِّمْ نَفْسَكَ عَنْ التَّعَظُّمِ ، وَتَطَوَّلْ وَلَا تَشْتَطَّوُلْ (١) .

قال آخرُ : عَامِلُوا الْأَحْرَارَ بِالْكَرَامَةِ الْمُحَضَّةِ ،
وَالْأَوْسَاطَ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالسُّفُلَى بِالْهَوَانِ .

كُنْ لِلْعُلُوِّ الْمَكَاتِيمَ أَشَدَّ حَذَرًا مِنْكَ لِلْعُلُوِّ الْمُبَارِزِ .

قال سَلَمٌ بْنُ قُتَيْبَةَ (٢) : لِأَهْلِ بَيْتِهِ : لَا تَمَّازِحُوا

(١) التطول : التفضل ، والتطاول : الترفع على الناس ، والتطول
مدوح ، والتطاول مذموم .

(٢) سلم بن قتيبة الباهلي : قائد ولي خراسان أيام هشام وولاه
المنصور البصرة مات سنة ١٥٩ .

فبستخفّ بكم السُّوقَةُ ، ولا تدخلوا الأسواقَ فتدقّ
أخلاقكم ولا تترجّلوا فيزدريكم أكفأؤكم .

قال آخرُ : احفظْ شَيْئَكَ مَنْ تستحي أن تسأله عن
شيءٍ لِنُ ضاعَ لك .

إذا كنتَ في مجلسٍ فام تَكُنِ المحدثَ ولا المحدثُ
فَقُصِّم .

قالوا : لا تُدْخِلْ في مشورتكَ بخيلاً فيقصرُ
بعقلك ، ولا جباناً فيخوِّفكَ مالا يُخافُ .

قال ابنُ المُقَفَّعِ : الخَتَمُ حَتَمٌ ، فإذا أردتَ أن
تَخْتِمَ على كتابٍ فأعدِ النظرَ فيه فإنما تَخْتِمُ على عقلك .

كان يقال : إذا قال أحدكم : والله . فليَنظُرْ
ما يضيفُ إليها .

دخلَ عبدُ العزيزُ بنُ زُرارةَ الكِلَابِيُّ على معاويةَ
فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جالِسِ الألبانِ ، أعداءُ كانوا
أو أصدقاء ، فإنَّ العقلَ يَقَعُ على العقلِ .

كان بعضهم يقول : أحيوا الحياةَ بمُجالسةِ مَنْ
يُسْتَحْيَا منه .

كان يقال : إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه
من صديق .

قال العباس بن الحسن العلوي (١) : اعلم أن
رأيك لا يتسع لكل شيء ، ففرغه للمهم من أمورك ،
وأن مالك لا يغني الناس كآتهم ، فانحصص به أهل
الحق ، وأن كرامتك لا تطبق العامة ، فتوخ بها أهل
الفضل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حوائجك
فأحسن قيسمتك بين عمالك ودعائك .

وكان يقال : أحيوا المعروف بإماتته .

وقال قيس بن عاصم (٢) : يا بني اصحبوا من
يذكر إحسانكم إليه وينسى أياديته لديكم .

وكان مالك بن دينار يقول : جاهدوا أهواءكم كما
تهجدون أعلاءكم .

إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم .

* * *

(١) العباس بن الحسن العلوي شاعر بي هاشم وأديبهم . عاش في
عصر الرشيد .

(٢) قيس بن عاصم المنقري أسلم سنة ٥٩ هـ ، وكان مشهوراً بالحلم ،
وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية .

أراد رجلٌ سفرًا فقال له بعضهم : إنَّ لكلَّ رفقةٍ
كلباً يَشْرُكُهُمْ في فِضَالَةِ الزَّادِ ، وَيَهْرُ دُونَهُمْ ، فإنَّ
قَدْرَتَ أَلَا تَكُونُ كَلْبَ رَفَقَتِكَ فافعلْ ، وإيَّاكَ وتأخيرَ
الصَّلَاةِ عن وقتِهَا فإنَّكَ مُصَلِّيُهَا لِمَحَالَةٍ ، فَصَلِّهَا وَهِيَ
تُقْبَلُ مِنْكَ .

قال ابنُ السَّيِّدِ : إنَّ مِنَ النَّاسِ نَاساً غَرَّهُمُ
السَّيْرُ ، وَفَتَنَهُمُ الثَّنَاءُ . فَلَا يَغْلِبُنَّ عَلَيْكَ جَهْلُ
غَيْرِكَ بِكَ عِلْمِكَ بِنَفْسِكَ .

قيل : لَا تَثِقَنَّ كُلَّ الثَّقَةِ بِأَخِيكَ ، فَإِنَّ صَرْعَةَ
الْإِسْتِرسَالِ لَا تُسْتَقَالُ .

من أمثال التُّرْكِ : اسْكُتْ تَرْبِحْ مَا عِنْدَكَ ، وَشَاوِرْ
تَرْبِحْ مَا عِنْدَ غَيْرِكَ .

قيل : لَا تَكُنْ مِثْلَ مَنْ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ
وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ أَنْتَقِمُ مِنَ الْحَرَصِ بِالْقَنَاعَةِ كَمَا
يُسْتَصَرُّ مِنَ الْعَدُوِّ بِالْقَصَاصِ .

أوصى أَبُو الْهُدَيْلِ (١) أَصْحَابَهُ فَقَالَ : لَا تَدْخُلُوا

(١) أَبُو الْهُدَيْلِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْهُدَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مشهور بكنيته وهو
شيخ المعتزلة توفي سنة ٥٢٣ هـ .

في الشهادة فتصيروا أسراء الحكام . ولا في القضاء ،
 فإن فرحة الولاية لا تفي بشرحة العزل ، ولا في رواية
 الحديث فيكذبكم الجهال والصبيان ، ولا في وصية
 فيطعن عليكم بالخيانة ، ولا في إمامة الصلاة فمن
 شاء صلاتي وراءكم ومن شاء لم يصل . وقال : لا تجالسوا
 من لا يوثق بدينه وأمانته ، ولا تبدأوا المخالفين بالسلام
 فإنهم إن لم يجيبوا تقاصرت إليكم نفوسكم ولحقكم
 حجة .

عود نفسك السماح ، وتخير لها من كل خلق
 أحسنه ، فإن الخير عادة ، والشر حاجة ، والصدود
 آية المقت ، والعيال آية البخل .
 كن سميحاً ولا تكن متبذراً ، وكن مقدراً
 ولا تكن مقتراً .

إياك والمرتعى السهل إذا كان المنحدر وعراً .
 احترس من ذكرك العائم عند من لا يريد ،
 ومن ذكرك القديم عند من لا قديم له ، فإن ذلك يحدث
 التعسير ، وبالحرى أن تتخذ سائماً إلى الضغن عليك .

إذا زللتَ فارجيعٌ ، وإذا نلستَ فأقلعٌ ، وإذا
أسأتَ فاندَمٌ ، وإذا مَننتَ فاكثُمٌ ، وإذا مَنعتَ
فأجملٌ . ومن يُسالفِ المعروفَ يكنُ ربحهُ الحمدَ .

اطلبِ الرَّحمةَ بِالرَّحمةِ .

اتقِ العِشَارَ بِحَسَنِ الاعتبارِ .

لا تستأنسُ بمن لم تبطلْ خلائقه .

لا تأمنِ العدوَّ على حالِ .

لا تفرحِ بالرجاءِ فإنه غرورٌ ، ولا تتعجلِ الغمَّ بالخوفِ
فإنَّه شكٌّ .

حاسبِ نفسَكَ تسليماً وتسعداً .

إن يخلو أحدٌ من ذمٍّ ، فاجهدْ أن يخلو من ذمٍّ
الأخيارِ .

حاربْ عدوكَ ما حاربَكَ بشخصيه ، فإذا أنحفَى
شخصيه فاحرُسْ نفسكَ منه ، لأنَّ مَنْ يعلمُ أنه
لا ينجيه منكُ إلا الموتُ لا ينجيكُ منه إلاَّ مثلُ ذلكِ ،
والمستسلمُ للموتِ لا يبالي على ما أقدم .

احذر فلتات المزاح وصرعات البغني .

لا تجاهد الطالب جهاد المغالب ، ولا تتكل على
القدر اتكالا المستسليم فإن ابتغاء الفضل سنة ،
وإجمال الطالب عفة ، وليست العفة بدافعة رزقا ،
ولا الحرص بجالب فضلا ، والرزق مقدور والأجل
موقوف ، وفي استعجال الحريص اكتساب المآثم .
لا تشبهن رضاك بغضبك ، فتكون مسن لا يضر
غضبه ولا ينفع رضاه .

اغتنم العمل ما دامت نفسك سليمة ، واجعل كل
ساعة بشغلها لاخرتك غنيمة .

لا تكونن لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بدءاً .
احم نفسك القنوط ، واتهم الرجاء .
لا تبعير أخاك واحمد الذي عافاك .

انظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه ، وما ليس عندك
فلا تأخذه إلا بحقه .

احتمل ميمناً أدل عليك ، واقبل ممناً اعتذر إليك .

لِيَكُنْ عَمَلُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَعْدَائِكَ الْعَدْلَ ،
 وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْدِقَائِكَ الرِّضَا ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ خَصِمٌ
 تَصْرِفُهُ بِالْحِجَّةِ ، وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ . وَالصَّدِيقُ لَيْسَ بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُ قَاضٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ رِضَاةٌ وَحُكْمٌ .

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْدِثَ النَّاسَ فِتْنًا عَلَيْهِمْ .
 إِذَا صَافَاكَ عَدُوُّكَ رِيَاءً مِنْهُ فَتَلَقَ مَصَافَاتِهِ إِيَّاكَ
 بِأَوْكَلِ مَوَدَّةٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا أَلْفَ ذَلِكَ وَاعْتَادَهُ خَلُصَتْ
 لَكَ مَوَدَّتُهُ .

فَكثُرَ قَبْلَ أَنْ تَعْزِمَ ، وَأَعْرِضْ قَبْلَ أَنْ تَصْرِمَ ،
 وَتَدَبَّرْ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ ، وَشَاوِرْ قَبْلَ أَنْ تُقَدِّمَ .

* * *

الباب السادس

جِنْسٌ آخَرُ مِنْ الْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْآدَابِ وَهُوَ
مَا كَانَ فِي أَوَّلِهِ « مَنْ »

مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ كَثُرَ عَدُوُّهُ .

مَنْ يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرِ الْهَوَانَ .

مَنْ لَمْ يَمُتْ لَمْ يَفُتْ .

مَنْ صَدَقَ النَّاسَ كَرِهَهُ .

مَنْ يَطْلُ ذَيْلُهُ يَنْتَطِقُ بِهِ .

مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَدَنٌ غُصَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ نَو

غُصَّ بغيره أجازَ بِهِ غُصَّتَهُ .

مَنْ أَكْثَرَ أَسْقَطَ .

مَنْ اتَّبَعَ غِيَّ النَّاسِ كَانَ اغْوَى .

مَنْ لَقِيَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ .

مَنْ أَحَبَّ الذِّكْرَ فَلَيْسَتْ عَمَلِ الصَّبْرِ .

وَمَنْ شَحَّ عَلَى دِينِهِ فَلَيْسَتْ عَمَلُ الْخَوْفِ ، وَمَنْ ضَنَّ
بِعِرْضِهِ فَلَيْمَسْكُ عَنْ الْمِرَاءِ .
مَنْ صَفَا قَلْبُهُ صَفَا لِسَانُهُ .
مَنْ خَلَّطَ خُلُطًا لَهُ .
مَنْ لَمْ يَضِنَّ بِالْحَقِّ عَنْ أَهْلِهِ فَهُوَ عَيْنُ الْجَوَادِ .
وَقَالَ الصَّادِقُ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَيْقَظَ .
فِتْنَةً فَهُوَ أَكُلُهَا .

وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ
اشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ سَلًا عَنْ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ
النَّارِ كَفَّ عَنْ الْمَحَارِمِ ، وَمَنْ زَهَّدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ
بِالْمَصَائِبِ ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرِ .
وَقَالُوا : مَنْ اسْتَغْنَى كَرُمَ عَنْ أَهْلِهِ .
مَنْ قَرَّبَ السَّفِيلَةَ وَاطَّرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ
اسْتَحَقَّ الْحَيْدُ لَانَ .

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الأئمة الاثني عشر عند
الشيعة ، وسيد بني هاشم في زمانه توفي سنة ١٤٨ هـ .

من انتقم انتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن شفا
غيطه لم يندكر في الناس فضله .

من كظم غيطه فقد حلم ، ومن حلم فقد
صبر ، ومن صبر فقد ظفر .

من طلب الدنيا بعمل الآخرة خسرهما ، ومن
طلب الآخرة بعمل الدنيا ربحهما .

قال بعضهم : من ملك نفسه عند أربع حرّمه
الله على النار : حين يغضب وحين يرغب ، وحين
يرهب ، وحين يشتتهي .

قال بكر بن عبد الله : من كان له من نفسه
واعظ عارضه ساعة الغفلة وحين الحميّة .

من أمّل أحداً هابه ، ومن قصر عن شيء عابه .

قيل لحكيم : من أسوأ الناس حالاً ؟ قال : من لم
يثق بأحدٍ لسوء ظنه ، ولا يثق به أحدٌ لسوء أثره .

قيل لبعضهم : من أحب الناس إليك ؟ قال : من
كثرت أياديّه عندي قال : فإن لم يكن ؟ قال : من
كثرت أياديّه عنده .

كان يُقال : من طال صمته اجتلبت من الهيبة ما ينفعه ، ومن الوحشة مالا يضره .

من طلب موضعاً سيره فقد أفشاه .

قيلَ لحكيم : مَنْ أَنْعَمُ النَّاسُ عَيْشاً ؟ فقال : من كُفِيَ أمرَ دُنياه ، ولم يهتمَّ بأمرِ آخِرته .

وقيل : من زاد عقله نقصَ حفظه . وما جعل الله لأحدٍ عقلاً وافراً إلا احتسبَ عليه من رِزْقِهِ .

مَنْ قال : لا أدري . وهو يَتَعَلَّمُ أَفْضَلُ مِنْ يَدْرِي وهو يَتَعَظَّمُ .

مَنْ انتحلَ من العلمِ الغايةَ لم يكنْ لجهلهِ نهايةٌ .

من يَدَّعِ العلمَ جُلَّهْ أَعْقَلُ مَنْ يَدَّعِيهِ كِلَاهُ .

مَنْ جَاعَ بَاعَ .

من أحسنَ الاستماعَ استعجلَ الانتفاعَ .

من حَكَّمْ سَادَ . من اعترفَ بالحريرةِ فقد استحقَّ

الغفيرةَ (١) .

(١) الغفيرة والغفران بمعنى واحد .

- من رَغِبَ عن الإخوانِ جَسُرَ على الزَّمانِ .
 من اتَّبَعَ هواهُ أَضَلَّهُ .
 من جَهَّلَ النَّعَمَ عَرَفَ النَّقَمَ .
 من كانت له فكرةٌ فله من كلِّ شيءٍ عِبْرَةٌ .
 من انتَهَرَ الفرصةَ آمِنَ الغُصَّةَ .
 من سَكَتَ فسلِمَ كان كَمَن قال فَغَنِمَ .
 من كَسَرَ النِّطَاحَ لم يَنْلِ النَّجَاحَ .
 من كان له من نفسه واعظٌ كان له من الله حَافِظٌ .
 من كَسَاه الحياءُ ثوبَهُ ، حَجَبَ عن العيون عَيْبَهُ .
 من كَثُرَ مَحْتَدُهُ حَسُنَ مَشْهُدُهُ .
 من خَبَّتْ عُنُصْرُهُ سَاءَ مَحْضَرُهُ .
 من خانَ هَانَ .
 من أَدَمَنَ قَرَعَ انْبَابِ وَاتَّجَ .
 من استَوَطَأَ مَرَكَبَ الصَّبْرِ فَلَجَ (١) .
 من أَخَذَ في أمورِهِ بالاحتياطِ سَلِمَ من الاختلاطِ .
 من نَشَرَ صَبْرَهُ طَوَى أَمْرَهُ .

(١) فلج : ظفر .

من امتنَّ بمعروفه أفسدهُ .
من قلَّ حياؤه كثرَ ذنبه .
من لان عوده كثرَت أغصانهُ .
من حسنَ خلقه كثرَ إخوانه .
من يُبْرِئُ بصيرتك من العَمى أكملُ ممَّن يُصِحُّ
بصرَكَ من القمَدَى .
مَن غرَّه الشبابُ تقطَّعت به الأسبابُ .
من ختمَ البيضاةَ أمينَ الإضاءةِ .
من نظَرَ بعينِ الهوى حاراً ، ومن حكَمَ بحكْمِ
الهوى جاراً .
من ساء خلقه عدَّ ب نفسه . من أحبَّك نهاك ،
ومن أبغضَكَ أغراك . . من أحسنَ الاعتذارَ استوجبَ
الاغْتفَارَ .
من طال صبره ضاقَ صدره .
من احتاجَ إليك ثقلَ عليك .
من زرعَ شيئاً حصدهُ ، ومن قدَّمَ خيراً وجدّه .

من تنزّه عن المطامع لم يُعْتَبِدْ .
 من لم يحتمل بشاعة الدواء دام ألمه .
 من تعلّل بالمُني أفس .
 من اغتاب خرق ، ومن استغفر رقع .
 من بَخُلَّ عليك ببشره لم يَجِدْ عليك ببسره .
 من كَفَّ عنك شره فاصنع به ما سره .
 من تشاغل بالسّلطان لم يتفرّغ إلى الإخوان .
 من استغنى برأيه فقد خاطر .
 من عرف الأيام لم يُغْفِل الاستعداد لها . من أحبَّ
 من لا يعرفه فإنما يُمازح نفسه .
 من حصّن شهوّته صان قدره . من ضاق خلقه
 مله أهله .
 من تقدّم بحسن النية بصّره التّوفيق . من قارب
 الناس في عقولهم سلّم من غوائلهم . من التحفّ
 بالقناعة خالفه العزّ
 من كانت له إلى الناس حاجة فقد خذل .

من عاجج الشَّوقَ لم يستبْعِدِ الدَّارَ . من يزرع
الشَّوكَ لا يحصد به العنب .

من اطمأنَّ قبل الاختبارِ ندمٌ .
من وصلتك وهو مُعْدِمٌ (١) خيرٌ ممَّن جفاك وهو
مُكْثِرٌ .

من لم يغضِ على القَدَى لم يرضَ أبداً .
من تقلّبتْ به الأحوالُ علم جواهر الرّجال .
من حفظَ ماله فقد حفظَ الأكرَمَيْنِ : الدِّينَ
والعيرَ .

من تأدّب صَخيراً انتفعَ كبيراً .
من عدّلَ سَفِيها عَرَّضَ لَلشَّتَمِ نَفْسَهُ .
مَنْ زُنِيَ زُنِيَ بِهِ .

من عتَبَ على الدهرِ طالتْ مُعْتَبَتُهُ .
من سألَ فوقَ قدرِهِ استحقَّ الحرمانَ .
من شتمَ حلِيماً رجعَ ذَمِيماً .
من كَفَّرَ النِّعْمَةَ مُنِعَ الزِّيَادَةَ .

(١) المعدم : الفقير أو قليل المال .

من لم يدارِ عيشه مات قبل أجله .
 من لاحى الرجال ذهب كرامته . من اتخذ
 الثموى صاحباً كانت له ردءاً من الملمات .
 من كتم الأطباء مرضه فقد غش نفسه .
 من أحب أن يصرم أخاه فليقرضه ثم يتقاضاه .
 من أحب لك شيء زال حبه بزواله .
 من قال في الناس ما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .
 من طالب ما عند السلطان بالغلبة لم يزد منه
 إلا بُعداً .

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم
 يكذبهم ، ووعدهم فلم يخافهم ، فقد حرمت غيبته ،
 وكمات مروتته ، وظهرت عدالته ، ووجبت
 أخوته .

من استحيا من غيره ولم يستحي من نفسه فليس
 لنفسه عند مقدار .

من أدب ولده صغيراً سر به كبيراً .

من كَثُرَ خَيْرُهُ كَثُرَ زَائِرُهُ .

من أطال الحديثَ عَرَّضَ نفسه للملالة وسوء الاستماع .

من أظهر شُكْرَكَ فيما لم تأتِ إياه فاحذر أن يَكْفُرَ نعمتكَ فيما أسديتَ إياه .

من تحدَّثَ بحديثٍ قبل أن يتدبَّرَهُ لم يسلمَ من عيبه .
من نظَرَ في العواقبِ لم يَشْفِ غيظَهُ .

من زوجَ كريمته من سفيهٍ فقد عَقَّها .
من منعَ بیرهُ قلَّ أنصارُهُ .
من أطلقَ لسانه أهدرَ دمه .

من تذكَّرَ قُدْرَةَ اللَّهِ عليه لم يستعملْ قُدْرَتَهُ في ظلم عباده .

من منعَ النَّاسَ ما يريدُ منهم مثله ظلمَ نفسه .
من استقصى على النَّاسِ قلَّ صديقُهُ ، ومن أغضى على العوراء (١) سهَّلَ طريقَهُ .

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

من نظر في دينه إلى من هو فوقه يستصغر عمله ،
ونظر في دنياه إلى من هو دونه ليستكثر ما أعطى فقد
وفق لحظته .

قال يحيى بن أكثم : من لم يرج إلا ما هو
مستوجب كان قميناً أن يدرك حاجته . من عرف
ثمار الأعمال فهو جدير ألا يغرس ألا طيباً . من
صحب الحكماء ظفر بحسن الثناء .

من اغتر بالعدو الأريب خان نفسه .
من عديم ماله أنكره أهله ومعارفه . من جانب
هواه صح رأيه .

من عاقب بريثا فنفسه عاقب .
من عرّضت له بليّة رُحيم ، ومن جناها ذم .
من لم يجلس في شبيبته حيث يهوى جالس في كِبَرِهِ
حيث لا يهوى .

من لم يركب المصاعب لم ينل الرغائب .
من كان أغلب حصاله عليه الإحسان اغتفرت
زلاته ، وأقيلت عثرته .

من ردَّ الكرامةَ نصبَ شرَّكاً وثيقاً للعداوة .
 من بخلَ بدينه عَظُمَ ربحُه .
 من قاهرَ الحقَّ قُهِيرَ .
 من تركَ التَّوَقُّيَ فَقَدِ اسْتَسَامَ لِقَضَاءِ السُّوءِ .
 من لم تؤدِّ بهُ المَواعِظُ أدبتهُ الحَوادثُ .
 من تَعوَّدَ الكُفَايَةَ لم يَعْرِفْ مَقْدَارَ الرَّاحَةِ .
 من لم يَعْرِفْ قَدْرَهُ أوشكَ أن يَبْدُلَ ، ومن لم يَدَبِّرْهُ
 ماله أوشكَ أن يَفْتَقِرَ .
 من رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِيسُهُ .
 من لم يَتَحَرَّزْ بِعَقْلِهِ مِنْ عَقْلِهِ هَلَكَ مِنْ قِبَلِ عَقْلِهِ .
 من حُرِّمَ الْعَقْلُ فَلَا خَيْرَ لَهُ وَلَا لِلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِ ،
 ومن حُرِّمَ الْجُودَ فَلَا خَيْرَ لَهُ وَلَا لِلنَّاسِ فِي سُلْطَانِهِ ،
 ومن حُرِّمَ الْفَهْمَ فَلَا خَيْرَ لَهُ وَلَا لِلنَّاسِ فِي قَضَائِهِ .
 من رَضِيَ عَنْهُ الْجَمِيعُ الْمُخْتَلِفُونَ اسْتَحَقَّ اسْمَ
 الْعَقْلِ .

* * *

الباب السابع

في سياسة السُّلْطَانِ وَأَدَبِ الرَّعِيَّةِ

قال بعضُ الحكماء : إنَّ قلوبَ الرَّعِيَّةِ خزائنُ
واليها فما أودعته وجمّده فيها .

قالوا : صِنْفَانِ مُتَبَايِنَانِ : إنَّ صَلَاحَ أَحَدُهُمَا صَلَاحُ
الْآخَرُ : السُّلْطَانُ وَالرَّعِيَّةُ .

قال بعضُ الحكماء : إذا صحّبتَ السُّلْطَانَ فليكنْ
مداراتُك له مداراةَ المرأةِ القبيحةِ لزوجها ؛ فإنَّها
لا تدعُ التَّصَنُّعَ له في كلِّ حالٍ .

قال الأعمشُ : إذا رأيتَ العالمَ يأتي بابَ السُّلْطَانِ
فاعلمْ أنه ليسَ . قال بعضُ الحكماء : لِيُغْنِيَنَّ السُّلْطَانُ
بابَ الأُنسِ بينَه وبينَ كُفَّاتِهِ التَّالِيينَ تَنْفِيذُ أُمُورِهِمْ
في ملكه ؛ فإنَّ مؤانستَه إيتاهم تبعثُ عليه بهم الجرأةَ وعلى
الرَّعِيَّةِ الغشمَ .

قالوا : صِنْفَانِ أَوْ صُلُوحَا صَلَاحَ جَمِيعِ النَّاسِ الْفُقَهَاءُ
وَالْأُمَرَاءُ .

قيل : من داخل السلطان يحتاج أن يدخل أعمى
ويخرج أخرس .

قيل للعتابي : لم لا تقصدُ الأمير ؟ قال : لأنني
أراه يُعطي واحداً لغير حسنة ولا يد ، ويقتلُ آخرَ
بلا سيئة ولا ذنبٍ ولست أدري أيَّ الرجلين أكونُ
أنا ، ولست أرجو منه مقدار ما أخطرُ به .

قيل : العاقلُ من طلب السلامة من عمل السلطان ،
إن عَفَّ جَنَى عليه العفافُ عداوةً الخاصة ، وإن بسطَ
جَنَى عليه البسطُ السنة العامة .

قال سعيد بن حميد : (١) مجلس السلطان كالحمام ؛
من فيه يريد الخروج ومن هو خارج يريد الدخول
فيه .

ابن المقفع : إقبال السلطان تعب ، وإعراضه
مذلة .

(١) سعيد بن حميد ، شاعر عباسي ، من أولاد الدهاقين ، كان
فصيح اللسان وعاش إلى أيام الواثق .

قالوا : ينبغي للمالك أن يتفقّد أمر خاصّته في كلّ يوم ، وأمر عامّته في كلّ شهر ، وأمر سلاطانه في كلّ ساعة .

قال بعضهم : إذا كنتَ محافظاً للسّاطان في ولايتك ، حتّمراً منه عند تقريبه لك ، أميناً له إذا ائتمنك ، تشكّراً له ولا تكلفه الشكر لك ، تعلّمه وكأنك تتعلم منه ، وتؤدبه وكأنه يؤدّبك ، بصيراً بهواه ، مؤثراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضامك ، راضياً إن أعطاك ، قانعاً إن حرّمك ، وإلاً فابعده منه كلّ البعد .

قال حكيم : محلّ الملاك من رعيّته محلّ الرّوح من البدن ، ومحلّ الرعيّة منه محلّ البدن من الرّوح . فالروح تألم لألم كلّ عضو من أعضاء البدن ، وسائرُه لا يألم لألم غيره ، وفي فساد الروح فساد جميع البدن ، وقد يفسد بعض البدن وغيره من سائر البدن صحيح .

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنّما خلّق من قلب الملك ، يتصرف بشهواته ، ويتقلّب بإرادته ، إذا جدّ جدّ ، وإذا تطلّق تطلّق ، لا يمتلئ

المعاشرة ، ولا يسأمُ المسامرةَ ، وإذا انتشى تحفظَ ،
وإذا صحا تيقظَ ويكونُ كاتماً لسره ، ناشراً لبيره ،
ويكونُ للمليك دون العبدِ ؛ لأنَّ العبدَ يخدمُ نائباً والنسبَ
يحضرُ دائماً .

كان مسروقٌ بنُ الأجدعِ (١) ينهى عن عملِ
السلطانِ ، فدعاه زيادٌ وولاه السلسلةَ ، فقبل له في ذلك ،
فقال : اجتمع عليَّ زيادٌ وشريحٌ والشيطانُ ، فكانوا
ثلاثةً وكنتُ واحداً فغابوني .

قيل لبعضِ مَنْ يتصرفُ مع السلطانِ : لا
تصحبهم (٢) ؛ فإنَّ مثألهم مثلُ قديرٍ أسودَ كلما
مسَّه إنسانٌ سرَّده . فقال : إن كان خارجُ القديرِ أسودَ
فإنَّ داخلَه لحمٌ سمينٌ ، وطعامٌ لذيذٌ .

كان يُقالُ : لا سلطانَ إلاَّ برجالٍ ، ولا رجالَ
إلاَّ بمالٍ ، ولا مالَ إلاَّ بعمارةٍ ، ولا عمارةَ إلاَّ بعدلٍ
وحُسْنِ سياسةٍ

(١) مسروق بن الأجدع الهمداني ، أدرك الجاهلية ، وهو تابعي مات
سنة ٦٣ هـ .
(٢) أي السلاطين .

قال بعضُ الماوكِ في خُلبسة : إِنِّمَّا نَمَّاكُ الْأَجْسَادُ
لَا النِّيَّاتِ ، وَنَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لَا بِالرِّضَا ، وَنَقْصُ عَنْ
الْأَعْمَالِ لَا عَنْ السَّرَائِرِ .

قيل : أَفْضَلُ مَا عُوْشِرَ بِهِ الْمُلُوكُ قِلَّةُ الْخِلَافِ
وَتَخْفِيفُ الْمُؤُونَةِ .

قيل : لَا يَقْدَرُ عَلَى صُحْبَةِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ
يَسْتَقِيلُ لَمَّا حَمَلُوهُ ، وَلَا يُلْحِفُ إِذَا سَأَلَهُمْ ، وَلَا يَغْتَرُّ بِهِمْ
إِذَا رَضُوا عَنْهُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمْ إِذَا سَخَطُوا عَلَيْهِ ، وَلَا يَطْغَى
إِذَا سَلَّطُوهُ ، وَلَا يَبْطَرُ إِذَا أَكْرَمُوهُ .

قال فيلسوفٌ : إِذَا قَرَّبَكَ السُّلْطَانُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى
حَدِّ السَّنَنِ ، وَإِنْ اسْتَرْسَلَ إِلَيْكَ فَلَا تَأْمَنْ انْقِلَابَهُ
عَلَيْكَ ، وَارْفُقْ بِهِ رَفْقَكَ بِالصَّبِيِّ ، وَكَلِّمْهُ بِمَا يَشْتَهِي .

ودخلَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ (١) عَلَى الْمَنْصُورِ
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَوَسَّعَ تَوْسَعًا قُرْشِيًّا ،
وَلَا تَضِيقُ ضَيْقًا حِجَازِيًّا . وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ أَمِيرَ الْعِرَاقِيِّينَ لِمُرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، كَانَ
جَوَادًا كَرِيمًا ، وَقُتِلَ سَنَةَ ١٣٢ هـ .

إنَّ سلطانكم حديثٌ ، وإمارتكم جديدةٌ ، فأذيقوا
النَّاسَ حلاوةَ عدلها ، وجنَّبوهم مرارةَ جورها (١) ،
فو اللهِ يا أميرَ المؤمنينَ لقد مَخَضْتُ (٢) لك . ثم نهَضَ
فنهَضَ معه تسعمائةَ من قَيْسٍ ، فَأَتَاهُ (٣) المنصورُ
بصره ثم قال : لا يعزُّ مُلكٌ فيه مثلُ هذا .

قالوا : عدلُ السلطانِ أنفعُ للرعيةِ من خِصْبِ
الزَّمانِ .

كان الفضلُ بنُ الرَّبيعِ يقول : مساءلةُ الملوكِ عن
أحوالهم من كلامِ النُّوكي (٤) ، فإذا أردت أن تقول :
كيف أصبَحَ الأميرُ ؟ فقل : صَبَّحَ اللهُ الأميرَ بالكرامةِ .
وإن أردت أن تقولَ كيف يجدُ الأميرُ نفسه ؟ فقل :
وَهَبَ اللهُ للأميرِ العافيةَ ونحو هذه الأشياءِ فإنَّ
المسألةَ توجبُ الجوابَ فإن لم يجِبْكَ اشتدَّ عليك
وإن أجابَكَ اشتدَّ عليه .

(١) الجور : الظلم .

(٢) مَخَضَ الرأي : قلبه وتدبر عواقبه . والمقصود هنا : فصحت لك .

(٣) أتاه النظر : أتبعه إياه .

(٤) النوكي : الحمقى .

قيل لابن عباس : إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم إلا الشر . قال : بالله الذي لا إله إلا هو للجبور أشب للشر ، والعدل أظفا للجبور . وفي العدل كفاية ، وإليه انتهت السياسة . وقد يصيب الوالي في رعيته بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم ، فأما الأربع اللواتي منهم فالرغبة والرغبة والأمانة والنصيحة . وأما الأربع اللواتي من نفسه فأعطاء من نصحه ، والجزاء لمن أبلاه ، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه ، والتسكين بمن تعدى أمره . فإن هو لم يفعل ذلك وتراخى ابتلي منهم بأربع : بالغش والخللان والحيانة والنكد .

قيل : ليعلم من نال شرف المنزلة من السلطان وهو ذي الأصل أنه ثار الأشراف ، وأنه لانجاة له منهم إلا أن يعمرهم بالإحسان إليهم .

إذا كان الملك ضعيفاً ، والوزير شريهاً ، والقاضي كذوباً ، فرقوا المملك شعاعاً (١) .

(١) شعاع : متفرق .

إذا قنعَ الملكُ بإفسادِ دينه لم تقنعْ رعيَّتُهُ إلا بإزالةِ
مُلْكِهِ .

ظلمُ الرعيةِ استجلابُ البليَّةِ .

أحزمُ الملوكِ من مَلَكٍ جَدُّهُ هَزَلَهُ ، وقهرَ
رَأْيُهُ هَوَاهُ ، وعَبَّرَ عن ضَمِيرِهِ .

دخلَ أبو مُجَلِّزٍ (١) على قُتَيْبَةَ بخراسانَ وهو
يَضْرِبُ رَجُلًا بالعِصَا فقال : أَيُّهَا الأميرُ ، إِنَّ اللَّهَ
جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، ووقتَ له وقتًا ، فالعِصَا لِلْأَنْعَامِ
وَالْهُوَامِ وَالْبَهَائِمِ الْعِظَامِ ، وَالسَّوْطُ لِلْحُدُودِ (٢)
وَالْتَّعْزِيرِ (٣) ، وَالدَّرَّةُ لِلْأَدَبِ ، وَالسَّيْفُ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ
وَالْقَوْدِ (٤) .

قالوا : عَمَلُ السُّلْطَانِ حَدِيثٌ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا .

(١) أبو مجلز لاحق بن حميد البصري أحد علماء البصرة ، وكان
ينزل مخراسان . توفي سنة ١٠٧ هـ .

(٢) أي لمعاقبة الذين يستحلون ما حرم الله كشرب الخمر أو غير
ذلك من المحرمات .

(٣) التعزير : تأديب المذنب تأديبا لا يبلغ الحد الشرعي .

(٤) القود : القصاص .

إذا ضيعت الملوكة سنن أديانها فلتعلم أنها
تهدم أساس ملكها .

لا ينبغي للملك أن يكون سفيهاً ومنه يلتبس
الحليم ، ولا جائراً ومنه يلتبس العدل .

إذا لم يثبت (١) الملك على النصيحة غشته الرعية .

وفد على معاوية عبيد بن كعب النخعي
فسأله عن زياد وسياسته فقال : يستعمل على الجد
والأمانة دون الهوى ، ويعاقب فلا يعدو بالذنب
قدره ويستمر ليستمح بحديث الليل تدبير النهار
قال : أحسن . إن الثقل على القاب مضره بالرأي .
فكيف رأيه في حقوق الناس فيما عليه وله ؟ قال :
يأخذ ماله عنفاً ويعطي ما عليه عفواً . قال : فكيف
عطاياه ؟ قال : يعطي حتى يقال جواد ، ويمنع حتى
يقال بخيل .

قالوا : التذلل للملوك داعية العز والتعز عليهم
ذل الأبد .

(١) أثاب : كافاً .

كثرةُ أعوانِ السَّوءِ مَضَرَّةٌ للأعمالِ .

الدَّالةُ على الملوكِ تُعرَّضُ للسَّقُوطِ .

خيرُ الملوكِ من مَلَكَ جَهْلَهُ بِحِلْمِهِ ، ونَحَرَ قَهْ
برِيقِهِ ، وعَجَلَتَهُ بِأَنَاتِهِ ، وعُقُوبَتَهُ بِعَفْوِهِ وعَاجِلَهُ
بِمِرَاقِبَةِ آجِلِهِ ، وأَمَنَ رَعِيَّتَهُ بِعَدْلِهِ ، وسَدَّ ثُغُورِهِمْ
بِهَيْبَتِهِ ، وجَبَّرَ فَاقَتَهُمْ بِجُودِهِ . يَعْلَمُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ،
وَيَحْسُمُ الدَّاءَ مِنْ حَيْثُ اسْتَبْهَمَ .

السلطانُ في تَنَقُّلِهِ وتَنَقُّلِ النَّاسِ معه كالظِّلِّ
الذي تَأْوِي إِلَيْهِ السَّابِلَةُ .

شِدَّةُ الانْقِبَاضِ مِنَ السُّلْطَانِ تَوْرَثُ الشُّهْمَةَ ،
وسَهُولَةُ الانْبِسَاطِ تَوْرَثُ الْمَلَالَةَ .

من سَعَادَةٍ جَدَّةٍ (١) المرءُ أَلَا يَكُونُ فِي الزَّمَانِ
المُخْتَلِطِ مُدَبِّرًا لِلسُّلْطَانِ .

من سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْضَى عَمَّنْ اسْتَوْجَبَ

(١) الجِد : الحِظ .

السُّخْطَ . ويسخَطُ على من استوجب الرِّضَا من غير
سَبَبٍ معلوم .

بلغ بعض الملوك حُسْنُ سياسةِ مَلِكٍ فكتبَ إليه :
قد بلغت من حُسْنِ السِّيَاسَةِ مَبْلَغًا لم يبلغه مَلِكٌ
في زمانك ، فأفدني الذي بَلَغَكَهُ . فكتبَ إليه :
« لم أَهْزِلْ في أمرٍ ولا نَهِي ، ولا وعدٍ ولا وعيدٍ ،
واستكفيتُ أهلَ الكِيفَايةِ ، وأَثَبْتُ على الغِنَاءِ لا على
الهَوَى ، وأودعتُ القلوبَ هَيْبَةً لم يشُبُّها مَقْتُ (١) ،
ووداً لم يشُبُّه كَذِبٌ ، وعممتُ بالقُوتِ ومنعتُ
الْفُضُولَ (٢) » .

أمران جليلاَنِ لا يَصْلُحُ أحدهما إلَّا بالتَفَرُّدِ به ،
ولا يَصْلُحُ الآخرُ إلَّا بالتعاونِ عليه : وهما المُلْكُ والرأي ،
فإن استقامَ المُلْكُ بالشَّرَكَاءِ استقامَ الرَّأيُ بالتَفَرُّدِ به .
لأشياءَ أهْلِكُ للسلطانِ من صاحبٍ يُحَسِّنُ القولَ
ولا يُحَسِّنُ العملَ .

(١) لم يشبها مقت : لم يخالطها بغض .

(٢) الفضول : مالا فائدة فيه .

اصْحَبِ السَّاطَانَ بِأَعْمَالِ الْحَذَرِ ، وَرَفُضِ الدَّالَّةِ ،
وَالاجْتِهَادِ فِي النَّصِيحِ وَاصْحَبْهُ بِثَلَاثٍ : بِالرَّضَا وَالصَّبْرِ
وَالصَّدَقِ .

اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا ، فَمَا جَاوَزَهُ كَانَ سَرَفًا ،
وَمَا قَصَرَ عَنْهُ كَانَ عَجْزًا . فَلَا تَبْلُغْ بِكَ نَصِيحَةَ السَّاطَانَ
أَنْ تُجَادِيَ حَاشِيَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ
مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَقْضِ لِحَقِّهِ عَنْكَ ، وَأَدْعِ
لِلسَّلَامَةِ لِيَلِيكَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ أَوْلِيَّكَ جَهْدَكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا
فَعَلْتَ ذَلِكَ شَكَرْتَ نِعْمَتَهُ ، وَأَمْنْتَ حُجَّتَهُ ، وَفَلَّحْتَ
عَدُوَّكَ عِنْدَهُ .

إِذَا جَارَيْتَ عِنْدَ السَّاطَانَ كُفْمًا مِنْ أَكْفَائِكَ فَلْيَكُنْ
مَجَارَاتُكَ إِيَّاهُ بِالْحُجَّةِ ، وَإِنْ عَضَّهَكَ (١) ، وَبَارَفَقَ
وَأَنْ خَرَّقَ بِكَ ، وَاحْذَرُ أَنْ يَسْتَلْجِكَ (٢) فَيُحْمِي ، فَإِنَّ
الْغَضَبَ يُعْمِي عَنِ الْفُرْصَةِ ، وَيَقْطَعُ عَنِ الْحُجَّةِ ، وَيُظْهِرُ
عَلَيْكَ الْخِصَمَ .

احْتَرَسْ أَنْ يَعْرِفَكَ السَّاطَانُ بِاثْنَيْنِ : بِكَثْرَةِ الْإِطْرَاءِ

(١) عَضَّهُ : كَذَبَ وَادْعَى عَلَيْهِ الْإِفْكَ .

(٢) يَسْتَلْجِكَ : يُعَادِي فِي خَصْمَتِكَ .

للناس عنده ، وبكثرة ذمتهم ؛ فيعدّ ذلك غلاً منك فإنه
إذا رأى كثرة إطرائك للناس وذمتهم ضرّاً ذلك صديقك
وإن كان حقّاً ، وأمن عدوك كيئدك وإن كان معوراً (١)
وعليك بالقصد والتحرز ؛ فإنه إن عرفك به كنت لعدوك
أضراً ولصديقك أنفع .

لا تتورّد على السّاطان بالدّالة وإن كان أخاك ،
ولا بالحجّة وإن وثقت أنّها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانت
له دونك فإنّ السّاطان تعرض له ثلاث : القُدرة دون
الكرم ، والحميّة دون النّصفّة ، والّاجاج دون الحظ .

سئل بعضهم : أيّ شيء أرفعُ بذكر الملوكة ؟ قال :
تدبيرهم أمر البلاد بعديل ، ومنعهم إيتاها بعزّ . قيل : فما
الذي على الملوكة لرعيّتهم ، وما الذي على الرعيّة لملوكهم ؟
قال : على الملوكة لرعيّتهم ما تأمن عليه أنفسهم ويرغد
عليه عيشهم . وللملوكة على رعيّتهم الشّكر والنّصيحة .

أعلم أن الملوكة تحتاج إلى الوزير ، وأشجع الرّجال
يحتاج إلى السلاح وأجود الخيل يحتاج إلى السّوط ، وأحد
الشّفار يحتاج إلى الميسّن .

صالح الدّنيا بصالح الملوكة . وصالح الملوكة بصالح

(١) معوراً : أعور الفارس : بدا فيه موضع خلل للطعن والضرب .

الوزراء ، ولا يصلحُ الملكُ إلا لأهله ولا تصلحُ الوزارةُ إلا لمستحقِّها .

خيرُ الوزراءِ أصلحُهم للرعيَّة ، وأصدقُهم نيَّةً في النصيحة ، وأشدُّهم ذبًّا (١) عن المملكة ، وأشدُّهم بصيرةً في الطاعة ، وأخذُهم لحقوقِ الرعيَّة من نفسه وساطانته .
ليس شيءٌ للملوكِ أولى بالفرح والسرورِ به في ملكها من سيرةٍ حسنةٍ يسيرونها ، وسنةٍ صالحةٍ يُجرونها ، وزيرٍ صالحٍ يؤيِّدون به .

الوزيرُ الحَيِّرُ لا يرى أن صلاحه في نفسه كأنَّ صلاحاً حتَّى يتصل بصلاح الملكِ ورعيته ، وتكون عنايته فيما عطفَ الملك على عامته ، وفيما استعطف قلوب العامة على الطاعة للملكه ، وفيما قوم أمر الملك والمملكة من تدبيره ، حتَّى يجمع إلى أخذ الحقِّ وتقديمه عموم الأمن والسلامة ، ويجمع إلى صلاح الملك صلاح أتباعه وإذا طرقت الحوادثُ ، ودهمت العظامُ ، كان للملك عُدَّةٌ وعَتَادا ، وللرعيَّة كافيًا محتاطا ، ومن ورائها ذاباً ناصرا ، يعنِّيه من صلاحها ما لا يعنِّيه من صلاح نفسه دونها .

* * *

(١). الذب : الدفاع .

الباب الثامن

نَوَادِرُ لِلنِّسَاءِ الْمَوَاجِينَ وَالْخَوَّارِي

استعرض رجلٌ جاريةً فقال : في يديكِ عمل ؟
قالت : لا ولكن في رجلي .

وأدخل على المنصور جاريتان فأعجبتهما . . فقالت
التي دخلت أولاً : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فضّلني
على هذه بقوله : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » (١) فقالت
الأخرى : لا بل قد فضّلني بقوله : « وَإِلَّا خَيْرٌ خَيْرٌ »
لك من الأولى « (٢) ،

طلبت جاريةً محمود الوراق (٣) للمعتصم بسبعة
آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشتريت له بعد ذلك
من ميراثه بسبعمئة دينار ، فذكر المعتصم لها ذلك يوماً

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة الضحى : ٤ .

(٣) محمود الوراق شاعر عباسي له حكم وأمثال ومواعظ ، توفي
في حدود المائتين والثلاثين .

فَقَالَتْ : إِذَا كَانَ الْخَلِيفَةُ يُنْتَظَرُ بِشَهَوَاتِهِ الْمَوَارِيثَ فَيَسْبَعُونَ
دِينَارًا فِي نَمْنِي كَثِيرٌ . فَكَيْفَ سَبْعِمِائَةً ؟

وَطَلَبَ آخَرُ مِنْ عَشِيقَتِهِ خَاتَمًا كَانَ مَعَهَا فَقَالَتْ :
يَا سَيِّدِي هَذَا ذَهَبٌ وَأَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ ، وَلَكِنْ هَذَا الْعُودُ
حَتَّى تَعُودَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِآخَرَى : أَرَى شَفَفَتَكَ مُتَشَقِّقَةً ،
فَقَالَتْ : التَّيْنُ إِذَا احْتَلَوْنِي تَشَقُّقٌ .

عُرِضَتْ عَلَى الْمَعْتَرِ (١) جَارِيَةٌ فَقَالَ لَهَا : مَا أَنْتِ
مِنْ شَرْطِي قَالَتْ : وَلَكِنَّكَ مِنْ شَرْطِي وَاللَّهِ . فَاشْتَرَاهَا
وَحَظِيَّتْ عِنْدَهُ .

غَابَ رَجُلٌ عَنْ امْرَأَتِهِ ، فَبَلَغَهَا أَنَّهُ اشْتَرَى جَارِيَةً ،
فَاشْتَرَتْ غُلَامَيْنِ ، فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِزَوْجِهَا ، فَجَاءَ مُبَادِرًا
وَقَالَ لَهَا : مَا هَذَا ؟ فَقَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّحَا إِلَى بَغْلَيْنِ
أَحْوَجُ مِنَ الْبَغْلِ إِلَى الرَّحَا . بَيْعِ الْجَارِيَةِ حَتَّى أُبَيِّعَ
الْغُلَامَيْنِ فَفَعَلَ ذَلِكَ .

نَخَطِبُ ثُمَامَةَ الْعَوْنِيَّ امْرَأَةً فَسَأَلَتْ عَنْ حِرْفَتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

(١) الْمَلِكُ : مَا يَمْلِكُ ، أَيْ يَمْضِغُ مِنْ صَمِغِ الصَّنُوبَرِ وَالْفَسْتَقِ وَنَحْوَهُمَا .

وسائلةٍ ما حيرفتني ؟ قلتُ : حيرفتني
مقارعةُ الأبطالِ في كلِّ مـأزقٍ

وضربي طلي الأبطالِ (١) بالسيفِ مُعْلياً
إذا زحف الصَّفَّانِ تحت الحـمـى وافقٍ

فلمّا قرأت الشعر قالتُ للرسول : قل له : فديتُك
أنتَ أسدٌ فاطلبُ نفسك لبؤةً ؛ فإنِّي ظبيّةٌ أحْتَاجُ
إلى غزالٍ .

قال رجلٌ لجاريةٍ اعترضها - وكان دميماً فكرهته
وأعرضتُ عنه : إنما أريدُكِ انفسِي . قالت : فمن نفسك
أفِرُّ .

وذكر بعضهم قالَ : مرّت بي امرأةٌ وأنا أصلي
في مسجدٍ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاتقيتُها
بيدي ، فوقعْتُ على فرجها فقالت : يا فتي ، ما أتيتَ
أشدَّ ممّا اتَّقَيْتَ .

دخلتُ عَزَّةُ على عاتكةَ بنتِ يزيدٍ فقالت : أخبريني
عن قولِ كُثَيِّرٍ :

(١) الطلي : جمع طلية وهي العنق أو أصوله .

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمَةٍ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مَعْنَى غَرِيمُهَا

ما هذا الدَّيْنُ الَّذِي كُنْتُ وَعْدَتُهُ ؟ قالت : كُنْتُ
وَعْدَتُهُ قُبَيْلَةً ، فلم أَفِ لَهُ بِهَا . فقالت : هَلَا أَنْجَزْتُهَا لَهُ
وَعَلَى إِيْمَتِهَا .

وقال عَقِيلُ بْنُ بِلَالٍ : سَمِعْتَنِي أَعْرَابِيَّةٌ أَنْشَدَ :
وَكَمَّ لِيَاةٍ قَدْ بَتَّهَا غَيْرَ آثَمِ

بِمَهْضُومَةٍ الْكَشْحَيْنِ رِيَّانَةَ الْقُلُوبِ (١)

فقالت لي : هَلَا أَثَمْتُ أَخْزَاكَ اللَّهُ .

* * *

(١) القلب : السوار .

الباب التاسع

نَوَادِرُ الْقَصَاصِ *

قِيلَ لِأَبِي الْقُطُوفِ وَكَانَ يُفْتِي وَيُحَدِّثُ وَيَقْصُّ^١
وَهُوَ قَاضِي حَرَّانَ . مَا تَرَى فِي السَّمَاعِ ؟ فَقَالَ : أَمَا
عَلَى الْخَسْفِ (١) فَلَا . وَقِيلَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي نَبِيذِ
الْعَتَسَلِ ؟ قَالَ : لَا تَشْرَبْهُ . قِيلَ : وَلَمْ ؟ أَحَرَامٌ هُوَ ؟
قَالَ : بَلْ هُوَ نِعْمَةٌ لَا تَقُومُ بِشُكْرِهَا .

وَقِيلَ لِطِرْبَالٍ : مَا تَقُولُ فِي الْإِبْطِ يُمَسُّ ،
أَيُّتَوْضَأُ مِنْهُ ؟ قَالَ : يَا بَنُ أَخٍ ، كَمَا يَكُونُ الْإِبْطُ
يُغْتَسَلُ مِنْهُ .

وَكَانَ أَبُو سَيْنَانَ السَّدُوسِيُّ يَقُولُ : فَلَانٌ عِنْدِي
أَكْفَرُ مِنْ رَامْهَرُ مَزْ .

(*) حَافِظُ الْمُؤَلَّفِ عَلَى كَلَامِ الْقَصَاصِ عَلَى الرَّغْمِ مَا فِيهِ مِنْ تَخْلِيطٍ .
وَالْقَصَاصُ : مَفْرَدُهَا : قَاصٌ ، وَهُوَ مَنْ يَجْلِسُ فِي مَسْجِدٍ لِلْوَعظِ .
(١) السَّاعِ عَلَى الْخَسْفِ : عَلَى غَيْرِ أَكْلِ .

وبكى حوله ولده وهو يريد مكة فقال : لا تبكوا ،
بأبي أنتم . فإنني أريد أن أضحى عندكم .

قال أبو عثمان : وكان عندنا قاص^١ يقال له : أبو
موسى فأتخذه يوماً في ذكر^٢ قصر أيام الدنيا وطول
أيام الآخرة ، وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة ،
فقال : هذا الذي عاش خمسين سنة لم يعيش شيئاً
وعليه فضل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال :
خمس^٣ وعشرون سنة ليل^٤ هو نائم^٥ فيها ، لا يعقل^٦
قليل^٧ ولا كثيراً ، وخمس^٨ سنين قائلة^٩ (١) ، وعشرون
سنة^{١٠} إما أن يكون صبي^{١١} ، وإما أن يكون معه سكر^{١٢}
الشباب وهو لا يعقل^{١٣} ، ولا بدء^{١٤} من صبيحة^{١٥} بالغداة ،
ونعسة^{١٦} بين المغرب والعشاء ، ويناله فيها كالغشي^{١٧}
الذي يصيب الإنسان مراراً في دهره ، فإذا حصلنا
ذلك فقد صح^{١٨} الذي عاش خمسين سنة لم يعيش شيئاً
وعليه فضل سنتين .

قرأ سيفويه القاص^{١٩} : « ثم^{٢٠} في سياسة^{٢١} ذرعها^{٢٢}

(١) قال : نام وسط النهار .

تسعون ذراعاً « فقليل له : فإن الله يقول : « سبعةون ذراعاً (١) » ، وقد زدت أنت عشرين ذراعاً فقال : نعم هذه عبادات ابغها (٢) ووصيف (٣) ، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانيق ونصف .

سأل واحد سيموييه عن حفظه القرآن فقال : أحفظه آية آية ، قل له : فما أول الدخان ؟ قال : الحطب الرطب .

وكان أبو كعب القاص يقول في دعائه : اللهم صل على جبريل ، واغفر لأمتنا عائشة ، وعافني من وجع البطن .

كان أبو عقيل القاص يقول : الرعد مأك أصغر من نملة وأعظم من زنبور . فقالوا : لعلك

(١) الآية : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » سورة الحاقة : ٣٢ .

(٢) بغا الشرابي : قائد تمرد وطني واستبد في الدولة العباسية قتل سنة ٢٥٤ هـ .

(٣) وصيف التركي أكبر أمراء الدولة في عهد المعز ، استصفى أمواله المعز ، وسجنه وقتل وصيف سنة ٢٥٣ هـ .

تريدُ أصغرُ من زنبور وأعظمُ من نحلة . فقال : لو
كان كذلك لم يكن بعجبٍ .

وسألهُ رجلٌ وهو في الجامع عن مسألة في الحَيْضِ
لم يعرفها فقال : ويلاك . خَرَّجَ هذه القاذورات من المسجدِ
حتى نخرجَ .

وكان بعضهم يقول : اللهم اغفر لنا كلَّ نعمةٍ
وحسنةٍ ، واحشُرني في جملة سيّدي أبي عبد الله بنِ
حنّبلٍ ، ولا تغفرْ للرّافضةِ .

كان بعضهم يقولُ . يامعشرَ الناسِ ، إنّ الشيطانَ
إذا سمّى الإنسانَ على الطّعامِ والشرابِ لم يأكلْ معه .
وإذا لم يُسمَّ أكلَ معه ، فكأوا خُبزَ الأرضِ والمالِحِ
ولا تسمّوا ليأكلَ معكم ، ثم اشربوا وسَمّوا ليموت عَطَشاً .
حقّقَ بعضهم لحديثه وقال : إنّها نبتت على المعصية .

وكان بعضهم يحجُّ عن حمزةٍ ويقول : استشهد
قبل أن حجّ ، ويضحّي عن أبي بكرٍ وعمرَ يقولُ
أخطأ السُّنة في تركِ الأضحيةِ .

وقبَّله آخرُ إحدى عينيه وقال : النَّظَرُ بهما إسرَافٌ .
 وكان بعضُ القصَّاصِ يتشددُ في خَلْقِ القرآنِ ،
 فسُئِلَ عن معاويةَ : هل كان مخلوقاً ؟ فقال : كان
 إذا كتبَ الوحيَ غيرَ مخلوق ، وإذا لم يكتبْ كان مخلوقاً .
 قال بعضُ القصَّاصِ يوماً : يا قومُ ، هل علمتم أن
 الله قد ذكرَ الهَرِيسَةَ في القرآن لفضلها ؟ فقالوا : أين
 ذكرها ؟ فقال : اذْبَحُوا بَقْرَةَ (١) « واضربوه
 ببعضِها (٢) » ، « وفار التَّنُّور (٣) » : « ولترْكَبُنَّ
 طبقاً عَنْ طَبَق (٤) » .

سأل رجلٌ سيفَوِيهَ القاصَّ : ما الغِسلَينِ (٥) في
 كتابِ الله تعالى ؟ فقال : على الخبيرِ سقطت . سألتُ
 عنه شيخاً من فقهاء الحجازِ مُنذ أكثر من ستين سنةً
 فقال : لا أدري .

(١) الآية : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » « سورة البقرة : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٣ .

(٣) سورة هود : ٤٠ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٥) في الآية : « ولا طعام إلا من غسلين » سورة الحاقة : ٣٦ .

وجاءت امرأة^١ إلى واحدٍ منهم فقالت : يا جعفرُ ،
 مريمُ بنتُ عمرانَ كانت نبيّةً ؟ قال : لا يفاعلةُ .
 قالت له : فإيش كانت ؟ قال : كانت ملائكةً .
 كان عبدُ الأعلى قاصاً : فقال يوماً : تزعمون أنّي
 مُراءٍ ، وكنتُ والله أُمسِ صائماً ، وقد صُمتُ اليومَ
 وما أنجرتُ بذلك أحداً .

ومرَّ عبدُ الأعلى بقوم وهو يتمايل سُكراً فقال
 إنسان : هذا عبدُ الأعلى القاصُ . فقال : ما أكثرَ من
 يُشَبِّهني بذلك الرجلِ الصّالحِ !

قال قاصٌ بالمدينةِ في قصصه : ودَّ إبليسُ أن لكلِّ
 رجلٍ منكم خمسين ألفَ درهمٍ يَطْغى بها . فقال
 رجلٌ من القوم : اللهمَّ أعطِ إبليسَ سؤله فينا .

حكى عن شيخٍ منهم ببغداد كان يُعرفُ بخشنِ
 حمامةٍ أنّه كان يقول : خلفاءُ الله في الأرضِ ثلاثةٌ :
 آدمُ لقوله : « إنّي جاعلُك في الأرضِ خليفةً » (١)

(١) هكذا كتبت والآية : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في
 الأرض خليفة « سورة البقرة : ٣٠ .

وداودُ : « إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ (١) »
 وأبو بكر ، لقول الأمة : أَيَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ .
 والأمناءُ ثلاثةٌ : جبريلُ لِأَنَّهُ تَحْمَلُ عَنْ اللَّهِ ، ومحمدُ
 لِأَنَّهُ بَلَغَ الْأَمَةَ ، ومعاويةُ لِأَنَّهُ كَتَبَ الْوَحْيَ .

وبلغَ من عقلِهِ أَنَّهُ رَأَى عَقْرَبًا فِي دَارِهِ فَقَالَ لَهَا :
 يَامَشْؤُومَةُ ، اخْرُجِي لَا تَقْتُلِي أُمَّي .

وكان مولعاً بإطعامِ الكلابِ ويقول إذا أطعمها :
 هؤلاءُ أولى من الرافضةِ .

قال الأصمعي : اختصمتِ الطِّفَاوَةُ وبنو راسبٍ
 فِي صَبِيٍّ يَدْعِيهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى ابْنِ عَرَبَاضٍ ،
 فَقَالَ : الْحُكْمُ فِي هَذَا بَيِّنٌ . قَالُوا : وَمَاهُو ؟ قَالَ :
 يُلْتَقَى الصَّبِيُّ فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ طَفَا فَهُوَ طِفَاوِيٌّ ، وَإِنْ رَسَبَ
 فَهُوَ رَاسِبِيٌّ .

كانت أمُّ عِيَّاشٍ تُحْسِنُ إِلَى سِيفَوِيٍّ وَتَتَعَهَّدُهُ ،
 فَكَانَ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ قَالَ : يَامَعَاشَرَ الْمُسْلِمِينَ
 ادْعُوا اللَّهَ لِأُمِّ عِيَّاشٍ ، فَإِنَّهَا صَدِيقَتِي . فَبَلَغَ عِيَّاشُ

(١) سورة ص : ٢٦ .

فبعثَ إليه وقال : قد فضحتني بهذا القول فأمسِكْ عنه .
فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ ! لو أنَّها معي في إزارٍ واحدٍ
ما كنتَ تخافُ عليَّ .

قال أبو العنَّابِ : سمعتُ قاصّاً بالكوفة يقول في
قصصه : تحت رأسٍ وليَّ الله في الجنة سبعون ألف
مخدَّة ، والمخدَّة سبعون ألف حجاب ، ما بين الحجاب
والحجاب سبعون ألف عام . قال : فقلتُ : فإن سقطَ
من فوق تلك الفرش كيف يعملُ ؟ فقال : إلى النار
يا صفَّحانُ .

قال بعضهم في قصصه : كان أبو جهلٍ خُوزيّاً (١) ،
ف قيل له : بل هو قرشيٌّ مخزوميٌّ ولكنَّه كافرٌ . فقال :
يتكلَّمُ أحدُكم بما لا يعلم ، كلُّ كافرٍ خوريٌّ .

قال آخر في مجلسه : زعم قومٌ أني لا أحسنُ القرآنَ .
وهل في القرآن أشرفُ من : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » .
وأنا أقرؤه مثلَ الماء ، وأبتدأُ وقرأ فلما بلغ قوله : « ولمْ

(١) الخوز : تطلق على خوزستان ، وأهلها مشهورون قديماً بأنهم
أسقط الناس نفساً .

يَكُونُ لَهُ « أُرْتَجَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْضُرَ خَتْمَةَ
السُّورَةِ فَلْيَحْضُرْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

دَفَعَ وَاحِدٌ قِطْعَةً إِلَى قَاصٍّ وَقَالَ : ادْعُ لِي وَلِأَبَوَيَّ
بِالْمَغْفِرَةِ ، فَرَفَعَ الْقَاصُّ رَأْسَهُ وَقَالَ : ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ بِقِرَاطٍ ؟
وَأَرَانْخَصَاهُ !

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : فِي لَحِينِكَ هَرِيرَةٌ (١) فَقَالَ : هَذِهِ مِنْ
تِلْكَ الْجُمُعَةِ .

وَمَاتَ عَيْسَى بْنُ حَمَّادٍ الطَّلْحِيُّ وَقَدْ أَوْصَى بِأَكْثَرِ
مِنْ ثُلُثِ مَالِهِ ، فَأَجَازَ ذَلِكَ وَلَدُهُ وَامْرَأَتُهُ ، فَأَتَوْا أَبَا
أَسِيدٍ لِيَكْتُبَ بِذَلِكَ كِتَابًا ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا فَتَيَانُ أَمْشِكُمُ
قَدْ بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ أَمْ لَا .

وَمَرَّ بِقَوْمٍ يَصِيدُونَ السَّمَكَ ، فَقَالَ : يَا فَتَيَانُ ،
مَالِحٌ أَوْ طَرِيٌّ .

وَدَخَلَ يَوْمًا فِي الْمَاءِ إِلَى كَعْبِهِ فَصَاحَ : الْغَرِيقَ ،
الْغَرِيقَ . فَقِيلَ لَهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى ذَاكَ ؟ فَقَالَ : أَخَذْتُ
بِالْوَثِيقَةِ .

(١) الدقيق المهروس جيداً أو المخلوط .

قيل لبعضهم : أيسرك أن الله أدخلك الجنة وأنت شاة ؟ قال : نعم بشرط ألا يذهبوا بي إلى التيتاس .

جاء رجل إلى واحد منهم فقال : ما تقول في شرب النبيذ ؟ قال : لا يجوز . قال : فإن كان الرجل قد أكل المالح ؟ قال : قد رجعت مسألتك إلى الطب .

صلى سيفوييه يقوم وسلم عن يمينه ولم يسلم عن يساره ، ف قيل له في ذلك فقال : كان في ذلك الجانب إنسان لا أكلمه .

جاس أبو ضمضم ينسب قبائل العرب فقال له بعضهم : يا أبا ضمضم : آدم من أبوه ؟ فحملته استقباح الجهل عنده بشيء من الأناساب على أن قال : آدم بن المضاء بن الخليج وأمه ضباعة بن قيرزام . فتضاحك القوم وثاب إليه عقله فقال : إنما نسبت أختاً لآدم من أمه .

رأى بعض أهل نيسابور جنازة فقال : ربي وربك الله لا إله إلا الله فسمعه آخر فقال : أخطأت . قل : اللهم ألبسنا العافية ، وتشاجرا فتحكما إلى قاض لهم فقال : لم يصب واحد منكما . إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

كان عبدُ الأعلى القاصُّ يتكلَّفُ لكلِّ شيءٍ اشتقاقاً
 فقال : الكافرُ إنما سُمِّيَ كافراً لأنَّه اكتفى وفرَّ .
 قيل له : بماذا اكتفى ومن أيِّ شيءٍ فرَّ ؟ قال : اكتفى
 بالشَّيطانِ وفرَّ من الله . وقال : سُمِّيَ الزَّنديقُ زنديقاً
 لأنَّه وزنُ فذقَّ . وسُمِّيَ الباغِمُ باغماً لأنَّه بلاءٌ وغمٌ .
 وسُمِّيَ الدرهمُ درهماً لأنَّه داءٌ وهمٌ . وسُمِّيَ الدِّينارُ
 ديناراً لأنَّه دينٌ ونارٌ . وسُمِّيَ العُصفُورُ عصفوراً لأنَّه
 عصا وفرٌّ . وسُمِّيَ الطَّفَيْشَلُ طَفَيْشَلاً لأنَّه طفا
 وشال (١) . وسُمِّيَ نوحٌ نوحاً لأنَّه كان ينوحُ على قومه .
 وسُمِّيَ المسيحُ مسيحاً لأنَّه مسحَ الأرضَ .

جاء رجلٌ إلى بعضهم فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ
 رمضانٍ ساهياً ، فما عليَّ ؟ قال : تصومُ يوماً مكانه .
 قال : فصمتُ . فأتيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً (٢) ،
 فسبقتني يدي إليه فأكلتُ منه . قال : تقضي يوماً آخرَ . قال :
 فقضيتُ يوماً مكانه ، وأتيتُ أهلي وقد عملوا هريساً

(١) الطفيشل : نوع من الطعام أو المرق .

(٢) الحيس : طعام من التمر المعجون بالسمن .

فسبقتني يدي إليه فأكلت منه فما ترى ؟ قال : أرى ألا
تصومَ إلاَّ ويدُك مغلولةٌ إلى عنقك .

ماتت أمُّ ابنِ عِيَّاشٍ فأتاه سيفويهٍ معزياً فقال :
يا أبا محمد ، عَظَّمَ اللهُ مَصِيبَتَكَ . فتبسَّم ابن عِيَّاشٍ
وقال : قد فعل . فقال : يا أبا محمد ؛ هل كان لأُمِّك
ولدٌ ؟ فقال ابنُ عِيَّاشٍ عن مجلسه وضحك حتَّى استلقى
على قفاه .

* * *

الباب العاشر

نَوَادِرُ الْقَضَاةِ لِمَنْ نَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ

اختصم رجلٌ وامرأةٌ إلى سوار ، فقال الزوجُ
لسوار : أصالح الله القاضي ، لو عرفتُها لبصقتُ في استِـيها .
فقال سوار : اغربُ ، عليك لعنةُ الله .

قال بعضهم : سمعتُ رجلاً جِيءَ به إلى التيميِّ
القاضي ، فقال : يا معشرَ القاضي . كم يسجروُنك
إليَّ بحالٍ أنَّهُم واحدٌ وأنا سيِّئةٌ ، لا يجدون أحداً
يظلمونك إلاَّ غري .

اختصمَ رجلان إلى قاضٍ ، فدنا أحدهما منه وقال
له سرّاً : قد وجَّهْتُ للدَّارِ فراريجَ كسْكرية (١) ،
وحِيْطَةً بلدِيَّةً كذا وكذا . فقال القاضي بصوت عالٍ :
كانتُ لك بينةٌ غائبةٌ انتظرناها ، ليس هذا مِمَّا يُسارُ به .

(١) نسبة إلى كسكر ، كورة واسعة قريبة من البصرية ، ينسب
إليها نوع من الفراريج يكثر بها .

قال محمد بن رباح القاضي : تقدم إلي قُشَمُ مع
ابن أخيه ، فادَّعَى عليه خمسة آلاف دينار فقال قُشَمُ :
نعم له عليّ ذلك من أيّ وجهٍ . فقلتُ : قد أقررت له
بالمال ، فإن شاء فسّر الوجه ، وإن شاء لم يفسّر . فقال
ابن أخيه : أشهد أنّّه بريء منها إن لم أثبتّها . فقلت :
وأما أنت فقد أبرأته إلى أن تُشهِت ذلك . فما رأيت أضعف
منهما في الحكم .

قال بعض القضاة الحمقى : قد عزمتُ على أن
أخصي عتدين للشهادة على النساء .

لما خرج المأمون إلى فَمِ الصُّلَحِ (١) لينقل بوران
بنت الحسن ، إذا جماعة على الشَّطِّ وفيهم رجل ينادي
بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ؛ نبعث القاضي قاضي
جبّل (٢) جزاه الله عنّا أفضل ما جزى أحداً من القضاة ؛
فهو العفيف النّظيف ، النّاصح الحبيب ، المأمون الغيب .

(١) فَمِ الصُّلَحِ : نهر يستمد من دجلة ، ويمر بكورة تسمى

الصلح بها منازل الحسن بن سهل .

(٢) جبّل بليدة بين النعمانية وواسط ، وبقاضيتها يضرب المثل .

وكان يحيى بن أكرم يعرفُ قاضي جبَّيل وهو ولاهُ
وأشارَ به . وإذا هو القاضي نفسه ، فقال : يا أمير المؤمنين :
إن هذا الذي ينادي ويُسْتَنقَى على القاضي هو القاضي نفسه .
فاستضحك المأمونُ واستطرفه وأقره على القضاء .
وقد كان أهلُ جبَّيل رفعوا عليه وذكروا أنه
سفيهٌ حديدٌ يعرضُ رؤوسَ الخصوم فوقَّع المأمونُ :
يُسْتَنقَى (١) إن شاء الله .

جلس أبو ضمضم القاضي للحكم فلمح في
متجسسه رجلاً معه أواخٌ يعلقُ نوادره فرماه بالدواة
وشجَّه ثم أمر به إلى الحبس . فقال كاتبه : ما أكتبُ
قصته في الديوان . قال : اكتب : استرق السمع
فاتبعه شهابٌ ثاقبٌ .

اختصم إلى أبي ضمضم رجلان فأقرَّ أحدهما لصاحبه
بما ادَّعاه عليه وقال : أعزَّ الله القاضي . إنني كلما
طلبته لأوفيه حقه لا أجده فإنه رجلٌ شريبٌ منهمك
في الشربِ أبداً عند أصحابه وأصدقائه ، وأنا رجلٌ منعيلٌ

(١) يشنق : يؤخذ من الشنق ، وهو الأرش .

أحتاجُ أن أكسبَ قوتَ عيالي ، ولا يشهياً لي أن أتعطّلَ
 عن كسبي وأدور في طلبه . فأمر أبو ضمضم بحبس
 صاحب الحق . وقال لغريمه : اذهب فاشتغلْ بطلبِ
 معاشك ومكسبك ، فإذا حضرَكَ ما تردُّه عليه فأحمله
 إلى الحبسِ حتّى لا تحتاج أن تدورَ في طلبه . فبقي الرجلُ
 في الحبسِ ثمانين يوماً وصاحبه يحملُ إليه الشيءَ بعد
 الشيءِ إلى أن بقيَ له عشرةُ دراهمٍ فأرسلَ إلى القاضي
 وقال : إن رأيتَ أن تُفْرِجَ عني فلم يتبق لي على غريمي
 إلا عشرةُ دراهمٍ فقال : لا والله لا تبرحُ حتّى تأخذَ
 حقَّكَ !

غابَ رجلٌ في بعض أسفاره ، وطالت غيبته فأرجفَ
 به وبموته ، وأتى على ذلك مدّةٌ ، وبلغَ قاضي البلدِ
 جمالُ امرأته فخطبها وتزوَّجها فصار إليه أهلُ بيتٍ
 زوجها وبنو أعمامه وقالوا : أعزَّ اللهُ القاضي . لم يصحَّ
 عندنا موتُ هذا الرجلِ ونحنُ في شكٍّ منه ، فكيف
 تتزوَّجُ بامرأته ؟ فغضب القاضي وقال : أنتم تسخرون
 بالنساء . والله ما يغيبُ أحدُكم إلا تزوجت بامرأته .

تقدم رجلان إلى قاضيٍ وادّعى أحدهما على صاحبه
 درهماً من ثمن زيتحانٍ اشتراه فأنكر واستحلفه فقال القاضي :
 قل : والله الذي لا إله إلا هو . فقال الرجل : أصلحك
 الله ! ليست هذه يمين أصحاب الرّياحين . قال القاضي :
 وما يمينهم ؟ قال : أن يقول أمّه فاعلةٌ إن كان لهذا عليه
 شيءٌ . قال القاضي : ما أشكُ في صدقك ، وغرم
 الدرهم من عنده .

قال الأصمعيّ : أقيتُ قاضي سبّذان (١) فقلت :
 على من تقضي ؟ فقال على الضّعيف .

كان أبو السّكينة قاضياً للحجاج بن يوسف وكان
 طويلاً فقال يوماً : بلغني أن الطّويل يكون فيه ثلاثُ
 خللٍ لا بدّ منها قال : قلت : ما هي ؟ قال : يفرّقُ من
 الكلاب ولا والله ما خلّق الله دابةً أنا لها أشدُّ فرّقا من
 الكلاب ، أو تكونُ في رجله قرحةٌ ولا والله ما فارتُ
 رجلي قرحةً قط أو يكونُ أحمق وأنتم أعلمُ بقاضيكُم .

(١) سبّذان : بلدة على أربعة فراسخ من البصرة .

ولي عكابة النميري قضاء البحرين فالتاها أهله عليه
فركب فرسه وأخذ رُمحه وقال : والله لا أقضي إلا
هكذا من خالفني طعنته برمحي .

كان بالبصرة قاضي ، فاحتكم إليه حائك في حمامة
فأخذها ومسح عينها ثم أرسلها . فقال الحائك : ما فعلت
أيها القاضي ؟ قال : تذهب إلى بيت صاحبها .

وتقدم إليه رجلان ومعهم امرأة فقال أحدهما :
أصاحك الله . هذه امرأتي تزوجتها على ستين درهماً
وهذا يدعي أنه يتزوجها على سبعين فقال القاضي :
عليّ بثمانين . فقالا : أصاحك الله جئناك لتقضي بيننا ،
لم نجعلك لتزايدينا . قال القاضي : فأنتما في شيرى وبيع ،
فوما في لعنة الله .

تقدم إلى قاضي اثنان فادعى أحدهما على صاحبه
ثلاثة أرباع دينار . فقال القاضي : ما تقول ؟ قال له :
عليّ دينار غير ربع ، ففكّر ساعة ثم قال : أما تستحيان

في هذا القدر . إنما بينكما ثلث دينار ! قوما فاصطلحا
فالصالح خير .

واختصم إليه رجلان في ديك ذبحته أحدهما فقال :
ارتفعوا إلى الأمير ، فإننا لا نحكم في الدماء .

وعزل يحيى بن أكثم قاضياً كان له على حمص
من أهلها فلما قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له : من
جالست با شيخ ؟ فقال : أبي . فظن أن أباه من أهل
العام . قال : فمن جالس أبوك : قال : مكحولاً (١)
قال : فمن جالس مكحول ؟ قال : سفيان الشوري .
قال : ما كان يقول أبوك في عذاب القبر ؟ قال : كان
يكرهه .

تزوج بعض الخصيان في زمن شريح بامرأة
فأتت بولد فتبرأ الخصي منه وترافعا إلى شريح . فألحق

(١) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الولدُ به وألزمته أن يحمله على عاتيقه فخرج على تلك
الصورة واستقبله نخصيٌّ آخر . فقال له : انجُ بنفسك
فإنَّ شرَّيحا يريدُ أن يفرِّقَ أولادَ الزَّنى على الحصيانِ .

* * *

الباب الحادي عشر

نَوَادِرُ لِأَصْحَابِ النِّسَاءِ وَالزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي

قال بعضهم لأعرابي : هل يَطَّأُ أحدُكم عشيقتَه ؟
 فقال : بأبي أنت وأمِّي ذاك طالبٌ ولدٍ ليس ذاك بعاشقٍ .
 سمعَ إسماعيلُ بنُ غزوانَ قولَ اللهِ تبارك وتعالى
 « قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ
 عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » ذَلِكُ لِيَعْلَمَ
 أَنِّي لَمْ أَخُنُّهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ » (١)
 فقال : لا وَاللَّهِ إِنِّ سَمِعْتُ بِأَغْزَلِ مِينَ الْفَاسِقَةِ .
 ولما سَمِعَ بِكَثْرَةِ مُرَاوِدَتِهَا لِيُوسُفَ وَاسْتَعْصَامِهِ بِاللَّهِ
 قال : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ بِي مَحْكُوتٌ (٢) .

أشارَ ضيفٌ لقومٍ إلى بنتٍ لهم بِقُبْلَةٍ وهي خلفُ
 الحِباءِ ، فلما سمعَ الشَّيْخُ قولَ الجاريةِ : إِنِّي إِذَا
 الطَّوِيلَةُ الْعُسُقِ قال : وَبَيْتِ اللَّهِ لَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بِقُبْلَةٍ .

(١) سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) محك : لج في المنازعة .

أتى نوفلُ بابن أخيه وقد أحبلَ جاريةً لغيره فقال :
ياعدو الله ، هلاَّ إذا ابتليت بالفاحشة عَزَلْتُ . قال :
بلغني أنَّ العزلَ مَكْرُوه . قال : أفما بلغك أنَّ الزَّنى
حرامٌ .

جاء رجلٌ إلى عابدٍ فسأله عن القُبلة للصَّائم ،
فقال : تُكْرَهُ للحدَثِ ، ولا بأسَ بها للمُسِنَّ ، وفي
الليل لك فُسُوحَةٌ . فقال : إنَّ زوجها يعودُ إلى منزله
إيلاً فقال : يا بن أخٍ ، هذا يُكْرَهُ في شِوَالٍ أيضاً .

أخذَ رجلٌ مع زَنَجِيَّةٍ وكان قد أعطاهَا نصفَ درهمٍ ،
فلَمَّا أتى به إلى الوالي أمرَ بتَجْرِيدِهِ وجعل يضربه
ويقول : ياعدو الله ، تزني بزَنَجِيَّةٍ ! فلَمَّا أَكْثَرَ
قال : أصلحك الله ، فبنصفِ درهمٍ ليشْ أَجْدُ ،
ومن يعطيني ؟ فضحك وخلاه .

وجدَ شيخٌ مع زَنَجِيَّةٍ في ليلة الجمعةِ في مَسْجِدٍ ،
وقد نَوَّمتَهَا على الجِنَازَةِ (١) فقل له : قَبَّحَكَ الله
ياشيخُ . فقال : إذا كنت أشتهي وأنا شيخٌ لا ينفعني

(١) الجنَازة - بكسر الجيم - السرير الذي يحمل عليه الميت .

شبابكم ، قالوا : فزنجيَّةٌ : قال : من يزوجني منكم
 عربيَّةً ؟ قالوا : ففي المسجد ! قال : مَنْ يُفَرِّغُ لي
 بيته منكم ساعةً ؟ قالوا : فعلى جنازةٍ ! قال : من يعطيني
 سريرَه . قالوا : فليلةٌ جُمُعةٌ قال : إن شئتمْ جثتكمْ
 ليلةَ السَّبْتِ فضحكوا منه وخلصوه .

وكان بعضهم في مجلسٍ شُرِبَ فيه مغنَّياتٌ فقامت
 واحدةٌ منهن فكانت مليحةً ، فوضعتِ الطبل وقعدتُ
 عليه ، فقال : يا إخوتي . ما كنتُ أحسبُ أنِّي أحبُّ يوماً
 ما أن أكون طبلًا حتى الساعة !

كان بشيرازَ رجلٌ وله زوجةٌ فاسدةٌ ، فنزلَ به
 ضيفٌ فأعطاهم دراهمَ وقال لها : اشترى لنا رؤوساً
 نتغدى بها ، فخرجت المرأةُ ولقيها حَرِيفٌ^(١) فأدخلها
 إلى منزله وأحسَّ بهما الجيرانُ ، فرفعوهما إلى السلطانِ .
 وضربتُ المرأةُ وأرکبتُ توراً ايُطَافَ بها في البلدِ
 فلمَّا أبطأتُ على الرجل نخرج في طلبها ، فرآها على تلك
 الحالِ فقال لها : ما هذا ويَئُتُكَ ؟ قالت : لا شيءٌ انصرفُ

(١) الحريف : المعامل في الحرفة ، والمقصود هنا القواد .

أنت إلى البيت فإنَّما بقي صَفَّانِ : صفُّ العطارينَ وصفُّ الصَّيادلةِ ثمَّ اشترى الرعوسَ وأجيشك .

قال، بعضهم : مررت ذات يوم بشارع السريِّ بسرِّ مَنْ رَأَى فرأيت امرأتى تمشي فظننتها من الباديةِ ، فعرضتُ لها وقلت : إلى أين يقصد الغزالُ ؟ فقالت لي : إلى منزلها يا قليلَ المعرفةِ بأصحابه .

كان فُلان مفلساً فقال لامرأةٍ : أنا أحبك . قالت : وما الدَّليلُ على ذلك ؟ قال : تعطيني قفيزَ دقيقٍ حتى أعجنه بدموعِ عيني . قالت : على أن تعجنيء بخبزهِ إلينا . قال : ياسيِّدتي ، فأنتِ تريدين خبازاً لا تريدين عاشقاً .

تزوج رجل بشيرازَ امرأةً فلما كان في اليومِ الخامس من زفافها ولدتُ ابناً ، فقامَ الرَّجل وصارَ إلى السَّوق واشترى لوحاً ودواةً فقالوا له : ما هذا ؟ قال : من يُولدُ في خمسةِ أيَّامٍ يذهبُ إلى الكُتَّابِ في ثلاثةِ أيَّامٍ .

* * *

الباب الأول

(٥) من الجزء الخامس من فتر الدر .

كلامُ زيادٍ وولده (١)

قال : إن تأخيرَ جزاءِ المذنبِ لومٌ ، وتعجيلُ عقوبةِ المسيءِ دناءةٌ . والتثبتُ في العقوبةِ ربُّما أدَّى إلى سلامةٍ منها ، وتأخيرُ الإحسانِ ربُّما أدَّى إلى ندمٍ لم يُمكن صاحبه أن يتلافاهُ .

وقال زيادٌ لو أن لي ألفَ ألفِ درهمٍ ، ولي بعيرٌ أجربٌ لقمْتُ عليه قِمامَ رجلٍ لا يملكُ غيرهُ . ولو أن لي عشرةَ دراهمٍ لا أملكُ غيرها ، ولزمني حقٌ لوضعتُها فيه .

وقال لابنه : عليك بالحيجابِ ، فإنما تهجراتِ الرُّعاةُ على السباعِ بكثرةِ نظرها إليها .

ونخطبَ فقال : الأمورُ جاريةٌ بأقدارِ الله ، والناسُ متصرفون بمشيئةِ الله ؛ وهم بين متسخطٍ وراضٍ ،

(١) ولد زياد : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ولد بالبصرة سنة

٨٢٨ ، وتوفي سنة ٨٦٧ .

وكل يجري إلى أجلٍ وكتابٍ ، ويصيرُ إلى ثوابٍ أو
عقابٍ . ألا ربُّ مسرورٍ بنا لا نسرُّه ، ونخائفٍ ضداً لنا
لا نضرُّه .

وكان في مجلسه الذي يأذنُ فيه الناسَ أربعةً أسطرٍ
في نواحيه ، أولُها : الشدةُ في غيرِ عنفٍ ، واللينُ في
غيرِ ضعفٍ . والثاني : المحسنُ يُجازى بإحسانه ،
والمسيءُ يكافأُ بإساءته . والثالثُ : العَطَيَّاتُ والآرزاقُ
في إبتائها وأوقاتها . والرابعُ : لا احتجاجَ عن صاحبٍ
تَغَيَّرَ ولا طارقٍ ليلٍ .

قدمَ رجلٌ نخصماً إلى زياد في حقٍّ له عليه ،
فقال : إن هذا يُبدلُ بِخاصَّةٍ ذكرَ أنها له منك . فقال
زيادُ : صدقَ . وسأُخبرُك بما ينفعه عندي من مودته
إن يكنِ الحقُّ له آخذُك به أخذاً عنيفاً ، وإن يكنِ الحقُّ
لكَ عليه أقضي عليه ثم أقضي عنه .

وقال : ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ إذا وقعَ ،
ولكن العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ ألا يقعَ فيه .

قالوا : قدم زياد^١ البصرة (١) والياً لمعاوية^٢ والفسق^٣
 بالبصرة ظاهر^٤ فاش^٥ فخطب خطبة^٦ بَشْرَاءَ^٧ لم يحمده الله فيها .
 ويُقالُ : بِلْ^٨ قال : الحمد لله على أفضاله ، ونسأله
 المزيد من نِعَمِهِ وإِكْرَامِهِ . اللهم كما زدتنا نعماً
 فآلِهْمُنَا شكراً . أما بعدُ :

فإن الجاهلية^٩ الجهلاء^{١٠} ، والضلالة^{١١} العمياء^{١٢} والغَيَّ^{١٣}
 المؤفدة^{١٤} لأهلهم على النار^{١٥} ، ما فيه سفهاؤكم^{١٦} ، ويشتمل^{١٧}
 عليه حلماؤكم^{١٨} ، من الأمور العظام^{١٩} ، ينبت فيها الصغير^{٢٠} ،
 ولا يتعمش^{٢١} منها الكبير^{٢٢} . كأنكم لم تقرأوا كتاب^{٢٣}
 الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب^{٢٤} الكريم^{٢٥} لأهل^{٢٦}
 طاعته ، والعذاب^{٢٧} الآليم^{٢٨} لأهل^{٢٩} معصيته في الزمن^{٣٠} السرمدي^{٣١}
 الذي لا يزول^{٣٢} .

أتكونون كمن^{٣٣} طرفت عينه الدنيا ، وسادت مسامع^{٣٤}
 الشهوات^{٣٥} ، واختار^{٣٦} الفانية على الباقية^{٣٧} ولا تدكرون^{٣٨} أنكم
 أخذتكم في الإسلام^{٣٩} الحدث^{٤٠} الذي لم تسبقوا إليه^{٤١} :
 من تررككم^{٤٢} الضعيف^{٤٣} يقهر^{٤٤} ، ويؤخذ^{٤٥} ماله ،

(١) البصرة : بلد بالعراق ، وأحد موانيه .

لم يكن منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواة عن دَلَجِ الليلِ ،
 وغارةِ النهارِ ؟ قَرَّبْتُمْ القَرَابَةَ ، وباعدتُمُ الدِّينَ .
 تعتذرون بغيرِ العُدْرِ وتُغَضُّون على المُخْتَلِسِ ، كلُّ
 امرئٍ منكم يذُبُّ عن سَفِيهِهِ صَنِيعَ مَنْ لا يخافُ
 عاقبةً ، ولا يرجو مَعَاداً . ما أنتم بالحلَماءِ ، ولقد
 اتَّبَعْتُمُ السُّفَهَاءَ ، فلم يزلْ بهم ما تروُن من قيامِكُم
 دونهم ، حتى انتهكُوا حُرْمَ الإسلامِ ، ثم أطرقُوا
 وراءكم كُنُوساً في مَكَانِيسِ الرِّيبِ . حَرَّمَ عَلَيَّ
 الطعامُ والشرابُ حتى أُسَوِّيَها بالأَرْضِ هدماً وإِحراقاً ،
 لِي رَأَيْتُ آخرَ هذا الأمرِ لا يصلحُ لِي لا بما صلحُ به
 أولُهُ : لِي في غيرِ ضَعِيفٍ ، وشدةٌ في غيرِ عَنُفٍ .
 وَلِي أَقْدَمُ بِاللَّهِ لَأَخْذُنَّ الْوَلِيَّ بِالْمَوْلَى ، والمقيمَ بِالظَّاعِنِ ،
 والمقبلَ بِالْمُدْبِرِ ، والصَّحِيحَ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ حَتَّى
 يَلْتَقِيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ : « انْجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ
 سَعِيدٌ » (١) أَوْ تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ .

(١) أصلُ المثل : أنه كان لضبة بن أد ابنان : سعد وسعيد ، فخرجا
 يطلبان إبلا لهما ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد فكان ضبة إذا رأى سواداً
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد .

إِنْ كَذِبْتَ النِّبْرَ بِلِقَاءِ (١) مشهورة ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ
 عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ فَقَدْ حُلَّ لَكُمْ مَعْصِيَتِي . مَنْ نَقَبَ عَلَيْهِ
 مِنْكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ ، فَلِيَايَ وَدَلِجَ اللَّيْلِ ،
 فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْلِجِ (٢) إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ وَقَدْ أَجَلْتُكُمْ
 فِي ذَلِكَ بِقَدَرِ مَا يَأْتِي الْخَبْرُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ .
 وَلِيَايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (٣) ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا
 بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ
 أَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عِقُوبَةً ، فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاهُ ،
 وَمَنْ أَحْرَقَ عَلَى قَوْمٍ أَحْرَقْنَاهُ وَمَنْ نَقَبَ عَلَى قَوْمٍ بَيْتًا
 نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ فِيهِ حَيًّا كُفُّوا
 عَنِّي أَيْدِيَكُمْ ، وَأَلَسْتُكُمْ أَكُفَّ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي .
 وَلَا يَظْهَرُ مِنْ أَحَدِكُمْ خِلَافٌ مَا عَايَاهُ عَامَّتْكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ
 عُنُقَهُ . وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ لِحَنٌ (٤) فَجَعَلْتُ
 ذَلِكَ دَبْرَ أُذُنِي ، وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ

(١) بِلِقَاءِ : الْبَلَقُ : السَّوَادُ وَالْبَيَاضُ . وَالْمَعْنَى : وَاضِحَةٌ وَظَاهِرَةٌ .

(٢) الْمُدْلِجُ : مَنْ أَدْلَجَ : سَارَ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

(٣) الْمُرَادُ هُوَ التَّعَصُّبُ الْأَعْمَى لِلْقَبِيلَةِ .

(٤) الْإِحْنُ : جَمْعُ إِحْنَةٍ : الْحَقْدُ .

مُحْسِنًا فَلْيَزِدْهُ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيُرْتَدِعْ
عَنِ إِسَاءَتِهِ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلَّ
مَنْ بَغْضِي لَمْ أَكْشِفْ عَنْهُ قَنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا حَتَّى
يُبْدِيَ لِي صَفِيحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ لَمْ أَناظِرْهُ فَاسْتَأْنَفُوا
أُمُورَكُمْ ، وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرُبَّ مُبْتَلِسٍ
بِقُدُومِنَا سَيِّسَرٌ ، وَمَسْرُورٍ لِقُدُومِنَا سَيِّبَتَشٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ،
نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاهُ ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ
بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا . فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا
أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلِينَا . فَاسْتَوْجُوا
عَدْلَنَا وَفِيئتنا بِمُنَاصَبَتِكُمْ لَنَا .

وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَرْتُ عَنْهُ فَإِنْ أَقْصَرْتُ عَنْ ثَلَاثٍ :
لَسْتُ مُحْتَاجًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ ، وَلَوْ أَنَّنِي طَارِقًا
بِلَيْلٍ ، وَلَا نَابِسًا عِطَاءً وَلَا رِزْقًا عَنْ إِيَّانِهِ ، وَلَا
مُجَمَّرًا (١) لَكُمْ بَعْثًا ، فَادْعُوا اللَّهَ بِالْإِصْلَاحِ لِأَعْمَلِكُمْ ،
فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمُ الْمُؤَدَّبُونَ ، وَكَهَفُوكُمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ .

(١) يقال : جمر الجيش أي حبسه .

ومتى صلحوا تصالحوا ، ولا تُشربوا قلوبكم
بغضهم فيشتدّ لذلك غيظكم ، ويطولُ لذلك حزنكم ،
ولا تُدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم
كان شراً لكم . أسألُ الله أن يُعينَ كلاً على كل .

وإذا رأيتموني أنفذُ فيكم الأمر فأنشدوه على
أذلاله (١) ، وأيستمُ الله إن لي فيكم لصراً كثيرةً
فليحذر كل امرئ أن يكون من صرعاي .

قال : فقام عبدُ الله بنُ الأَهمتم ، فقال : أشهدُ
أيُّها الأميرُ لقد أُوتيتَ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ . فقال
له : كذبت . ذاك نبيُّ الله داودُ صلي الله عليه وسلم .
فقامَ إليه الأحنفُ بنُ قيسٍ ، فقال : إنما الثناء
بعندَ البلاء ، والحمدُ بعندَ العطاء ، وإنا لا نُشني حتى
نبتلي ، ولا نحمدُ حتى نُعطى .

فقال زياد : صدقت .

قال : فقام أبو بلال يهمسُ وهو يقولُ : أنبأنا
اللهُ - جل وعز - بغير ما قلت . قال الله تبارك وتعالى :

(١) على أذلاله : أي على وجوهه وطرقه . وأذلال جمع ذل بالكسر .

« وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُسْرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى (١) » وأنت تزعم أنك
تأخذُ الصحيحَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمقبِلَ
بالمُدْبِرِ .

قال زيادٌ لحاجبه : يا عجلانُ ، إنِّي وليتُكَ هذا
البابَ ، وعزلتُكَ عن أربعةٍ : عزلتُكَ عن هذا المنادي
إذا دَعَا للصلاةِ ، فلا سبيلَ لكَ عليه ، وعن طارقِ
الليلِ ، فشرُّ ما جاء به . ولو جاء بخير ما كنتَ من حاجبه .
وعن رسولِ صاحبِ الثغرِ (٢) فإن إبطاءَ ساعةٍ يُفسدُ
تدبيرَ سنةٍ فأدخله عليٌّ وإن كنتُ في ليحافي . وعن هذا
الطباخِ إذا فرغَ من طعامه فإنه إذا أُعيدَ عليه التسخينُ ففسدَ .
وقال يُعجِبُنِي من الرجلِ إذا سيمَ خُطَّةَ الضميمة أن
يقول : لا بملء فيه وإذا أتى نادِي قومٍ علِمَ أين ينبغي
لمثله أن يجلسَ ، فجلسَ . وإذا ركب دابةً حملها على
ما يُحب ، ولم يتبعها إلى ما يكره .

(١) سورة النجم من ٣٧ - ٤١ .

(٢) صاحب الثغر : قائد الجيش المواجه للعدو .

وكان حارثةُ بنُ بدر (١) الغُدَّانيُّ قد غلبَ علي زياد — وكان الشرابُ قد غلبَ عَليه (٢) — فقليل لزياد :
 إن هذا قد غلبَ عليك وهو مُستهترٌّ بالشرابِ فقال زياد :
 كيف باطَّراح رجل هو يُسايِرُني ؟ قد دخلتُ عليه
 العراقَ ، فلم يصبكُ ركابي ركابه وماراكني قطُّ
 فمستُّ ركبتي ركبته ولا تقدمني فنظرتُ إلى قفاه ،
 ولا تأخر عني فلويتُ عنقي إليه ، ولا أخذ عليَّ الشمسَ
 في شتاءٍ قطُّ ، ولا الرُّوحَ في صيفٍ قطُّ ، ولا سألتُهُ عن
 علمٍ إلا ظننتُهُ لم يُحسن غيره .

فلما مات زياد جفاهُ عبيد الله ، فقال له حارثةُ :
 أيها الأميرُ . ما هذا الجفاهُ . مع معرفتك بالحال عند أبي
 المغيرة ؟ فقال له عبيدُ الله : إن أبا المغيرة كان قد برع
 برُوعاً لا يلاحظه معه عيبٌ وأنا حدثٌ ، وإنما أنسبُ
 إلى من تغلب عليَّ ، وأنت رجلٌ تُديم الشرابَ ، فمتى

(١) حارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها . وكان
 زياد مكرماً له قابلاً لرأيه فلما ولي عبيد الله بن زياد آخر حارثة بعض التأخير .
 (٢) أي على حارثة بن بدر .

قَرَّبْتُكَ ، فظَهَرَتْ رَائِحَةُ الشَّرَابِ مِنْكَ لَمْ آمَنْ أَنْ
يُظَنَّ بِي . فَدَعِ النَّبِيذَ ، وَكُنْ أَوَّلَ دَاخِلٍ ، وَآخِرَ
خَارِجٍ .

فَقَالَ لَهُ حَارِثَةُ : أَنَا لَا أَدَعُهُ لِمَنْ يَمْلِكُ ضَرْبِي وَنَفْعِي .
أَفَادَعُهُ لِلْحَالِ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : فَاخْتَرُ مِنْ عَمَلِي مَا شِئْتَ .
قَالَ : تَوَلَّيْنِي رَامَهْرَمَزَ (١) فَإِنَّهَا أَرْضٌ عَذِيَّةٌ (٢)
وَسُرْقٌ (٣) وَإِنَّ بِهَا شَرَاباً وَصِيفَ لِي عَنْهُ . فَوَلَّاهُ إِيَّاهُ .
وَفِيهِ قِيلَ :

أَحَارِ بْنِ بَدْرِ قَدْ وَلَّيْتَ وَلَايَةً
فَكُنْ جُرْذاً فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ (٤)



-
- (١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .
(٢) أرض عذبة : العذاة : الأرض الطيبة البعيدة من الماء ، والوخم .
(٣) سرق : إحدى كور الأهواز .
(٤) قائل هذا البيت أبو الأسود الدؤلي من قصيدة يشيع بها حارثة
ابن بدر . وحرار : منادى مرخم .

الباب الثاني

كلامُ الحجاج (١)

نخطب فقال : أيُّها الناسُ . مَنْ أعْيَاهِ دَاوُّهُ
فَعَنْدِي دَوَاؤُهُ ، وَمَنْ اسْتَبْطَأَ أَجْلَهُ ، فَعَلِيَ أَنْ أَعْجَلَهُ .
وَمَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ وَضَعْتُ عَنْهُ ثِقْلَهُ ، وَمَنْ اسْتَطَالَ
مَاضِي عَمْرِهِ قَصَّصْتُ عَلَيْهِ بَاقِيَةَ .

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ طَيْفًا (٢) ، وَلِلسُّلْطَانِ سَيْفًا ، فَمَنْ
سَقَمَتْ سِرِيرَتُهُ صَحَّحْتُ عَقُوبَتَهُ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ذَنْبُهُ
رَفَعْتُ صَلَابَتَهُ ، وَمَنْ لَمْ تَسَعَهُ الْعَافِيَةُ (٣) لَمْ تَضِقْ عَنْهُ

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي . ولي الحجاز سنين ،
ثم العراق ، وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه عبد
الملك بن مروان . توفي في رمضان سنة ٨٩ هـ عن خمسين سنة .

(٢) المراد بطيف الشيطان : المس من الشيطان ، وقولهم : طيف
من الشيطان كقولهم : لمم من الشيطان .

(٣) العافية : السلامة .

الهلكة : ومن سبقته بادرة^(١) فميه سبق بدنه
بسفك دمه .

إني أنذر ثم لا أنظر^(٢) ، وأحذر ثم لا أعذر ،
وأتوعد ثم لا أغفر إنمّا أفسدكم ترنيق^(٣) ولا تكّم .
ومن استرخى لبيبه^(٤) ساء أدبه .

ونخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : والله ما بقي
من الدنيا إلا مثل ماضى ، وهو أشبه به من الماء بالماء .
والله ما أحب أن ماضى من الدنيا لي بعماتي هذه .

وقال على المنبر يوماً : والله لألحونكم^(٥) لحو
العصا ، ولأعصبنكم عصب السلّمة ، ولأضربنكم

(١) بادرة فيه : البادرة ما يخرج من الفم من غير قصد في غضب
أو غيره ، والمراد بسبق بدنه سفك دمه : سرعة قتله انتقاماً منه .

(٢) نظره : تألى عليه ، وأنظره : أخره .

(٣) الترنيق : كسر جناح الطائر من داء أو رمي حتى يسقط والمراد :
الضعف في الأمر .

(٤) اللب : ما ينشد في صدر الدابة أو الناقة ، ويكون للرجل
والمرج يمنعهما من الاسترخاء .

(٥) لألحونكم : لحا العصا : قشرها .

ضربَ غرائبِ الإبل (١) . يا أهلَ العراقِ ، يا أهلَ
الشَّقَاقِ والنَّفَاقِ ، ومساوئِ الأخلاقِ . إني سمعتُ
لكم تكبيراً ليس بالتكبيرِ الذي يُرادُ به اللهُ في الترغيبِ ،
ولكنّه التكبيرُ الذي يُرادُ به الترهيبُ . وقد عرفنا أنها
عجاجةٌ تحتها قصفٌ . أي بني اللّكيعه (٢) ، وعبيدُ
العصا ، وأبناءُ الإمام . إنما مثلي ومثلكم ما قال ابنُ
برّاقة الحمداني (٣) :

وكنّت إذا قومٌ غزوني غزوتهم
فهل أنا في ذا يالَ همدانَ ظالمٌ ؟

متى تجمّع القلبَ اللّكيّ وصارماً
وأنفأ حميماً ، تعجنّيبك المظالمُ

أما والله لا تفرعُ عصاً عصاً إلا جعلتها كأمسٍ
اللّهَ أهب .

(١) غرائب الإبل : هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم ؛ وذلك
أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها فرية من غيرها ، ضربت وطردت
حتى تخرج عنها .

(٢) المراد وصفهم باللّوم .

(٣) هو عمرو بن بركة بن براق .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : رَبِّمَا سَمِعْتَ الْحُجَّاجَ يَذْكُرُ
ما صَنَعَ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَما صَنَعَ بِهِمْ ، فَيَقَعُ فِي نَفْسِي
أَنَّهُمْ يَظْلُمُونَ لِبَيَانِهِ ، وَحَسَنَ تَخَلُّصِهِ لِلْحُجَّاجِ .

وَنَحَطِبَ الْحُجَّاجُ مَرَّةً فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْغَنَى غِيًّا
فَأَجْتَنِبَهُ ، وَارْزُقْنِي الْهُدَى هُدًى فَأَتَّبِعَهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى
نَفْسِي فَأُضِلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : غَدَوْتُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، فَجَلَسْتُ
قَرِيبًا مِنَ الْمَنبَرِ ، فَصَعِدَ الْحُجَّاجُ ثُمَّ قَالَ : امْرُؤُ زُورٍ
عَمَلُهُ (١) ، وَامْرُؤٌ مُحَاسِبٌ نَفْسَهُ ، امْرُؤٌ فَكَّرَ فِيمَا
يَقْرُؤُهُ نَحْدًا فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ . امْرُؤٌ كَانَ عِنْدَ
قَلْبِهِ زَاجِرٌ ، وَعِنْدَ هِمَّتِهِ أَمْرٌ ، أَخَذَهُ بَعْنَانُ قَلْبِهِ كَمَا يَأْخُذُ
الرَّجُلُ بِخِطَامِ جَمَّالِيهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ ،
وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهَ .

وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا خُلِقْنَا
لِلْبَقَاءِ ، وَلَكِنْ نُنْقَلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ .

(١) زور عمله : حسنه .

ونخطب يوماً فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة ،
وكفانا مؤونة الدنيا ، فليتنا كُفينا مؤونة الآخرة ،
وأمرنا بطلب الدنيا .

فقال الحسن : ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق .

وأهدى إلى عبد الملك (١) فرساً وبغلة وكتب إليه :
وجهت إلى أمير المؤمنين فرساً سهلاً الجذ ، حسن
القد ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف . وبغلة
هواها زمامها وسوطها .

وكان يقول : العفو عن المقر لا عن المصّر .

وقال : الكوفة امرأة حسناء عاطل (٢) ، والبصرة
عجوز درداء (٣) ، قد أوتيت من كل شيء .

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ،
من أعظم الخلفاء ودهاتهم . استعمله معاوية على المدينة وسنة ١٦ سنة ،
وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦٥ .

(٢) العاطل : الخالية من الزينة .

(٣) العجوز الدرداء : الدرداء : مؤنث أدر ، والأدر : رجل
ليس في فيه سن .

وقال له بعضُ ولاة الحجاز : إن رأى الأميرُ أن يستهديني ما شاء فإيفعلُ .

قال : أستهديك بغلةً على شَرطِي . قال : وما شَرطُك ؟ قال : بغلةٌ قصيرةٌ شعرُها ، طويلٌ عِنانُها ، همُّها أمامُها ، وسوطُها لجامُها ، تستبينُ فيها العلفَةُ ، ولا تهزُّها الركبةُ .

وقال يوماً لجلسائه : ما يُذهبُ الإِعياء ؟ فقال بعضهم : التمرُ . وقال آخر : التمرُّحُ وقال آخر : النومُ . قال : لا ، ولكن قضاءُ الحاجةِ التي أعْيَا بسببها .

كتب الحجاجُ إلى قُتيبة : لا تهجَّنْ بلاءَ أحدٍ من جُنْدِكَ وإن قلَّ ، فإنك إذا فعلت ذلك لم يرغبُ أحدٌ منهم في حُسْنِ البلاءِ . وأعطى الذي يَأْتِيكَ بما تكرهه صادقاً مثل الذي يَأْتِيكَ بما تحبُّ كاذباً ، فإنك إن لم تفعل غروك ولم يَأْتوك بالأمر على وجهه . واعلم أنه ليس للمكذوب رأيٌ ، ولا في حسودٍ ، حيلةٌ .

وقال لكتابه : لا تجعلنَّ مالي عند من لا أستطيع أخذه منه . قال : ومنَ لا يستطيع الأميرُ أن يأخذه منه ؟ قال : المُفلسُ .

وكتب الوليدُ بن عبد الملك إليه يأمرُه أن يكتب
إليه بسيرته . فكتب إليه : إني قد أيقظتُ رأيي ، وأُثمتُ
هواي ، فأدْنيتُ السيّد المطاع في قومه ، وولّيتُ الحرب
الحازم في أمره ، وقلّدتُ الخراج الموفّر لأمانته ،
وقسمتُ لكلّ خصمٍ من نفسي قسماً أعطيه حظّاً من
نظري ، ولطيف عنايتي ، وصرفتُ السيف إلى النّطف (١)
المسيء والثواب إلى المُحسن البريء ، فيخاف المُريب
صوالة العقاب ، وتمسّك المُحسنُ بحظّه من الثواب .

وقال : لأطلبنّ الدنيا طلب من لا يموتُ أبداً
ولأنّني قد قنّيتها كمن لا يعبرُ أبداً .

قال بعضهم : رأيتُ الحجاج وعنبسة بن سعيد
واقميين على دجلة . فأقبل الحجاجُ ، وقال : يا عنبسة ،
إذا كنت في بلدٍ يضعفُ سلطانُه ، فانخرجْ عنه ؛ فإن
ضعف السلطان أضرتْ على الرعية منْ جُوده .

وكان يقول : خيرُ المعروف ما نعيش به عشرات
الكرام .

(١) النطف : العيب . يقال : هم أهل الريب والنطف : التلطف بالعيب .

وضرب رجلاً فقال : اعتديت أيُّها الأميرُ . فقال :
((فلا عُدُّوان إلا على الظالمين)) (١) .

وقف رجلٌ له فقال : أصْلَح اللهُ الأميرُ ، جئني
جَنان في الحَيِّ ، فأُخِذْتُ بِجَريرتِه ، وأُسْقِطَ عِطائي .
فقال : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشاعِر :

جانِيك مَنْ يَسْجُنِي عَلَيْكَ وَقَدْ
تُعْذِي الصَّحاحَ مَبَارِكُ الْخُرْبِ
وَلَرُبَّ مَأْخُوذٍ بِذَنْبٍ صَدِيقٍ—
وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ

فقال الرجلُ : كُتِبَ اللهُ أُولَى ما اتَّبِع . قال اللهُ تعالى :
((مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا
عِنْدَهُ)) (٢) . فقال الحِجَاجُ : صَدَقْتَ . وأَمَرَ بِرَدِّ عِطائِهِ .

وقيل له — وقد احتَضِر — : ألا تَتُوبُ ؟ فقال :
إِنْ كُنْتُ مُسِيئاً فَلَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةُ التَّوْبَةِ ، وَإِنْ كُنْتُ
مُحْسِناً فَلَيْسَتْ سَاعَةُ الْفُزَعِ .

(١) سورة البقرة : ١٩٣ وأولها « فان انتهوا فلا »

(٢) سورة يوسف : ٧٩ وأولها : « قال معاذ الله » .

وقال على المنبر : اقد عوا هذه الأ نفوس فانها أسألُ
شيءٍ إذا أعطيتُ ، وأعصى شيءٍ إذا سُئلت . فرحم
الله أمراً جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها
إلى طاعة الله ، وعطفها بزمامها من معصية الله ؛ فإني رأيت
الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه .

وكان يقول : إنَّ أمراً أتت عليه ساعةٌ من عمره
لم يذكر ربه ، ولم يستغفر من ذنبه ، أو يفكر في معاده .
بلديرٌ أنْ تطول حسرتُهُ يوم القيامة .

كان الحجاجُ إذا استغرب صحبكاً والتى بين
الاستغفار . وكان إذا صعد المنبر تلفّع بمطرفه (١) ، ثم
تكأهم رويداً فلا يكادُ يُسمعُ منه ، ثم يتزيدُ في الكلام
حتى يُخرج يده من مطرفه يزجرُ الزجوة فيقرعُ بها
أقصى مَنْ في المسجد . وكان يُطعمُ في كلِّ يوم على
ألف مائدة ، على كل مائدة ثريدٌ وجنبٌ من شواءٍ ،
وسمكةٌ طريةٌ . ويطافُ به في مباحفةٍ (٢) على تلك

(١) والمطرف : رداء من خز مربع ، ذو أعلام ، والمطرف من
الشياب : ما جعل في طرفيه علمان .

(٢) المحفة بالكسر مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها
لا تقب كالهودج .

الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة^١ . ثم يقول : يَا أَهْلَ الشَّامِ . كَسِّرُوا الْخُبْزَ (١) لئلا يُعَادَ عَلَيْكُمْ .

وكان له ساقيان : أحدهما يسقي الماء والعسل ، والآخر يسقي اللبن .

يُروى عن محمد بن المنتشير الهمداني ، قال : دفع إليّ الحجاج « أزاد^٢ مُرْد بن الهزبل » وأمرني أن أستخرج منه ، وأُغْلِظَ له . فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمد ، إن لك شرفاً وديناً ، وإني لا أُعْطِي على القسْرِ شيئاً ، فاستأدني (٢) ، وارفُقْ بي . قال : ففعلت : قال : فأدّي إليّ في أسبوع خمسمائة ألف . قال : فبلغ ذلك الحجاج ، فأغضبته ، وانتزعته من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولّى له العذاب ، فدقّ يديه برجليه ، ولم يعطهم شيئاً .

قال محمد بن المنتشر : فإني لأُمرُّ يوماً في السوق إذا صائح بي : يا محمد . فالتفتُ فإذا به معروضاً على

(١) كناية عن كثرة الطعام ووفرة الخيرات .

(٢) استأذاه : طلب منه أداء ما عليه .

حمار ، مَوْثُوقَ اليدين والرجلين فُخِيفْتُ الحِجَاجُ إن
أَتَيْتُهُ ، وتَدَمَّعْتُ (١) مِنْهُ . فَمَلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي : إِنْكَ وَلَيْتَ
مَنْنِي مَا وَلِي هَؤُلَاءِ ، فَتَرَفَّقْتُ بِي فَأَحْسَنْتَ إِلَيَّ ، وَلَهُمْ
صَنَعُوا بِي مَا تَرَى ، وَلَمْ أُعْطِ لَهُمْ شَيْئاً . وَهَذَا خَمْسُمِائَةٍ
أَلْفٍ عِنْدَ فُلَانٍ . فَاخْذُهَا ، فَهِيَ لَكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ : مَا كُنْتُ لَأَخْذُ مِنْكَ عَلَى مَعْرُوفٍ
أَجْرًا ، وَلَا لَأَرْزَأَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ شَيْئًا .

قَالَ : فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَاسْمَعْ أُحَدِّثُكَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ
أَهْلِ دِينِكَ عَنْ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِذَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ أَمْطَرَهُمُ الْمَطَرُ فِي وَقْتِهِ ، وَجَعَلَ الْمَالُ
فِي سَبْعِ مَحَسَنَاتِهِمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ خِيَارَهُمْ ، وَإِذَا سَخِطَ
اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ ، وَجَعَلَ الْمَالُ عِنْدَ
بِخْلَانِهِمْ ، وَامْطَرَهُمُ الْمَطَرُ فِي غَيْرِ حِينِهِ .

قَالَ : فَانْصَرَفْتُ ، فَمَا وَضَعْتُ ثَوْبِي حَتَّى أَتَانِي
رَسُولُ الْحِجَاجِ بِأَمْرِي بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ . فَأَلْفَيْتُهُ جَالِسًا عَلَى
فَرْشِهِ . وَالسَيْفُ مُنْتَضِي فِي يَدِهِ . فَقَالَ لِي : اُدْنُ .

(١) تَدَمَّعْتُ مِنْهُ : أَيِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ، وَاسْتَنْكَفْتُ .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : اُدْنُ . فدنوتُ شيئاً . ثم صاح
 الثالثة : اُدْنُ . لا أبالكَ ! ! فقلت : ما بي إلى الدُّنُوِّ من
 حاجة . وفي يد الأمير ما أرى . فأضحكَ الله سِنَّه ،
 وأغمدَ عني سيفَه . فقال لي : اجلس . ما كان من حديث
 الخبيث ؟

فقلت اه : أيُّها الأميرُ . والله ما غششتُك منذ
 استنصحتني ، ولا كذبتُك منذ استخبرتني ، ولا نختُك
 منذ ائتمنتني . ثم حدَّثته الحديث .

فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعرضَ
 عني بوجهه ، وأومأَ إليَّ بيده . وقال : لا تُسمِّه .
 ثم قال : إنَّ للخبيثِ نفساً ، وقد سمعَ الأحاديثَ ! !

* * *

الباب الثالث

كَلَامُ الْأَحْنَفِ (١)

رَأَى مَعَ رَجُلٍ دَرَهْمًا ، فَقَالَ : تَحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
أَمَّا إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ حَتَّى تَفَارِقَهُ .

قَالَ : مَا عَرَضْتُ إِلَّا نِصَافَ عَلَى رَجُلٍ فَقَبِلَهُ إِلَّا هَيْبَتُهُ ،
وَلَا أَبَاهُ إِلَّا طَمَعْتُ فِيهِ .

وَقَالَ : لَأَذَىَّ تَحْكُوكَ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَيْسَمٍ رَدَدْتُ عَنْهَا كُفُورًا .

وَقِيلَ لَهُ : مَنْ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الدَّلِيلُ فِي نَفْسِهِ ،
الْأَحْمَقُ فِي مَالِهِ ، الْمَعْنِيُّ بِأَمْرِ قَوْمِهِ ، النَّاطِرُ لِلْعَامَّةِ .

وَقَالَ : رُبَّ رَجُلٍ لَا تُنْمَلُ فَوَائِدُهُ وَإِنْ غَابَ ،
وَأَخْرَ لَا يَسْلَمُ جَلِيسُهُ وَإِنْ احْتَرَسَ .

وَقَالَ : كُلُّ مُلْكٍ غَمْدَارٌ وَكُلُّ دَابَّةٍ شُرُودٌ وَكُلُّ
امْرَأَةٍ خَضَوُوفٌ .

(١) الْأَحْنَفُ : هُوَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ مَعَارِيَةَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي
الْحِلْمِ حَتَّى قِيلَ : « أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ » .

وقال : سهرتُ ليلةً في كلمة أُرضي بها سُلطاني ،
ولا أُسخطُ بِها ربيَّ فما وجدتها .

وقيل له : ما الحلمُ ؟ قال : الرِّضاءُ بالذل .
وقيل لرجل : ليت طولَ حِلْمنا عنك لا يدعو
جهل غيرنا إليك .

وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار
والنار .

وقال : وإياك والكسل والضجر ، فإنك إن كسلت
لم تؤدَّ حقاً ، وإن ضَجِرت لم تصبرُ على حقٍّ .

وذكرَ رجلاً فقال : لا يحقر ضعيفاً ، ولا يحسدُ شريفاً .

وقال : الشريفُ من عُدَّت سقطاته .

وقيل له : ما اللُّؤمُ ؟ قال : الاستعصاءُ على الملهوف (١) .

قيل : فما الجود ؟ قال : الاحتيالُ للمعروف .

وسمع رجلاً يقول : مابتُ البارحة من وجعِ ضرسي .

(١) الاستعصاء على الملهوف : يقصد التلکؤ في نجدة صاحب الحاجة .

وجعل يُكثر ، فقال له الأحنفُ : كم تكثُرُ ! ! فوالله
لقد ذهبتُ عيني منذ ثلاثين سنة ، فما قلتُ لأحد .

وقال : لستُ بحليمٍ والكني أتحام .

وقال يومَ قُتِلَ مُصْعَبٌ : انظروا إلى المُصْعَبِ ،
على أي دَابَّةٍ يخرجُ ؟ فإن خرج على برذون^(١) فهو
يريد الموتَ ، وإن خرج على فرس فهو يريد الهربَ .

قال : فخرج على برذونٍ يجرُ بَطْنَهُ .

وقال الأحنفُ : استمِيلُوا النِّسَاءَ بحسنِ الأخلاقِ
وفُحْشِ النِّكَاحِ .

وقال : وجدتُ الحلمَ أنصرَ لي من الرجالِ .

وقال له رجلٌ : بِمِ سُدَّتْ ؟ قال : بِتَرْكِي من
أمرِك مالا يعنيني ، كما عَنَّاكَ من أَمْرِي مالا يعينك .

وقال : من حقِّ الصديق أن تُحْتَمِلَ له ثلاثٌ :
ظلمُ الغضبِ ، وظلمُ الدَّالَّةِ ، وظلمُ الهَفْوَةِ .
خطب معاويةُ مرةً ، فقال : إن الله يقول في كتابه :

(٢) البرذون : تطلق هذه التسمية على غير العربي من الخيل .

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » (١) فعلام تلوموني إذا قصرت في إعطياتكم ؟

فقال الأحنف : فجعلته أنت في خزائنك ، وحملت بيننا وبينه ولم تنزله إلا بقدر معلوم .

وقال : مانازعني أحد قط إلا أخذت عليه بأمور ثلاثة : إن كان هو في عرفت له قدره . وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

وقام بصفين ، فاشتد ، فقبل له : أين الحليم يا أبا ببحر ؟ قال : ذاك عند عقر الحي (٢) .

وقال : لا تشاور الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى يطلق ، ولا المضل حتى يجد ، ولا الراغب حتى ينجح .

وأتى مصعب بن الزبير (٣) يكلمهم في قوم حبسهم ، فقال : أصلح الله الأمير ، إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يؤخر عنهم وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم ، فخلاهم .

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) يقصد بقوله : مقر الحي وقت السلم لا وقت الحرب حيث يكون مقيما بحيه وبلده .

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام ، وأخوه عبيد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقال : السُّودْدُ ، مع السَّوَادِ . يريد أن السيّدُ مَنْ
أَتتهُ السِّيَادَةُ في حدّاته وسَوَادِ رأسه ولحيته .

وجلس على باب زياد ، فمرّت به ساقيةٌ ، فوضعت
قربتها ، وقالت : يا شيخُ . احفظُ قربتي حتى أعود ،
ومضتُ ، وأتاهُ الآذنُ (١) فقال : انهضُ . قال : لا ،
فإن معي وديعةً . وأقام حتى جاءت .

وشتمه يوماً رجلٌ وألحَّ عليه فقال له : يا ابنَ أمِّي .
هل لك في الغداء ؟ فإنك منذُ اليوم تَحْدُو بجَمَلٍ تَمَالٍ (٢) .
وقال : كُنّا نختلفُ إلى قيسِ بنِ عاصمِ (٣) في
الحِلَمِ ، كما يُختلفُ إلى الفُقهاء في الفقه .

(١) الآذن : الحاجب .

(٣) جمل ثفال بفتح الثاء والثفال من الإبل البطيء الثقيل الذي لا يكاد
ينبعث .

(٣) قيل للأحنف بن قيس : من تعلمت الحلم ؟ قال من قيس بن
عاصم المنقري ، رأيته قاعدا بفناء داره ، محتبياً بحمائل سيفه يحدث
قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول . فقليل له : هذا ابن أخيك
قتل ابنك ، فوالله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه
فقال : يا ابن أخِي ، أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت
ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : يا بني قم فوار أخاك ، وحل كتاف ابن
عمك ، وسق إلى أمه مائة دابة دية ابنها غريبة .

وشتمه رجلٌ ، فسكت عنه ، فأعاد ، فسكت ،
فقال الرجلُ : واللهُ . ما يمنعه أن يردَّ عليَّ إلا هَوَانِي
عليه .

وقال الأحنفُ : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ،
ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعته مخافةَ ما هوَ أشدُّ منه .

وكان إذا أتاهُ إنسانٌ أوسعَ له ، فإن لم يجد موضعا
تحركَ ليريه أنه يوسعُ له .

وقال : ما جلستُ قطُّ مجلساً . فخفتُ أن أقامَ عنه
لغيري .

وكان يقولُ : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلسٌ
قلعةٌ (١) .

وقال : خيرُ الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك
في المودة ، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها ، وإن
كُوثرَ عَصْدُكَ ، وإن احتجت إلى معونته رَفَدَكَ .
وقال : العتابُ مفتاحُ التَّقَالِي ، والعتابُ خيرٌ من الحقد .

(١) مجلس قلعة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة .

وكان يقول : ما تزالُ العربُ بخير ما لبستِ العمائمَ ،
وتقلدتِ السيوف ولم تعدَّ الحِلْمَ ذُلًّا ولا التواهبَ بينها
ضبعةً .

قوله : لبستِ العمائمَ ؛ يريد ما حافظتُ على زيَّها .
وقال : ما شاتمتُ أحداً منذُ كنتُ رجلاً ، ولا زحمتُ
رُكبتَي ركبتيه ، وإذا لم أصل مُجتديَّ حتى يَنتحِ جبينه ،
كما تنتحِ الحميتُ (١) ، فوالله ما وصلتُهُ .
وقال : إني لأُجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأَتبِّسُ ذلك
في عقلي .

وقال له معاويةُ : بلأخني عنك الثقةُ . فقال : إن الثقةَ لا يبلغُ .
وعُدَّت على الأحنفِ سقطةٌ ، وهو أن عمرو بن
الأهَم (٢) دسَّ إليه رجلاً ليسفَّههُ . فقال : يا أبا
بحر : من كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم ،

(١) الحميت من كل شيء : المتين ، والحميت : وعاء السمن .
(٢) هو عمر بن سنان الأهم التميمي المنقري ، ولقب أبوه بالأهم
لأن ثنيته هتبت يوم الكلاب . وكان عمرو هذا من عظماء بني تميم وساداتهم ،
ومن شعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وقد وفد على الرسول عليه
السلام هو والزبرقان بن بدر وأسلما . وقد توفي عمرو سنة ٥٧ هـ .

لم يسدُّهم ولم يتخاف عنهم . فرجع إليه ثانية ، ففطن
الأحنف أنه من قبيل عمرو . فقال : ما كان مالُ أبيك ؟
قال : كانت له صرمة^(١) يمنح منها ، ويقري^(٢) ولم
يكن أهتم سلاًحاً .

وسمع رجلاً يقول : التعلّم في الصغر ، كالنقش
على الحجر . فقال الأحنف : الكبير أكبر عقلاً ، ولكنه
أشغل قلباً .

ولم قدم عاتى عمَرَ في وفد أهل البصرة وأهل
الكوفة فقضى حتوائهم قال الأحنف : إن أهل هذه
الأمصار نزلوا على مثل حدقة البعير ، من العيون العذآب
تأتيهم فواكههم لم تتغير . ولنا نزلنا بأرض سبخة
نشاشة^(٣) ؛ طرف لها بالفلاة ، وطرف بالبحر الأجاج^(٤)

(١) صرمة يمنح منها : الصرمة القطعة من الإبل ما بين العشرة
إلى الأربعين .

(٢) قري الضيف يقريه قري بالكسر والقصر ، والفتح والمد :
أضافه ، كإقتراه .

(٣) أرض سبخة نشاشة : لا يحف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ،
والذي يقصده الأحنف بقوله « نزلنا سبخة نشاشة » : البصرة . أي
نزارة تنز بالماء .

(٤) الأجاج : الملح المر .

يَا تَيْنَا مَا يَا تَيْنَا فِي مِثْلِ مَرِيءِ النِّعَامَةِ ، فَإِنْ لَمْ تَرْفَعْ
خَسِيستنا (١) بِعِطَاءِ تَفَضُّلُنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ نَهْلِكَ .

قِيلَ : لِمَا أَجْمَعَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ جَمْعَ الْخُطَبَاءِ
فَتَكَلَّمُوا - وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ -- فَقَالَ : يَا أَبَا بَحْرٍ .
مَا مَنَعَكَ مِنَ الْكَلَامِ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَعْلَمُنَا بِبِزِيدٍ لِيَلِيَهُ
وَنَهَارِهِ وَسِرِّهِ ، وَعَمَلَانِيَّتِهِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْخِلَافَةَ
خَيْرٌ لَهُ فَاسْتَخْلِفْهُ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا شَرٌّ لَهُ فَلَا تُؤَوِّدْهُ
الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَاهِبٌ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ فَإِنَّمَا لَكَ مَا طَابَ ،
وَعَالِيْنَا أَنْ نَقُولَ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

وَقَالَ الْأَحْنَفُ : الْمَرْوَةُ كُلُّهَا إِصْلَاحُ الْمَالِ ،
وَبَدَلُهُ لِلْحَقُوقِ .

* * *

(٣) تَرْفَعُ خَسِيستنا : رَفَعْتَ مِنْ خَسِيستِهِ : إِذَا فَعَلْتَ بِهِ أَمْرًا يَكُونُ
فِيهِ رَفَعَتُهُ .

الباب الرابع

كلامُ المهلبِ وولده (١)

قيل للمهلب : ما النبل ؟ قال : أن يخرج الرجلُ
من منزله وحده ، ويعود في جماعة .

وقال : ما رأيتُ الرجال يضيقُ قلوبُها عند شيءٍ
كما تضيقُ عند السرِّ .

خطب يزيدُ بنُ المهلب بواسط (٢) فقال : إني
قد أسمع قول الرّعاء : قد جاء مسلمةٌ وقد جاء العباسُ ،
وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسياف :
سبعةٌ منها معي ، واثنان عليّ . وأما مسلمةٌ فجرادةٌ

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري . نشأ في
دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه
عبد الله بن الزبير ، ثم ولاء عبد الله خراسان ، وهو الذي قاتل الخوارج ،
وكسر شوكتهم ، وقد توفي زمن ولاية الحجاج الثقفي سنة ٥٨٣ هـ وأما
أولاده فهم : المغيرة ، ويزيد ، وقبيصة ، وعبد الملك ، وحبيب ،
ومحمد ، والمفضل ، ومدرك .

(٢) واسط : موضع بين البصرة والكوفة .

صفراء ، وأما العباسُ فنسطوسُ (١) بنُ نسطوس ،
أذاكم في يرابرة (٢) وصقالبة (٣) .

ومن كلام المهلب : عجبْتُ لمن يشتري المماليك
بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعرُوفه .

وقال يزيدُ بن المهلب لابنه مُخلد - حين ولّاه
جرجان : استظرفُ كاتيك ، واستعقلُ حاجبتك .

قال حبيبُ بن المهلب : ما رأيت رجلاً مُستلثماً (٤)
في الحرب إلا كان عندي رجُلين ، ولا رأيت حاسرين (٥)
إلا كانا عندي واحداً .

(١) نسطوس : اسم رومي يشير إلى أصل العباس بن الوليد حيث
كانت أمه رومية .

(٢) البرابرة : جمع بربري ، وهي تطلق في مصر على النوبيين أو
البرابرة ، كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادي العلوي
لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان . وهم جنس خفيف الحركة ، نشط ،
يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أية لغة . ودينهم الإسلام . والبرابرة
جيل بالمغرب .

(٣) الصقالبة : هم جيل من الناس بين بلاد البلغار والقسطنطينية .

(٤) رجلاً مستلثماً : أي لا بساً الأئمة ، وهي لباس الحرب .

(٥) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أولاً جنة له .

فسمع بعض أهل المعرفة هذا الكلام ، فقال : صدق :
 إن للسلاح فضيلة . أمّا تراهم ينادون عند الصّريخ :
 السّلاح السلاح ، ولا ينادون : الرّجال ، الرجال .

قيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ؟ فقال : منزلي
 دار الإمارة أو الحبس .

أغاظ رجلٌ للمهلب ، فحلم عنه ، فقيل له : جهل
 عليك وتحلمُ عنه ؟ فقال : لم أعرف مساوياً ، وكرهت
 أن أجهته بما ليس فيه .

قال يزيد بن المهلب : ما رأيتُ عاقلاً ينوبه أمرٌ
 إلا كان مقولته على لحييه (١) .

وقيل له : إنك لتُلقي نفسك في المهالك . قال : إني
 لستُ آتي الموت من حُبّه ، وإنما آتية من بغضه ، ثم تمثل :
 تأخّرتُ أسْتَبْقِي الحياة فلم أجِدْ
 لنفسي حياةً مثل أن أتقَدَّما (٢)

(١) لحيه : اللحي : مثبت اللحية . والمراد : بدا على وجهه ما يريد
 أن يقوله .

(٢) قائل البيت : هو الحصين بن الحمام من قصيدة مشهورة .

كتب المهلب إلى الحجاج لما ظفر بالأزارقة (١) :
 الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد
 متصلاً بنعمه ، وقضى ألا ينقطع المزيد من فضله ، حتى
 ينقطع الشكر من عباده ثم إنا وعدونا كنا على حالين
 مختلفتين ؛ نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون
 فينا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم . فلم يزل الله يكثرنا
 ويمحقهم ، وينصرنا ويخذلهم ، على اشتداد شوكتهم ؛
 فقد كان عابثاً أمرهم حتى ارتفعت له الفتاة ، ونوم
 به الرضيع ، فأنتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ،
 وأدنييت السواد ، من السواد حتى تعارفت الوجوه .
 فلم نزل كذلك حتى بلغ بنا وبهم الكتاب أجله .
 ((فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
 العالمين)) (٢) .

وقال المهلب لبنيه : يا بني ؛ إذا غدا عليكم الرجل ،
 ولاح مسلماً ، فكفى بذلك تقاضياً .

(١) الأزارقة : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى نافع بن الأزرق .

(٢) سورة الأنعام : ٤٥ .

وقيل له : أيُّ المجالس خير ؟ قال : ما بَعُدَ فيه
مَدَى الطَّرْفِ ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجَلِيسِ .

قال المهلبُ : العيشُ كُلُّهُ في الجَلِيسِ المُتَمَتِّعِ .

وكتب إليه الحجاجُ : أما بعدُ . فإِذاكَ تترأخى عن
الحربِ حتى يَأْتِيكَ رُسُلِي . فيرجعوا بَعْدُكَ ، وذلك
أَنْكَ تُمَسِّكُ حتى تَبْرَأَ الجراحُ ، وتُنسى القَتْلَى ،
ويجُرمُ الناسُ ، ثم تُلْقَاهُمْ فتَحْمِلُ منهم مثلَ ما يَحْتَمِلُونَ
منكَ من وُحْشَةِ القَتْلِ ، وألمِ الجراحِ . ولو كُنْتَ تُلْقَاهُمْ
بذلك الجِدِّ لكان الداءُ قد حُسِمَ ، والقرنُ قد قُصِمَ .
ولعمري ما أَنْتِ والقومُ سواءٌ ؛ لأنَّ من ورائِكَ
رجالاً ، وأمامَكَ أموالاً . وليس للقومِ إلا ما معهم ،
ولا يُدْرِكُ الوجيفُ (١) بالديب ولا الظفرُ بالتعذير .

فكتب المهلبُ إليه : أما بعدُ . فإِنِّي لم أعطِ رسلكَ
على قولِ الحقِّ أجراً ، ولم أحتجْ منهم مع المشاهدةِ إلى
تأقِينِ . ذَكَرْتُ أَنِّي أَجُرمُ القومَ ، ولا بدَّ من راحةٍ
يسْتريحُ فيها الغالبُ ، ويَحْتَمِلُ فيها المغلوبُ ،

(١) الوجيفُ : ضرب من سير الإبل والجمال ، وأوقف دابته إذا حشها .

وذكرت أن في الحمام ما يُنسي القتلى ، ويبرئ الجراح . وهيهات أن يُنسى ما بيننا وبينهم ؛ تأتي ذلك قتلى لم تُجَنِّ ، وقروح لم تُتَقَرَف (١) . ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ، وإن ملأوا وقفوا ، وإن يشؤوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، وننتحرز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ؛ فإن تركتني والرأي كان القرن (٢) مفصوما ، والداء - بإذن الله - مجسوما ، وإن أعجلتني لم أطعك ، ولم أعص ، وجعلت وجهي لي بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله عز وجل ومقت الناس !

* * *

(١) تقرفت القرحة : تقشرت .

(٢) كان القرن مفصوما : القرن من معانيه السيف أو النصل ، والجمع قرون وقران . مفصوماً : مقطوعاً .

الباب الخامس

كلام أبي مسنم (١)

قيل له : ما كان سببُ خروجِ الدولة عن بني أمية ؟
فقال : ذلك لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقةً بهم ، وأدنوا
أعداءهم تألفاً لهم ، فلم يصبر العدوُّ بالدينو صديقاً
وصار الصديقُ بالبعد عدوًّا .

وقيل له في محادثته : إنا نراك تأرق كثيراً ، ولا تنام
كأنك مؤكلٌ برعي الكواكب ، أو مُتوقعٌ للوحي من
السماء . فقال : والله ما هو ذاك ، ولكن لي رأيٌ جوالٌ ،
وغريزةٌ تامةٌ ، وذهنٌ صافٍ ، وهمّةٌ بعيادةٍ ونفسٌ
تستوقُّ إلى معالي الأمور مع عيشٍ كعيش الهمج والرّعاع ،
ومحالٌ مُتناهية من الاتضاع ، وإنّي لأرى بعضَ هذا
مصيبةً لا تُجبرُ بسهر ، ولا تُتلافى بأرقٍ .

قيل له : فما الذي يُبْردُ عليك ، ويشفي أجتاج
صدرك ؟ قال : الظفرُ بالملك .

(١) أبو مسلم الخراساني : أحد أعلام الفرس الخارجين على بني
أمية ، والثائرين على حكمهم ، والممهدين لقيام دولة بني العباس سنة ١٣٣هـ
قتله أبو العباس السفاح خوفاً منه سنة ١٣٦هـ .

قيل له : فاطلب . قال : إن المثلث لا يطلب إلا
 برُكوب الأهوال . قيل : فاركب الأهوال : قال :
 هيهات . العقل مانعٌ من ركوب الأهوال . قيل فمما
 تصنع وأنت تبلى محسرةً وتذوب كمداً ؟ قال : سأجعلُ
 من عقلي بعضه جهلاً ، وأحاول به خطراً ، لأنالَ
 بالجهل مسالاً يُنال إلا به . وأدبّر بالعقل مالا يحفظ
 إلا بقوته ، وأعيش عيشاً يُبين مكان حياتي فيه من مكان
 سوتي عليه ، فإن الخمول أنحو العدم والشهرة أبو الكون .
 قال رجلٌ من أهل العراق : أوصاني أبو مسلم
 وأنسني ، ثم سألني ، فقال : أيُّ الأعراض أدنى ؟
 فقلت : عرضٌ بخيل . قال : كلاً . ربُّ بُخلٍ لم يكلم
 عرضاً . قلت : فأيتها أصلح الله الأمير ؟ قال : عرضٌ لم
 يرتع فيه حربٌ ولادم .

قال أبو زيد : سمعت رؤية (١) يقول : مارأيت أروى
 لأشعارنا من أبي مسلم من رجل يرتضخ لُكنةً . قال أبو زيد :
 وإذا قال رؤية لرجل يرتضخ لُكنة فهو من أفصح الناس .

(١) رؤية بن العجاج المصري التيمي السعدي . كان هو وأخوه من
 المدونين في الرجز ، وكان عارفاً باللغة ، وحشيها وغريبها . والرؤية :
 جزيرة اللين ، والرؤية بالهمزة : القطعة من الخشب يشعب بها الإناء ،
 توفي سنة ٨١٤٨ .

الباب السادس

كلامُ جَمَاعَةٍ مِنِ الْأُمَرَاءِ

خطب يوسفُ بنُ عُمر (١) ، فقال : اتقوا الله عبادَ
الله . فكم من مُؤمِّلٍ أُملاً لا يبلغُهُ ، وجامعٍ مالاً
يأكُلُهُ ، ومانعٍ ماسوفٍ يترُكه ، ولعله من باطلٍ جمَعَهُ ،
ومن حقٍّ منعه . أصابه حراماً وورثه عدواً ، واحتمل
إصرَهُ (٢) ، وباءَ بوزره ، ووردَ على رَبِّهِ آسفاً لا هفاً
تخسر الدنيا والآخرة « ذلك هو الخسران المبين » (٣) .
صَعِدَ وَرْدُ بنُ حاتم المنبرَ ، فلما رآهم قد فتحوا
أسماعهم ، وشقُّوا أبصارهم نحوه قال : نكَّسوا
رؤوسكم ، وغضُّوا أبصاركم ، فإنَّ أوَّلَ مركبٍ
صعبٌ ، وإذا يسَّرَ اللهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرٍ .

-
- (١) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود
الشفقي ، وهو ابن عم الحجاج .
(٢) الإصر : العهد الثقيل . وأصل الإصر : الثقل والشدة ؛ لأنها
أثقل الأيمان وأضيقها مخرجاً
(٣) سورة الحج : ١١ .

كان يوسف بن عمر يقول : كان الحجاج الدُّخَانِ
وأنا الذهب ؟

قام خالد^(١) بن عبد الله على المنبر بواسط
خطيباً . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال : أيُّهَا النَّاسُ تَنَافَسُوا فِي الْمَكَارِمِ ،
وَسَارِعُوا إِلَى الْمَغَانِمِ ، وَاشْتَرُوا الْحَمْدَ بِالْجُودِ ، وَلَا تَكْتَسِبُوا
بِالْمَطْلِ ذِمًّا وَلَا تَعْتَدُوا بِالْمَعْرُوفِ مَا لَمْ تُعْجَلُوهُ ، وَمَهْمَا
يَكُنْ لِأَحَدِكُمْ عِنْدَ أَحَدٍ نِعْمَةٌ فَلَمْ يَبَاغْ شُكْرَهَا فَاللَّهُ
أَحْسَنُ لَهَا جَزَاءً وَأَجْزَلُ عَلَيْهَا عَطَاءً . وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ
النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعَمٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، فَلَا تَمْلَأُوا النِّعَمَ
فَتَتَحَوَّلَ نَقْمًا . وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا أَكْسَبَ أَجْرًا ،
وَوَرَّثَ ذِكْرًا ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ
حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاظِرِينَ وَيَفْزُقُ الْعَالِمِينَ . وَلَوْ رَأَيْتُمُ
الْبُخْلَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ مُشَوَّهًا قَبِيحًا تَنْفِرُ عَنْهُ الْقُتُوبُ
وَتَغْضِي عَنْهُ الْأَبْصَارُ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَجُودَ النَّاسُ مِنْ
أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ ، وَأَعْظَمَ النَّاسُ عَفْوَاً مَنْ عَفَا عَنْ
قُدْرَةٍ ، وَأَوْصَلَ النَّاسُ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ وَمَنْ لَمْ

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري . ولاه
الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٥٨٩ هـ ، وولي العراقيين في عهد هشام بن عبد الملك .

يُطْبَحُ حَرْثُهُ لَمْ يَزَلْ نُبْتُهُ . وَالْأَصُولُ عَنْ مَغَارِسِهَا تَنْمُو ،
وَبِأَصُولِهَا تَسْمُو . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَمْدَحَ رَجُلًا عِنْدَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ أَهْدَى النَّاسِ دَارًا
وَفَرَشًا وَآلَةً . فَقَالَ خَالِدٌ : لَقَدْ ذَمَمْتَهُ مِنْ حَيْثُ أَرَدْتَ
مَدْحَهُ هَذَا وَاللَّهِ إِنْ تَمَّ مِنْ لَمْ تَدَعْ فِيهِ شَيْئًا يُشْهِدُكَ لِلْمَعْرُوفِ
فَضِيلاً .

مَحْدَثٌ بَعْضُهُمْ قَالَ : لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْمَدِينَةَ وَطَالَ مَكُوثُهُ عَلَيْهَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا
تَنَاوُلٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وِإِسْعَافٌ مِنْ آخِرِينَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ
وَوَجُوهَ النَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ أَنْ يَقْرُبُوا مِنَ الْمَنْبَرِ ، فَلَمَّا
فَرَّغَ مِنْ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي قَائِلٌ »
قَوْلًا ، فَمَنْ وَعَاهُ وَأَدَاهُ فَعَالَى اللَّهُ جَزَاؤَهُ وَمَنْ لَمْ يَعْه فَلَا
يَعْدُ مَنْ ذَمًّا مِنْهَا قَصْرُتُمْ عَنْهُ مِنْ تَفْصِيلِهِ فَإِنْ تَعَجَّزُوا
عَنْ تَحْصِيلِهِ ، فَارْعَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْعَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ،
وَأَشْعِرُوهُ قُلُوبَكُمْ . فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ وَالْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ . وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١) فَأَتُوا الْهَادِيَ تَهْتَدُوا . وَاجْتَنِبُوا الْغِيَّ تَرشُدُوا «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)» (٢) .
والله جلَّ ثناؤه ، وتقدست أسماؤه أمَرَكم بالجماعة ،
ورضيها لكم ، ونهاكم عن الفرقة ، وسخطها منكم
«(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون .
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة
الله عليكم إذ كنتم أعداء فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النارِ فَأَنْقَذَكُمْ
منها)» (٣) جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّن تَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ ، وَتَجَنَّبُ
سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْزُ بِهِ وَلَهُ .

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِينَ ،
وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ،

(١) يقتبس من الآية ٩ من سورة النحل « وعلى الله قصد السبيل
ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين » .
(٢) سورة النور : ٣١ . وأولها : « وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن ... » .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣ .

موزراء دون الخاق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ،
 فصداً قوه ، ونصروه ، وعزروه (١) . ووقروه ، فلم
 يُتقدّموا إلا بأمره ، ولم يُحتجّجوا إلا عن رأيه ، وكانوا
 أعوانه بعهد . وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن
 صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم . فقال وقوله الحق :
 «(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء
 بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله
 ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك
 مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج
 شطأه فأزره فاستغاث فاستوى على سوقه يعجب الزراع
 ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 منهم مغفرةً وأجرًا عظيماً)» (٢) .

فسن غاظوه فقد كفر ، ونخاب ، وفجر ، ونحسر ،
 وقال عز وجل : ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
 ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون
 الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا

(١) عزروه : نصروه وقروه .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبُّونَ مَنْ هاجرَ إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرونَ على أنفسهم ولو كانَ بهم خصاصةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . والذينَ جاءُوا من بعدهم يقولونَ ربَّنَا اغفرْ لنا ولإِخواننا الذينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ولا تَجْعَلْ في قلوبنا غلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا ربَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» (١)

فمن خالف شريعة الله عليه لهم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حقَّ له في الشيء ، ولا سبهم له في الإسلام في أي كثيرة من القرآن . فمَرَقَتْ مَارَقَةٌ من الدين وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عِضِينَ (٢) وتشعبوا أحزاباً أشابات (٣) ، وأوشاباً ، فخالفوا كتاب الله فيهم ، وثناؤه عليهم ، وآذوا رسولَ الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فيهم ، فخابوا ، وخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . «(أفمن كان على بَيِّنَةٍ من ربه كَمَنَّ زَيْنٌ له سوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)» (٤) .

(١) سورة الحشر : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عِضِينَ : العضة — كعدة : الفرقة ، والقطعة ، والكذب .

(٣) أشابات : الأشابة — بالضم : الأخلاط ، ومن الكسب :

ما خالطه الحرام .

(٤) سورة محمد : ١٤ .

وقال قتيبة : إن الحريص يستعجلُ الذلة قبل
إِدراكِ البُغية .

أهدى عبيد الله بن السدي إلى عبد الله بن طاهر
لما ولي مصر ، مائةً وصيفٍ ، مع كلِّ وصيف ألفُ
دينارٍ ، ووجهَ بذلك ليلاً . فردّه ، وبعث إليه :
لو قبلتُ هديتكَ ليلاً لقبلتها نهاراً وما ((آتاني الله خيرٌ
مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون)) (١) .

قال المأمون لطاهر بن الحسين : صف لي عبد الله
ابنك . قال : إن مدحته هجسته ، وإن هجوته ظلمته .
ولدَ الناسُ ابناً ، وولدت ابناً يُحسِن ما أحسن ولا أحسن
ما يحسن .

وليَّ عبدُ الله بن طاهر رجلاً بريد ما وراء النهر ،
فكتب إليه : إنَّها هنا قوماً من العرب قد تعصَّبوا ،
وتأشَّبوا (٢) ، وأظنُّ أمرهم سيرتقي إلى ما هو أغلظ منه .

(١) سورة النمل ٣٦ . وأولها « فما آتاني .. » .

(٢) تأشَّبوا : اجتمعوا واختلطوا .

فكتب إليه عبدُ الله : إنما بُعِثْتُ للأخبار السابقة
والحوادث الظاهرة لا للكهانة والتظني (١) .

قال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر : لا ينقضي عَجْبي
من ثلاثة : إفلاتِ عبَّاس بن عمرو من القرمطي ،
وهلِكَ أصحابه ، ووقوع الصغار ، وإفلاتِ أصحابه .
ولاية ابني الجسريين وأنا متعطِّل .

وقال محمدُ بن عبدِ الله بن طاهر لولده : عِفُّوا
تشرُّفوا ، واعشقوا تَظَرُّفُوا

وقال عبيدُ الله بن عبدِ الله في علمه : لم يبق علي من
بأس الزمانِ إلا العلةُ والخلةُ (١) وأشدُّهما علي أهونُهما
على الناس . ولأنَّ ألمَ جسمي بالأوجاع أهون عليَّ من ألمِ
قلبي للحقِّ المضاع .

جرى ذكرُ رجلٍ في مجلسِ سَلَم بنِ قُتَيْبَة (٢) ،

(٣) التظني : إعمال الظن ، وهو اتهام الإنسان بلا دليل ، والكهانة
القضاء بالغيب .

(١) الخلة : الحاجة والفقر ، والخصاصة .

(٢) سلم بن قتيبة : هو سلم بن قتيبة الباهلي الحرساني ، أبو عبد الله :
ولي البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد ، ثم وليها
في أيام أبي جعفر المنصور ، فكان من الموثوق بهم في الدولتين (الأموية
والعباسية) وكان من عقلاء الأمراء ، عادلاً حسنت سيرته ، ومات بالري .

فقال منه بعضهم ، فأقبل سلامٌ فقال : يا هذا ؛ أوجشتنا
من نفسك ، وأياستنا من مودتِكَ ، ودللتنا على عورتِكَ .
قال بعضهم : كنت عند يزيد بن حاتم بإفريقية ،
وكنْتُ به خاصّاً فعرضَ عليه تاجرٌ أدراعاً ، فأكثرَ
تقليبها ، ومزاولةَ صاحبها . فقالت له : أصاحَ الله الأميرَ .
فعلامَ تلوم السُّوقَ ؟ فقال : ويحك ! ! إني لست
أشتري أدراعاً إنما أشتري أعماراً .

قال المؤمن لطاهر بن الحُسين : أشرُّ عليّ بإنسان
يكفيني أمرَ مصرَ والشَّامِ . فقال له طاهرٌ : قد أصبته .
قال : من هو ؟ قام : عبدُ الله ابني ، وخادُمُك ،
وعبدُك . قال : كيف شجاعته ؟ قال : معه ما هو خيرٌ
من ذلك . قال له المؤمن : وما هو ؟ قال : الحزمُ .

قال : فكيف سخاؤه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من
ذلك . قال : وما هو ؟

قال : التَّنَزُّهُ وخُلُوفُ النفسِ .

مرضَ عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر ، فركبَ
إليه الوزيرُ ، فلما انصرف عنه كتب إليه عبدُ الله :

ما أعرف أحداً جَزَى العِلَّةَ خيراً غيري ، فإنني جزيتها
الخير ، وشكرتُ نعمتها على ، إذ كانت إلى رؤيتك
مؤديةً .

وكتب المأمونُ إلى طاهر يسأله عن استقلالِ ابنه
عبدِ الله .

فكتب طاهرٌ إليه : عبدُ الله — يا أميرَ المؤمنين —
ابني . وإن مدحتُه ذمتهُ وإن ذمتهُ ظلمتهُ . ولنعم الخلفُ
هو لأمير المؤمنين من عبده .

فكتبَ إليه المأمونُ : ما رضيتَ أنْ قرظتهُ في
حياتك حتى أوصيتنَا به بعدَ وفاتك .

قال طاهرٌ : طولُ العمرِ ثائرُ (١) مولاه لأنه لا
يُخْلِيكَ من رؤيةٍ محبةٍ في عذو .

قال الكلبيُّ : قال لي خالدُ بنُ عبدِ الله بنِ يزيد
القسري : ما يُعدُّ السُّوددُ فيكم ؟ فقلتُ : أما في
الجاهلية فالرياسةُ ، وأما في الإسلام فالولايةُ ، وخيرٌ من
هذا وذلك التقوى .

(١) الثائر : من لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره . والمراد أن طول
عمر الإنسان ينيح له التشنني من خصومه لما ينزل بهم من مكروه .

فقال لي : صدقت .

كان أبي يقول : لم يُدرك الأولُ الشرفَ إلا بالفعل ،
ولا يُدركُ الأخيرُ إلا بما أدرك به الأولُ .

قال : فقلت : صدقَ أبوك . ساد الأحنفُ بحلمه ،
وساد مالكُ بنُ مِسمعٍ بمحبة العَشيرة له ، وساد قُتيبةُ
بدهائه ، وساد المهلبُ بجميع هذه الحِلال .

فقال لي : صدقت . كان أبي يقول : خيرُ الناسِ
للناسِ خيرُهُم لِنَفْسِهِ . إنه إذا كان كذلك أبقى على نفسه
من السرقة لئلا يُقطع ، ومن القتل لئلا يُقاد ، ومن
الزنى لئلا يُحد ، فسَلِمَ الناسُ منه بأبقائِهِ على نَفْسِهِ .

قيل : وكان عبدُ الله بنُ يزيدَ أبو خالدٍ من عقلاء
الرُّجال .

وقال له عبدُ الملكِ يوما : ما مالُك ؟ فقال : شيْتان
لا عِيْلَة (١) عليَّ معهما : الرضا عن الله عز وجل ،
والغنى عن الناس .

(١) لا عيلة : العيلة : الفقر .

فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بنقدار
مالك ؟

فقال : لم يعد أن يكون قليلاً فيحقيرني ، أو
كثيراً فيحسبني .

وقيل أنصُر بن سيار (١) : إن فلاناً لا يكتبُ .
فقال : تلك الزمانة الحفية (٢) .

وقال : أولاً أن عمر بن هبيرة كان بدويّاً ما ضبط
أعمال العراق ، وهو لا يكتبُ .

اعتذر رجلٌ إلى مُسلم بن قتيبة من أمرٍ بلغه عنه ،
فَعذَرهُ ثم قال له : يا هذا : لا يحتملُك الخروجُ من أمرٍ
تخلصت منه على الدُّخول في أمرٍ لعلك لا تتخلص منه .

وقال مُسلم بن قتيبة : الشباب الصّحة ، والسُّلطانُ
الغنى ، والمروءةُ الصبرُ على الرجال .

وقال خالد بن عبد الله القسريّ : يُحمدُ الجودُ

(١) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي قلده هشام
أمر خراسان .

(٢) الزمانة الحفية : الزمانة : العاهة ، والمراد العيب المستمر
الذي لا يبرء منه .

مَالَمْ يَسْبِقْهُ مَسْأَلَةٌ وَمَالَمْ يَتَّبِعْهُ مَنْ ، وَلَمْ يُزِرْ بِهِ قُصُورٌ ، وَوَافَقَ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ .

قال الرشيدُ لسعيد بن سَلَمٍ : يا سعيدُ ، مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . بَنُو فِزَارَةٍ . قال : فَهَلْ بَيْتُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟

قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : الشَّرِيفُ مِنْ شَرَفَتُهُمْ . قال : صَدَقْتَ : أَنْتَ وَقَوْمُكَ .

قال بعضهم : رَأَيْتُ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ (١) عَلَى الْمَنْبَرِ بِسَرْنَخُسَ (٢) . وَقَدْ حَسَرَ ذِرَاعِيهِ — وَكَانَ أَشْعَرَ طَوِيلَ السَّاعِدَيْنِ — وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ نِعْمَةً فَكَفَرُوا نِعْمَتَهُ ، فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ .

(١) نصر بن سيار : أحد ولاة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان نصر والياً على إقليم خراسان . وفي أيامه قام أبو مسلم الخراساني يدعو لبني العباس ، فأرسل نصر إلى مروان يخبره بأمره في رسالة طويلة .

(٢) سرنخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ، ومرو .

اللهم إنَّكَ تعلمُ أنيُّ أحسَّنتُ إلى آلِ بسَّام فكفروا
نعمني .

اللهمَّ افعل بهم . ودعنا عليهم .

قال : فإمَّ يَحُلُّ الحولُ وعلى الأرض منهم عين
تطرف (١) ، وكانوا سبعين رجلاً ، كلُّهم قد ركب الخيلَ
كان أبو هبيرة يقول : أعوذ بك من كلِّ شيطان
مُسْتَعْرِب و كل نبطي مُسْتَعْرِب .

خطب بلالُ بنُ أبي بُردةَ بالبصرة ، فعرف
أنهم قد استحسنوا كلامه . فقال : لا يمنعكم أقبحُ
ما تعلمون فينا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا .

* * *

(١) كناية عن فنائهم .

الباب السابع

فضولُ الكتَّابِ والوزراءِ وتوقيعاتُ ونكتُ
من كلامِهِم ونوادِرُ لَهُم

أمرَ المأمونُ أحمدَ بنَ يوسفَ (١) أن يكتبَ في
الآفاق بتعليق المصباح في المساجد في شهر رمضان . قال :
فأخذتُ القُرطاس لأكتب ، فاستعجم عليّ ، ففكَّرتُ
طويلاً ، ثم غشيَّتْني نعْسَةٌ فقليل لي : أكتبُ : فإنَّ
في كثرة المصباح إضاعةٌ للمتعبِّين ، وأنساً
للسَّابِلَةِ (٢) ، ونفياً لمكامن الرِّيب ، وتنزيهاً لبيوت الله
عن وحشة الظُّلم .

أهدى سعيدُ بنُ حنَّيْدٍ إلى المأمون في يوم

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن بلحيم ،
كاتب المأمون ، وكان عالي الطبقة في البلاغة . ووزر للمأمون بعد أحمد بن
أبي نخالدة .

(٢) السَّابِلَةُ : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم .
والجمع السَّوابِل .

مهترجان خوان جزع (١) ، واتخذ ميلاً من ذهب بقدر ،
وحمله معه . وكتب إليه : قد أهديتُ إلى أمير المؤمنين
خوان جزع ميلاً في ميل . فاستحسن ذلك وقبله .

وقع جعفر بن يحيى (٢) في رقعة متحرّم به :
هذا فني له حرمة الأمل ، فامتحنه بالعمل ؛ فإن كان
كافياً فالسلطان له دوننا ، وإن لم يكن كافياً . فنحن له
دون السلطان .

كتب أحمد بن يوسف إلى إسحاق الموصلي (٣) -
وقد زاره إبراهيم بن المهدي : عندي من أنا عنده ،
وحجّتنا عليك لإعلامنا إياك ذلك . قد آذنتك .

(١) خوان جزع : يقصد مائدة مطلية باللون الأصفر ، أو مائدة
ذات تقاسيم .

(٢) جعفر بن يحيى : هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن
يرمك ، وزير هارون الرشيد . ولما قتله الرشيد رثاه الشعراء بقصائد
كثيرة تدل على شدة حزنهم عليه ، وأملهم لديه . وكان قتله سنة ١٨٧ هـ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي : يكنى أبا محمد عالم أديب راوية
للشعر بارع بالغناء والموسيقى .

فصل لأحمد بن يوسف .

أكثر من يلجأ إلى الخيلة من عجز عن المبادأة
والإصحار (١) ؛ وأكثر من يروم المناظرة من قصر
عن لطيف الخلدع ، ونحتمى الاستدراج . والقصد
مؤد إلى الرشيد .

تأخر إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن إبراهيم
ابن المهدي ، فكتب إليه : لا عذر لك في التأخر عني ؛
فإنني لا أخلو من حاليين : سخط أمير المؤمنين علي
فهو لا يكره أن يضرني ، أو رضاه عني فهو لا يكره
أن يسرني .

أمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب
عناية ، ويوجز . فكتب : كتابي كتاب واثق بمن كتبت
إليه ، معني بمن كتبت له ، ولن يضيع بين الشقة
والعناية موصلاه .

كتب أحمد بن يوسف إلى صديق له : كتبت إليك
في الظهر تفاؤلاً بأن يظهر لك الله على من ناوأك ،
ويجعلك ظهراً لمن ولاك .

(٢) الأصحار : أصحر : دخل الصحراء .

كتب بعضهم إلى رئيس : تختم كُتُبَكَ لَأَنْتَها
مَطَايَا البر ، ولا أَخْتَمُها لَأَنْها حَوَامِلُ الشُّكْرِ .

وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى إلى عاملٍ له : وَأَنْصِفْ من
وَلَيْتَ أَمْرُهُ ، وَإِلَّا أَنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ وَلِي أَمْرَكَ .

وَقَعَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ في قِصَّةٍ مُتَظَلِمٍ : اكْفِنِي
أَمْرَ هَذَا . وَإِلَّا كَفَيْتَهُ أَمْرَكَ .

استشهد ابنُ الفُرات (١) في أيام وزارته عليَّ بنُ
عيسى ، فلم يشهد له ، وكتب إليه لما عادَ إلى بيته :
لا تُلْصِقْنِي على نِكْوَصِي عن نُصْرَتِكَ بِشَهَادَةِ زُورٍ ،
فإنَّه لا اتِّفَاقَ على نفاقٍ . ولا وفاةَ لذي مَيِّنٍ (٢)
واختلاقٍ . وأحْزِرْ بِمَنْ تُعَدِّي الحَقَّ في مَسْرَّتِكَ إذا رَضِي ،
أَنْ يَتَعَدَّى إلى الباطلِ في مَسْأَعَتِكَ إذا غَضِبَ . والسلام .

وَقَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ (٣) في ظَهْرِ رُقْعَةٍ : إذا

(١) ابنُ الفرات : هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات ،
أبو العباس ، وزير من بيت فضل ورياسة ، ووزارة .

(٢) المين : الكذب .

(٣) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول رجلاً
من الأتراك ففتح يزيد بن المهلب بلده ، وأسلم على يديه .

كَانَ لِلْمُحْسِنِ مِنَ الْحَقِّ مَا يَقْنَعُهُ ، وَلِلْمُسِيءِ مِنَ
النِّكَالِ مَا يَقْمَعُهُ ، بِذَلِكَ الْمُحْسِنُ الْحَقَّ رَغْبَةً وَانْقِمَادَ
الْمُسِيءِ لَهُ رَهْبَةً .

كَتَبَ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْمِيُّ إِلَى بَعْضِ
الْوُزَرَاءِ : وَلِي فِيمَا جَدَّدَ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ لِلْوُزَرَاءِ
مِنْ بُلُوغِ النِّهَايَةِ ، مَا انْتَرَعَتْهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي قَوْلِهِ : « (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) » (١) . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ
نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ لَمْ يَزَلْ نَامِيًا عَالِيًا عَلَى كُلِّ دِينٍ ، وَأَنَّهُ
لَا تَمَّا ضَرْبَ بَحْرَانِهِ وَقَهَرَ الْأُمَمَ شَرْقًا وَغَرْبًا بَعْدَ كَمَالِهِ .

وَقَعَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ (٢) إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ :
يَا نَصَفَ إِنْسَانٍ . وَاللَّهِ لَنْ أُمِرْتُ لِأَنْفَعِدَنَّ ، وَلَنْ
أَنْفَعِدْتُ لِأَبْرٍ مَنْ ، وَلَنْ أُبْرِمْتُ لِأَبْلَغَنَّ .

فَأَجَابَهُ : أَنَا — أَعَزُّكَ اللَّهُ — كَالْأُمَّةِ السُّودَاءِ ،

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ٣ . وَأَوَّلُهَا : « حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ .. » .

(٢) ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : لَقَبٌ لِقَبِّ بِهِ الْمَأْمُونُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ . وَمَعْنَى

ذَلِكَ رِيَاسَةَ الْحَرْبِ وَرِيَاسَةَ التَّدْبِيرِ . وَعَقْدٌ لَهُ الْمَأْمُونُ عَلَى سَنَانِ ذِي شَعْبَتَيْنِ .

إن حمل عايتها دمدمت (١) وإن رُفَّه عنها أشرت (٢) :
وإن عؤقت فباستحقاق ، وإن عفي عنها فبإحسان .

كتب إبراهيم بن العباس إلى أهل حمص :
أما بعد فإن أمير المؤمنين يرث من حق الله عليه
استعمال ثلاث يُقدَّمُ بعضهنَّ على بعض : الأولى
تقديم تنبيه وتوجيه ، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف .
ثم التي لا ينفع لحسب الداء غيرها .

أناة فإن لم تُغنِ أعقبَ بعدها
وعيداً فإن لم تُجندِ أغنت عزائمه
ويقال : إن هذا أول كتاب صدر عن خليفة
من بني العباس وفيه شيعر .

وقيل : إن إبراهيم بن العباس لم يتعمد أن يقول
شعراً ، ولكنه لما رآه موزوناً تركه .

(٢) دمدمت : هلكت .

(٣) الأشر : البطر وكفر النعمة .

وَقَعَّ جَوْهَرُ (١) مَوْلَى الْفَاطِمِيِّينَ لَمَّا افْتَتَحَ مِصْرَ
 فِي قِصَّةٍ رَفَعَهَا إِلَيْهِ أَهْلُهَا : سُوءُ الْاحْتِرَامِ أَوْقَعَ بِكُمْ
 حُلُولَ الْإِنْتِقَامِ . وَكَفَرُ الْإِنْعَامِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ حِفْظِ
 الدِّمَامِ : فَالْوَاجِبُ فِيكُمْ تَرْكُ الْإِيجَابِ ، وَاللَّازِمُ
 لَكُمْ مِلَازِمَةُ الْاجْتِنَابِ ؛ لِأَنَّكُمْ بَدَأْتُمْ فَأَسَأْتُمْ ، وَعَدْتُمْ
 فَتَعْدَيْتُمْ . فَابْتَدَأُكُمْ مَلُومٌ ، وَعَوَّدُكُمْ مَذْمُومٌ ،
 وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ تَقْتَضِي إِلَّا الدَّمَ لَكُمْ ، وَالْإِعْرَاضُ
 عَنْكُمْ لِيَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - رَأْيَهُ فِيكُمْ .

كُتِبَ عَلَيَّ بَنُ هِشَامٍ إِلَى الْمُؤَصِّلِيِّ : مَا أَدْرِي كَيْفَ
 أَصْنَعُ ؟ أَغَيِّبُ فَأَشْتَاقُ ، وَأَلْتَقِيَ فَلَا أَشْتَفِي . ثُمَّ سَيُحْدِثُ
 لِي اللَّقَاءُ نَوْعًا مِنَ الْحُرْقَةِ ، لِلْوَعْدَةِ الْفُرْقَةِ .

كُتِبَ آخِرُ : مِنَ الْعَجَبِ إِذْ كَانَ مُعْتَبَرِي (٢) ،
 وَحَثُّ مُتَتَبِعِي ، وَاسْتِبْطَاءُ دَالِيرِي إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ
 لَا يَدَعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ .

(١) هُوَ جَوْهَرُ الصَّقَلِيِّ الْقَائِدِ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ
 لِفَتْحِ مِصْرَ ، فَفَتْحَهَا ، وَبَنَى الْقَاهِرَةَ ، وَابْجَامَعَ الْأَزْهَرَ ، وَبَعْضَ الْقُصُورِ .
 وَقَدْ تَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ .

(٢) الْمَعْنَى : الْمَهْمُومُ .

كتب بعضهم إلى ابن الزيات (١) : إن ميمما يطمعني
 في بقائنا عليك ويزيدني بصيرة في دوامها لك ، أنك أخذتها
 بحقك ، واستدّمتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن
 الأجناس أن تتقاوم ، والشيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحنُّ
 إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ركن في مغرسه ،
 وضرب بعرقه ، وسحق بفرعه ، وتمكّن للإقامة ،
 وثبت ثبات الطبيعة .

آخر : إلى ابن خاقان (٢) : رأيتني فيما أتعاطى من
 مدحك كالمُسَخِر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
 الزاهر ، الذي لا يخفى على ناظر ، وأيقنت أنني حيث
 أنتهى من القول منسوب إلى العجز ، مقصّر عن الغاية ،
 فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدُّعاء لك ، ووكلتُ
 الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

(٣) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن
 حمزة المعروف بابن الزيات من أهل الأدب وقد كان وزيراً للمعتصم .

(٢) ابن خاقان : هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان
 الإشبيلي ، صاحب كتاب قلائد العقيان . وكلامه في كتبه يدل على غزارة
 فضله وسعة مادته وفد توفي سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراکش .

كتب الحسن (١) بن وهب إلى صديق له يدعو به :

افتتحت الكتاب — جعلني الله فداك — والآلات
معدة ، والأوتار ناطقة ، والكأس محثوثة ، والجلو
صاف ، وحواشي الدهر رقاق ، ومخايل السرور لائحة ؛
ونسأل الله إتمام النعمة بتمام السلامة من شوب العوائق ،
وطروق الحوادث ، وأنت نظام شمل السرور ، وكمال
بهاء المجلس . فلا تخترم^(٢) ما به ينتظم سروري وبهاء
مجلسي .

كاتب : قد أهديت لك مودتي رغبة ، ورضيت
منك بقبولها وثوبة ، وأنت بالقبول قاضٍ لحق ، ومالك
لرق .

كاتب : كان لي أملان : أحدهما لك ، والآخر
بك ، أما الأمل لك فقد بلغته ، وأما الأمل بك فأرجو
أن يحققه الله ويوشيكه .

(١) هو الحسن بن وهب بن سعد ، شاعر كاتب مترسل فصيح أديب .

(٢) اخترمهم الدهر وتخترمهم : اقتطعهم واستأصلهم . والمراد :

لا تخرمني طلعتك التي هي سبب سروري وزينة مجلسي .

آخر : ودّعتُ قلبي بتوديعك ، فهو يتصرفُ
بتصرفك ، وينصرفُ بمنصرفيك .

آخر : قد كنتَ لنكباتِ الدهرِ مُستعداً ، ولغدَراته
متحرّفاً (١) ، فهل زاد على أنْ صدّقك عن نفسه ،
وأثاك بما كنتَ عالماً أنه يأتيك؟ فكيف تجزعُ وأنت تعلمُ
أنه ليسَ لما وقعَ مرَدٌّ ولا لما ذَهَبَ مُرتجعٌ ؟

تهنئة بابتنة : ربّ مكروهٍ أعقبَ مسرةً ، ومحبةٍ
أعقبَ معرةً ، وخالقِ المنفعةِ والمضرةِ أعلمُ بمواضعِ
الخيرِ .

آخر : إنه ليتربّصُ بكِ الدوائرَ ، ويتمنّى لكِ
الغوائلَ (٢) ، ولا يؤمّلُ صلاحاً إلا بفسادِ حالِك ، ولا رفعةً
إلا بسقوطِ قدرك .

فصل : حَسَرَ الدهرُ عن تجمُّلي قيناعَ القنّاعةِ ،

(١) أي صادا لغدرات الزمان . يقال : نحرف وحارفه بسوء : جازاه .

(٢) الغوائل : الدواهي ، والمفرد غائلة .

ولكنني - مع الظماً عن دنيّ الموارد - نافرٌ ، ومع الفاقةِ
بغنيّ النفس مُكاثِر .

فصل : من تهنئة بإملاك : وكيف يرتاع لهجومِ
عُربُةٍ ، أو يجاور توحُّش نُقْلةٍ مَنْ لم يقطعهُ اتصاله بي
عنك ، ولا باعده انتقاله إليّ منك ، فهو مخاطبٌ على البعدِ
بألفاظك ، مرموقٌ بالمرآعة من ألحاظك ، غير نازح
عما أليفه من عواطفِ الولادة ، ورأفةِ التربية ،
وانبساطِ الأنسة ، والله يُسعدُها بمن سارتُ إليه كما
سُرَّ بها من وفدتُ عليه ، ويُريني من المحبّة فيها مثلَ
ما أرائيه من المحبة بها ، وكيف يُوصي الناظرُ بنوره ،
أم كيف يُحضُّ القاب على حفظِ سروره .

وُجد في كتاب بلخضر بن يحيى أربعة أسطرٍ بالذهب :
الرزقُ مقسومٌ ، والحريصُ محرومٌ ، والبخيلُ مذمومٌ ،
والחסودُ مغنومٌ .

قال منصورُ بنُ زياد (١) الكاتبُ : للمعلّي بن

(١) منصور بن زياد الكاتب : أديب معاصر ليحيى بن خالد وكان
على صلة طيبة به .

أَيُّوبَ : واللّٰهَ إِنِّي لأَبْذُلُ ، وإِنِّي لأَقْدِرُ وإِنِّي لأَخْتَارُ ،
 وإِنِّي لأَسْتَشِيرُ ، وإِنِّي لأَحِبُّ مع طيبِ الخَبَرِ ، وحسنِ
 المنظرِ ، وإِنِّي لأَعشِقُ البَهَاءَ كما تَتَعشِقُ المرأةُ الحُسْنَاءَ ،
 وإِنِّي مع ذلكَ لأَدْخُلُ دارَكَ فَأَحْقِرُ كلَّ شيءٍ في دارِي .
 فما العِلَّةُ ؟ قال : أو ما تَعْلَمُ ؟ قال : لا . قال لأنِّي
 أَقْدَمُ غَنًى مِنْكَ .

كان نقشُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ (١) : من
 نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

قال مسلمُ بْنُ الْوَلِيدِ (٢) : سألتُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ
 حَاجَةً . فقال : أَشَوْقُكَ الْيَوْمَ بِالْوَعْدِ ، وَأَحْبَبُكَ غَدًا
 بِالْإِنْجَازِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ يُحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ : المَوَاعِيدُ
 شَبَكَةٌ مِنْ شِبَاكِ الْكِرَامِ ، يَصِيدُونَ بِهَا مُحَامِدَ الْأَحْرَارِ
 وَلَوْ كَانَ الْمُعْطِيُّ لَا يَتَعَدُّ ، لَارْتَفَعَتْ مَفَاخِرُ الْإِنْجَازِ
 الْوَعْدِ ، وَنَقَصَ فَضْلُ صِدْقِ الْمَقَالِ .

(١) هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ ، وَلَدَ عام ٢٤٣ هـ ،
 وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلْخَلِيفَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَقَدْ اشْتَهَرَ بِأَدَبِهِ . وَمَاتَ سَنَةَ ٢٩٦ هـ .
 (٢) مسلمُ بْنُ الْوَلِيدِ : هو المعروف بِصَرِيحِ الْغَوَانِي . وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ
 شعراءِ الْعَبَّاسِيِّينَ .

ووقع الفضلُ إلى تميم بن مخرمة : الأمورُ بتسامها ،
والأعمالُ بخواتيمها ، والصنائعُ باستدامتها ، وإلى الغايةِ
ما يجرى الجوادُ ، فهناك كشفتِ الخبرةُ قناعَ الشكِّ ،
فحميدُ السابق ، وذمُّ الساقط .

كان يحيى بن خالد : يقول لستَ ترى أحداً تكبرُ
في إمارةٍ إلا وقد دلَّ على أن الذي نالَ فوقَ قدره ،
ولستَ ترى أحداً تواضعَ في الإمارةِ إلا وهو في نفسه
أكبرُ مما نالَ من سلطانه .

احتاج يحيى في الحبسِ إلى شيءٍ فقيل له : لو كتبتَ
إلى صديقك فلانٍ فقال : دعوه يَكُنْ صديقاً .

وحضرَ الفضلُ بنُ الربيعِ جنازةَ ابنِ حمدون بعدَ
نكبة البرامكة (١) ، فذكرتهم ، وأطراهم ، وقرظهم ،

(١) البرامكة : إحدى الأسر الفارسية التي نشطت في الدولة العباسية ،
وكان لها من أدها ، وكرمها وحسن سياستها ما جعلها تحترف الوزارة
لخلفاء العباسيين أول الأمر . الأمر الذي أوغر صدور الطامحين عليهم ،
فوشوا بهم إلى هارون الرشيد فبطش بهم بطشته الكبرى وسجنهم ، وقتل
بعضهم ، وصادر أموالهم . .

وقال : كنا نعتبُ عليهم ، فصرنا نتمنّاهم ونبكي عليهم ،
ثم أنشد متمثلاً .

عتبتُ على سَلَمٍ فلمّا فقدته
وجربتُ أقواماً بكيتُ على سَلَمٍ

قال الفضلُ بنُ سهل : رأيت جملةَ السَّخَّاءِ حسنَ
الظنِّ بالله ، وجملةَ البخلِ سوءَ الظنِّ بالله ، قال
الله تعالى : « (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) » (١) . وقالُ :
« (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) » (٢) . احتجّ أن
يُكتبَ على المعتضد كتابٌ يشهدُ عليه فيه العُدُولُ ،
فلما عُرِضَتِ النسخةُ على عبيد الله بنِ سليمان (٣) ،
وكان ابنُ ثوابةٍ قد كتبها كما يكتبُ في الصِّكَّاءِ (٤)
« في صحفةٍ عقله ، وجوازٍ أمره له وعليه » فضرَبَ عليه
عبيدُ الله وقال : هذا لا يجوز أن يُقالَ للخليفةِ ،
وكتبَ : « في سلامةٍ من جسمه ، وأصالةٍ من رأيه » .

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) سورة سبأ ٣٩ . وأولها : « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » .

(٣) عبيد الله بن سليمان : هو أحد وزراء الموفق بن جعفر المتوكل

العباسي .

(٤) الصِّكَّاءُ : جمع صك ، وهو الكتاب ، فارسي معرب .

قال الحسن بن سهل : لا يكسد رئيس صيناعة إلا
في شر زمان ، وأخس سلطان .

اعتل ذو الرياستين بخراسان مدة طويلة ثم أبلى
واستقل (١) وجلس للناس فدخلوا إليه وهنؤوه بالعافية ،
فأنصت لهم حتى تنقضي كلامهم ، ثم اندفع فقال :
إن في العيل نعمة لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوا ، منها
تمحيص للذنب ، وتعريض لثواب الصبر ، وإيقاظ من
الغفلة ، وإذكاء بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء
للتوبة ، وحض على الصدقة ، وفي قضاء الله وقدره
بعد الخيار . فانصرف الناس بكلامه ، ونسوا ما قال غيره .

كتب ابن الفرات علي بن محمد ، ومحمد بن داود ،
ومحمد بن عبدون رقعة إلى العباس بن الحسن الوزير
يستزيدون فيها ، فوقع بخط علي ظهرها « ما حالكُم
حال مستزيد ، ولا فوق ما أنا عليه لكم من مزيد ،
فإن تكن الاستزادة من مال فهو موفور عليكم ،
وإن تكن من رأي فالأعمال لكم ، ولي اسمها ،

(١) استقل : يقال : استقل القوم : ذهبوا أو ارتحلوا .

وعليّ عبثُها ، وثقلُ تدبيرِها وأقولُ لعلّي بن محمد من
بَيْنِكُمْ : ما يطيقُ نفسه تدلُّلاً واعتداداً أمينٌ بؤُسٍ
كانت هذه الاستزادةُ أم من بطرِ النعمة ، ودلالِ
التُرفة ، ولي في أمرِ جماعتِكُم نظراً ينكشفُ عن قريبٍ ،
حَسْبِي ، وحسبُكُم اللهُ ونعمَ الحسيبُ .

عتبَ أحمدُ بنُ خالدٍ على أحمدَ بنِ هشامٍ في أمرٍ
كان بينهما فاعتذر إليه ، فقال ابنُ خالدٍ : لا أقبلُ لك
عذراً حتّى آتي إليك . فقال : واللهِ لئن فعلتَ لاستعديتُ
عليك إلا ظلمتُك ، ولا أطمعني فيك إلا بغيتُك .

قال الفضلُ بنُ يحيى لبعض المتحرّمين (١) به :
أعتذرُ إليك بصالحِ النيةِ ، وأحتجُّ عليك بغالبِ القضاءِ .
وكتب إلى عاملٍ له : بئسَ الزادُ إلى المعادِ العدوانُ
على العبادِ .

وقال لرجلٍ استبطأ عندهُ الرشيدُ — وكان من
أهل بيته — : إنَّما شغلَ عنك أميرَ المؤمنين حُقوقُ
أهل الطاعةِ دونك ، ولو قد فرغَ فيهمُ إليك لم يُؤثرَ من
دونك عليك . فقام أبوه يحيى ، فقبل رأسه .

(١) المتحرّم . الممتنع ، من تحرّم بمعنى تمنع وتحمى .

كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :
 لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنه يرى بين نعمة
 مقصورة عليه أو زيادة منتظرة . فقال : عبد الله
 الكاتبة (١) : كيف ترى مسمع هاتين الكلمتين ؟ فقال :
 كأنهما قُرطان بينهما وجه "حسن" .

وقّع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب لعل بن عيسى :
 حبّبت الله لإيلك الوفاء — يا أخى — فقد أبغضته ، وبغض
 لإيلك الغد . فقد أحببته . إني نظرت في الأشياء لأجد فيها
 ما يُشبهك . فلمّا لم أجد رجعت إليك فشبهتك بك .
 واقعد بلغ من حسن ظنك بالأيّام أن أمّنت السلامة مع
 البغي ، وليس هذا من عاداتها .

قال يحيى بن خالد : ذلّ العزل يضحك من
 تيه الولاية .

وقال الفضل بن مروان : إن الكاتب مثل الدُّولاب
 إذا تعطلّ تكسّر .

قال المأمون لأحمد بن يوسف : إن أصحاب

(١) هو محمد بن رباح .

الصدقات تظلموا مِنك ، فقال : يا أمير المؤمنين واللّٰه ما رضي أصحابُ الصدقاتِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله فيهم : « (ومنهم من يَلْمزك في الصدقاتِ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون) » (١) فكيف يرضون عني ؟ فاستضحك المأمون ، وقال له : تأمل أحوالهم ، وأحسن النظر في أمرهم .

وكيَّ الرشيدُ عاملاً خراج طساسيج (٢) السَّواد ، فقال لجعفر ويحيى : أوصياه . فقال جعفر : وفر واعمر . وقال يحيى : أنصف وانتصف . وقال الرشيدُ يا هذا : أحسن واعدل . ففضل الناسُ كلامَ الرشيد . فقليل لهما : لم نقص كلامكما عن كلامه ؟ فقال جعفر : لا يعتدُّ هذا نقصانا إلا من لا يعرف ما لنا وما علينا . إنما أمرنا بما علينا أن نأمر به ، وأمير المؤمنين بما له أن يأمر به ؟

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(١) الطساسيج : جمع طسوج - كسفود : الناحية .

قال رجلٌ ليحيى بن خالد — وكان من صنائعه — :
 إنني سمعتُ الرشيدَ وقد خرجتَ من عنده يقولُ :
 قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ ، فاحتلَّ لنفسِكَ . فقال :
 اسكُتْ يا أخي ، إذا جاء الإِدْبَارُ كان العطبُ في الحيلة (١) .

أمرَ يحيى كاتبين من كتَّابه أن يكتبَا كتاباً في
 معنى واحد ، فكتبَا ، واختصر أحدهما ، وأطال الآخر ،
 فلما قرأ كتاب المختصر ، قال : ما أجدُ موضعَ مزيدٍ .
 ثم قرأ كتاب المطيل ، فقال : ما أحدُ موضعِ نقصانٍ ؟

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله ، فلما أبرم (٢) قال :
 ما رأيتُ عُذْراً أشبهه باستينان (٣) ذنبٍ من هذا .

قال بعضهم لابن الزيات : أنا أمتٌ إليك بجوارِي
 لك ، وأرغبُ في عطفك . فقال : أمّا الجِوَارُ فنسبٌ
 بين الحَيِّطَانِ ، وأمّا العَطْفُ والِرَقَّةُ فهُمَا للصبيان والنساء .

(١) المراد : إذا كان الحظ غير موات ، والدنيا مولية ، فالحيلة
 لمنع ذلك قد تعجل الضرر ولا تدفعه .

(٢) أبرم : برم بالأمر : إذا سئمه فهو برم : ضجر .

(٣) سننت السنة واستننتها : سرتها . فهو يريد : أنه فعل الذنب ،

وأغرى به ، وجعلها سنة لغيره .

وناظره رجل فصالحه^١ على مال ، فقال له : عجل^٢ به .
فقال الرجل . . أظلم^٣ وتعجيل^٤ ؟ قال : فصلح^٥ وتأجيل^٦ ؟
قيل ليعحي بن نحاس : غير حاجبك . قال : فمن^٧
يعرف^٨ إنخواني القداماء ؟

قال عبید الله بن عبد الله بن طاهر : أتاني كتاب^٩
المعتز (١) ، وكتاب أحمد بن إسرائيل (٢) . مع رسول^{١٠} ،
ومعه رأس بغاء وفي الكتب أن أنصبته^{١١} على البغانيين ،
فلم أفعل وكتبت إلى أحمد بن إسرائيل : قد أوجب^{١٢}
الله^{١٣} على^{١٤} نصيح^{١٥} أمير المؤمنين من جهات : منها ما تقتضيه^{١٦}
الديانة^{١٧} ، وتوجب^{١٨} الإمامة^{١٩} ، ومنها اصطناع^{٢٠} آبائه^{٢١}
لخدمتهم من أسلافي^{٢٢} ، ومنها اختصاصه^{٢٣} لي^{٢٤} بجميل رأيه^{٢٥} ،
ومع هذا فلم أكن لأؤخر عنك رأياً مع^{٢٦} ، أنا عليه^{٢٧}
من المناصب^{٢٨} والشكر . وإن^{٢٩} الكتب وردت علي^{٣٠} بنصب^{٣١}
رأس بغاء في البغانيين^{٣٢} ، وقد أنحرت^{٣٣} ذلك حتى يعود^{٣٤}

(١) لما كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، قلد المعتز وزارته جعفر
ابن محمود البرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .
(٢) بنا : أحد زعماء الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي .

إِلَى الْأَمْرِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ « وَبِغَا » فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
 لَمْ تُتَّهَمُوا فِيهِ ، وَأَخَافُ أَنْ تَتَّبِعَكُمُ الْآثَرَاكُ عِنْدَ أَوَّلِ
 شَغَبَةٍ بِهِ ، وَيَطَالِبُوكُم بِدَمِيهِ . وَيَجِئُوا ذَلِكَ ذُرِيعةً
 إِلَى إِيْقَاعِ سُوءٍ ، وَكَانَ الصَّوَابُ عِنْدِي أَنْ يَغْسِلَهُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ . وَيُدْفَنُهُ . وَيُظْهِرَ حَزْنَاً ،
 وَيَقُولَ : مَا أَحَبُّ أَنْ يَصَابَ صَغِيرٌ مِنْكُمْ وَلَا كَبِيرٌ ،
 وَقَدْ غَدَّيْتُ أَمْرٌ بَغَا وَلَوْ وَصَلَ إِلَيَّ لَزِدْتُ فِي مَرْتَبَتِهِ ،
 وَمَا يُشْبِهُ هَذَا .

فوردَ عليّ كتابُ أحمدَ بنِ إسرائيلَ يشكُرُ ما كان
 مني ويخلفُ أَنَّهُ سَبَقَنِي إِلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَاجْتَهَدَ فِيهِ فَمَا
 أَمَكْنَهُ إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ ، وَلَمْ يَقْبَلْ قَوْلَهُ . وَفِي آخِرِ
 كِتَابِهِ : وَاعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ بَعْدَكَ - وَهُوَ مِمَّا لَا نَعْرِفُهُ
 نَحْنُ . وَلَا أَنْتَ - رَأْيٌ لِلْحُرِّمِ وَالْخَدَمِ يَتَّبِعُونَ وَيُعْمَلُ
 عَلَيْهِ ، وَهَذَا فَتْحٌ لِلْخَطَا وَإِنْخِلَاقٌ لِلصَّوَابِ فَانْصَبِ الرَّأْسَ
 قَلِيلًا ، ثُمَّ أَنْفِذْهُ إِلَى خِرَاسَانَ .

كُتِبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّ صَاحِبَ الطَّرِيقِ قَدْ
 اشْتَطَّ فِيهَا يَطْلُبُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَوَقَّعَ جَعْفَرٌ : هَذَا رَجُلٌ

منقطعٌ عن السلطان ، وبين ذُؤبانٍ (١) العرب ، بحيثُ
العددُ والعُدَّةُ ، والقلوبُ القاسيةُ ، والأُنوفُ الحميةُ ،
فليُسَدَّ من المالِ بما يَستَصلِحُ به من معه ليدفعَ به عدوّه
فإن نفقاتِ الحروبِ يَستَظْهَرُ لها ولا يَستَظْهَرُ عليها (٢) .

وأكثرَ الناسِ شَكِيَّةَ عاملٍ فوقَ إليه في قصَّتْهم يا هذا
قد كَثُرَ شاكوكُ ، وقلَّ حاميدوكُ ، فإمّا عدلتَ
وإمّا اعتزلتَ .

وكان يقول : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكُونُ كَتَبُكُمْ كُلُّهَا
تَوَقَّعَاتٍ فافْعَلُوا .

كتب الفضلُ بنُ سهلٍ في كتابِ جوابِ ساعٍ :
ونحن نرى أنَّ قبولَ السَّعايةِ شرٌّ من السَّعايةِ ، لأنَّ السَّعايةَ
دلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، فاتَّقُوا السَّاعِيَّ فَإِنَّهُ لو كان في
سَعَايَتِهِ صَادِقاً لكان في صَدَقِهِ لَئِيماً ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَحْفَظِ الحَرَمَةَ
وَلَمْ يَسْتُرِ العَوَّةَ .

* * *

(١) ذُؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم .

(٢) لا يَستَظْهَرُ عليها : المعنى : يتعاون في دفعها بجمع نفقاتها من
القادرين ، لا بالتساهل في جمع تلك النفقات ، الأمر الذي يؤدي إلى
وقوع الكارثة .

الباب الثامن

نكتٌ مستحسنةٌ للقضاة

قال شُرَيْحٌ (١) : إِنَّمَا لَا نَعِيبُ الشُّهُودَ ، وَلَا نَلْقَنَ
الْحَصُومَ ، وَلَمْ نُسَلِّطْ عَلَى أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ، إِنَّمَا
نَقْضِي بَيْنَكُمْ ؛ فَمِنْ سَأَلْتُمْ لِقَضَائِنَا فَبِهَا ، وَمَنْ لَا ،
أَمَرْنَا بِهِ إِلَى السَّجْنِ .

كتب الفضلُ بنُ الربيعِ إلى عبدِ الله بنِ سوارٍ (٢) يسأله
أن يشتري له ضبيعة . فكتب إليه : إِنْ الْقَضَاءُ لَا يُأْدَنَسُ بِالْوَكَالَةِ .

قال الزُّهْرِيُّ (٣) : ثَلَاثٌ إِذَا كُنْ فِي الْقَاضِي فَلَيْسَ
بِمَاضٍ : إِذَا كَرِهَ اللَّوْائِمَ ، وَأَحَبَّ الْمُحَامِدَ ، وَكَرِهَ
الْعَزَلَ .

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي ، ولي قضاء الكوفة
لعمر رضي الله عنه ، فمن بعده خمسا وسبعين سنة ، ولم يتعطل فيها إلا
ثلاث سنين ، وكان له درجة في القضاء .

(٢) هو عبد الله بن سوار العبدي ، استشهد سنة ٥٤٦هـ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله الزهري ، أبو مصعب .

قال أيُّوب : إِنْ مِِنْ أَصْحَابِي مَنْ أَرْجُو دَعْوَتَهُ ،
ولا أَجِيزُ شَهَادَتَهُ .

وقال سَوَّار (١) : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي أَفْضَلَ
مِنْ عَطَاءِ السُّلَمِيِّ ، وَلَوْ شَهِدَ عِنْدِي عَلَى فُلَانٍ مَا أَجَزْتُ
شَهَادَتَهُ يَذْهَبُ لِي أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَيْسَ بِالْحَازِمِ .

وكان أبو هريرة (٢) لَا يُجَوِّزُ شَهَادَةَ أَصْحَابِ
الْحَمِيرِ .

وسُئِلَ قَتَادَةُ عَنْ شَهَادَةِ الصَّيْرِفِيِّ . فَقَالَ : لَا تَجُوزُ
شَهَادَتُهُ .

ولِيَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ (٣) قَضَاءٌ لِلْبَصْرَةِ فَجَعَلَ
يُحَايِي النَّاسَ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَمَا نَحِيرُ رَجُلًا
لَا يَقْطَعُ لِأَخِيهِ مِنْ دِينِهِ ؟

قال شريح : الْحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ .

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار القاضي .

(٢) أحد رواة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن
الذين كانوا يحفظون السنة ويبلغونها الناس .

(٣) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ شُبْرُمةَ لرجلٍ : أَتَشْرَبُ النِّبِيذَ ؟ قال :
أَشْرَبُ الرِّطَايِنَ وَالسَّلَاثَةَ .

فقال : والله ما شربته شُرْبَ الْفَيْتِيَانِ ، ولا تركته
تركَ الْقُرْآنِ .

وقيل لهُ : لم تركتَ النِّبِيذَ ؟ فقال إِنْ كَانَ مُحَلَّلاً
فَحِظْتِي تَرَكَتُ ، وَإِنْ كَانَ مُحْرَماً فَبِالْحِزْمِ أَخَذْتُ .
وسُئِلَ شَرِيكَ عَنِ النِّبِيذِ . فقال : قد شربه قومٌ
صَالِحُونَ يُقْتَدَى بِهِمْ . فقييل : كَمْ أَشْرَبُ ؟ قال :
مَالاً يَشْرَبُكَ (١) .

لما ولي يحيى بنُ أَكْثَمَ قضاءَ البصرة استصغروا سنَّههُ ،
فقال له رجلٌ كَمْ سَنُ الْقَاضِيِ أَعَزَّهُ اللهُ ؟ فقال : سِنُ
عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ (٢) حينَ ولاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، فجعل جوابه احتجاجاً .

(١) المراد : مالا يذهب بوعيك وإدراكك .

(٢) عتاب بن أسيد : ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مكة
وهو ابن خمسة وعشرين سنة .

ساوَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَعْرَابِيًّا بِفَرَسٍ لَهُ فَلَمَّا
 قَامَتْ عَلَى ثَمَنِ أَخَذَهَا مِنْهُ عُمَرُ عَلَى أَنَّهُ فِيهَا بِالْخِيَارِ ،
 إِنْ رَضِيَ أَمْسَكَ ، وَإِنْ كَرِهَ رَدَّ ، فَيَحْمِلُ عُمَرُ
 عَلَيْهَا رَجُلًا يُشَوِّرُهَا (١) فَوَقَعَتْ فِي بئرٍ فَتَكْسَرَتْ ،
 فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ضَمِنْتَ فَرَسِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ :
 كَلَّا ، فَإِنِّي لَمْ أَرْضَها . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَجَعَلَا بَيْنَهُمَا شُرَيْحًا ، فَقَصَّصَا عَلَيْهِ
 الْقِصَّةَ ، فَقَالَ شُرَيْحٌ ضَمِنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَسَ الرَّجُلِ ،
 لِأَنَّكَ أَخَذْتَهَا عَلَى شَيْءٍ مَعْلُومٍ ، فَأَنْتَ لَهَا ضَامِنٌ حَتَّى
 تَرُدَّهَا عَلَيْهِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ عُمَرُ ، وَبَعَثَ شُرَيْحًا عَلَى قِضَاءِ
 الْكَوْفَةِ .

سُئِلَ الشَّعْبِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا .
 فَقِيلَ : لَا تَسْتَحْيِي ؟ قَالَ : وَلَمْ أَسْتَحْيِ مِمَّا لَمْ يَسْتَحْيِ مِنْهُ
 الْمَلَائِكَةُ حِينَ قَالَتْ : « (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) » (٢) ؟
 كَانَ شُرَيْحٌ يَقُولُ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ

(١) شار الدابة يشورها : راضها أو ركبها عند العرض على مشريها .

(٢) سورة البقرة : ٣٢ . وأولها : « قالوا سبحانك » ..

نفسه على الرُّقِّ فَإِنْ قَضَاهَا الْمُسْتَوَلُ اسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ
رَدَّه عَنْهَا وَجَعَ حُرًّا ، وَهُمَا ذَلِيلَانِ : هَذَا بَدَلُ اللُّثْمِ ،
وَذَاكَ بَدَلُ الرَّدِّ

قال بَكَارُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَأَيْتُ سَوَّارَ بْنَ عَمِيدِ اللَّهِ - وَأَرَادَ
أَنْ يَحْكُمَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَتَرَقَّرَتْ عَيْنَاهُ
ثُمَّ حَكِمَ .

قيل للشَّعْبِيِّ (١) : مَا أَحْسَنَ الْبَرَاءَةَ فِي الْإِمَاءِ !
فَقَالَ : تَوَرَّدُ مَاءُ الْحَيَاءِ فِي وَجْهِ الْحُرِّ أَحْسَنُ .

دَخَلَ شُرَيْحٌ عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ ، فَقَالَ الْأَمِيرُ :
يَا جَارِيَّةُ ؛ هَاتِي عَوْدًا فِجَاءَتَهُ بَعُودَ يَضْرِبُ . فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ
الْأَمِيرُ خَجَلَ ، وَقَالَ : نَعِمْ هَذَا ، أَخَذَ الْبَارِحَةَ مَعَ
إِنْسَانٍ فِي الطَّوْفِ . اكْسِرُوهُ . ثُمَّ صَبَرَ قَلِيلًا ، وَقَالَ :
يَا جَارِيَّةُ . هَاتِي عَوْدًا لِلْبُخُورِ . فَقَالَ شُرَيْحٌ : أَتَخَافُ
أَنْ تَغْلُظَ مَرَّةً ثَانِيَةً ؟؟

(١) الشَّعْبِيُّ : هُوَ أَبُو عَامِرِ بْنِ شَرَاهِيلَ الْيَمَنِيِّ الْكُوفِيُّ ، تَابِعِي جَلِيلُ
الْقَدْرِ ، وَافِرُ الْعِلْمِ . وَلَدَ سَنَةَ ٢١ هـ تَقْرِيبًا بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ عَالِمًا
بِاللُّغَةِ وَالسَّنَةِ .

شهد رجلٌ من جلساء الحسنِ بشهادة عند إياس بن معاوية ، فردّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحسن . فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا واثلة ، لم ردّدْتَ شهادةَ فلان ؟ فقال : يا أبا سعيد ، إن اللهَ يقول « (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) » (١) وليس فلان مِمَّنْ أَرْضَى :

وشهد عند عبيدِ الله بن الحسن رجلٌ من بني نهشلٍ على أمر ، فقال له : أتروي قول الأسود بن يعفر (٢) :

* نام الخليليُّ فما أحسُّ رُقادي *

فقال له الرجل : لا . فقال : تُردُّ شهادته . وقال : لو كان في هذا خيرٌ لروى شرفاً أهليه .
جاء رجلٌ إلى شريح فكلّمه بشيء ، وأنحفاه .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ . وأول الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... » .

(٢) هو الأسود بن يعفر :

نام الخلي وما أحسن رُقادي والهم مختصر لدي وسادي
وهو شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية .

فلما قام قال له رجلٌ : يا أبا أميَّة ، ما قال لك ؟ قال :
يا بنَ أخي . أو ما رأيته أسره منك ؟

كان شريح عند زياد - وهو مريض - فلما خرج
من عنده أرسل إليه مسروق بنُ الأجدع رسولا وقال :
كيف تركتَ الأمير ؟ فقال : تركته يأمرُ وينهى . قال
مسروق : إنه صاحبُ عتويص (١) ، فارجع إليه
وأسأله : ما يأمر وما ينهى ؟

قال : يأمرُ بالوصية وينهى عن النشوح .

ومات ابنُ شريح فلم يشعر بموته أحدٌ ، ولم
تصرخُ عليه صارخةٌ ، فقليلُ له : يا أبا أميَّة ، كيف
أمسى ابنُك ؟ قال : سكنَ علزُه (٢) ورجاهُ أهله .
وما كان منذَ اشتكى أسكن منه الليلة .

حكى عن الشعبي أنه قال : شهدتُ شريحاً ،
وجاءته امرأةٌ تُخاصمُ زوجها ، فأرسلتُ عينيها ،

(١) أي كلام ملتبس لا يفهم .

(٢) علزه - العلز - بالتحريك : الضجر . والعلز : شبه رعدة

تأخذ المريض .

فبكت . فقالت : يا أبا أميَّة ؛ ما أظنُّ هذه البائسة
إلا مظلومة .

فقال : يا شعبيُّ ؛ إنَّ إخوة يوسف «(جاءوا أباهم
عشاءً يبكون)» (١) .

كان شُرَّيح إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا
أميَّة ؟ قال : أصبحت ونصفُ الناسِ غضابٌ .

كان لشُرَّيح حائِطٌ مائلٌ ، فقال له جارُّ له :
حائِطُك هذا مائلٌ . قال : لا تُفَسِّرْني أو يُنْقَضْ .
قال : فنقضه من ساعته .. فقال الرجلُ : لا تعجلُ
يا أبا أميَّة ، فذاك إليك . قال : بعد أن أشهدتَ عليَّ ؟

قال الشعبيُّ : وجَّهني عبدُ الملك بن مروان إلى ملك
الرُّوم ، فلمَّا قدِّمتُ عليه ودفعَتُ إليه كتابَ عبدِ الملك
جعل يُسأِّلُني عن أشياء فأخبرُهُ بها ، فأقمتُ عنده
أياماً ، ثم كتب جوابَ كتابي ، فلمَّا انصرفتُ رفعته
إلى عبدِ الملك فجعل يقرؤه ، ويتغيَّر لونُهُ ، ثم قال :

(١) الآية : ١٩ من سورة يوسف «(وجاءوا ...)» .

يا شعبيُّ : علمتَ ما كتب الطاغيةُ ؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ . كانت الكتبُ مختومةً ولو لمْ تكُنْ مختومةً ما قرأتُها . وهي إليك . قال : إنه كتب : إنَّ العجبَ من قومٍ يَكُونُ فيهم مثلُ من أُرْسِلَتْ بهِ إلىَّ فيمَلِّكونَ غيرَه . قال : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، ذاكَ لأنَّه لم يركَ . قال : فسَرِّي عنه ، ثم قال : حسدني عليك ، فأرادَ أن أقتلك .

قال الشعبيُّ : قدِمْتُ على عبدِ الملك ، فما رأيتُ أحسنَ حديثاً مِنهُ إذا حدَّثَ ، ولا أحسنَ إنصافاً منه إذا حدَّثَ ، ولا أعلمَ منه إذا خولِفَ ، وأخطأتُ عنده في أربعٍ : حدثني يوماً بخديث ، فقلتُ : أعيدُه عليَّ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقال : أمّا علمتَ أنه لا يُستعادُ أميرُ المؤمنينَ ؟ وقلتُ له حينَ أذنَ لي عليه : أنا الشعبيُّ يا أميرَ المؤمنينَ . فقال : ما أدخلناكَ حتى عرفناكَ . وكُنيتُ عنده رجلاً فقال : أمّا علمتَ أنه لا يُكُنَى أحدٌ عندَ أميرِ المؤمنينَ . وسألته أنْ يُكْتِيبَني حديثاً . فقال : إنّا نَكْتِيبُ ولا نَكْتُيبُ .

لما أخذ الحجاجُ الشعبيَّ -- وكان خرج عليه مع ابنِ

الأشعث - قال : يا شعبيُّ ، ألمْ أرفعْ مِنْ قَدْرِكَ ،
وبلغتْ بك شرفَ العطاءِ ، وأوفدتُك على أمير المؤمنين ،
ورضيتُك جليساً لي ومحدثاً ؟ قال : بلى ، أصلح اللهُ
الأميرَ . قال : فما أخرجك مع ابنِ الأشعثِ تقاتلُنِي على
غير دين ولا دُنْيَا ؟ فأين كنتَ مِنْ هذه الفِتنَةِ ؟ فقال :
أصلحَ اللهُ الأميرَ ، أوحشَ الجنابُ ، وأحزنَ بنا
المنزلُ ، واستشعرنا الخوفَ ، واكتحلنا السهرَ ، وفقدنا
صالحَ الإخوان ، وشملتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررةً أتقياءَ ،
ولا فجرةً أقوياءَ . فضحك الحجاجُ ، وعفا عنه .

قال الشعبيُّ : مَنْ أمينُ الثَّقَلِ ثَقُلَ .

أسمعَ رجلَ الشعبيِّ كلاماً ، وعدَّدَ فيه خِصالاً
قبيحةً - والشعبيُّ ساكتٌ - فلما فرغ الرجلُ مِنْ كلامه ،
قال : واللهِ لأغيظنَّ مَنْ أمرك بهذا . إن كنتَ صادقاً ،
فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنتَ كاذباً فغفرَ اللهُ لك .

قيل : يا أبا عامر : وَمَنْ أمره بهذا ؟ قال : الشيطانُ

وقال ابن شبرمة : مَنْ بالغَ في الحُصومةِ أثِمَ ،
ومن قصرَ خصِمَ .

وقال : من لَزِمَ العَفَافَ هانت عايه مَوْجِدَةٌ الملوكة .
 دخل رجلٌ على عيسى بن موسى بالكوفة فكَلَّمَهُ ،
 وحضر عبدُ الله بن شُبْرَمَةَ فَأَعَانَهُ ، وقال : أصلحك
 الله . إنَّ له شرفاً ، وبيتاً وقَدَمًا . فقيل لابن شبرمة :
 أتعرفه ؟ قال : لا . قالوا : فكيف أثبتَ عليه ؟

قال : قلتُ ، إنَّ له شرفاً ، أي : أذُنَيْنِ وَمَنَكِبَيْنِ ،
 وبيتاً يأوي إليه ، وقدماً يطأ عليها .

وقال له رجلٌ : صنعتَ إلى فلان ، وصنعت ، فقال :
 اسكت ، فلا خيرَ في المعروفِ إذا أُحصِيَ . وكان إذا
 وُلِدَ له غلامٌ يقول : اللهمَّ اجعله بَرّاً تَقِيّاً ، واجعل
 لذَّته في بلدِهِ .

قيل : بينا رَقَبَةٌ بنُ مَصْقَلَةَ القاضي في حلقةٍ إذ
 مرَّ رجلٌ غليظُ العُنُقِ ، فقال له بعضُ جلسائه : يا أبا
 عبدِ الله ، هذا الذي ترى مِن أَعْبِدِ الناسِ . فقال رَقَبَةٌ :
 لأرى لهذا عُنُقًا قاسماً وَقَدَمَتَهَا (١) العبادَةُ .

(١) وقَدَمَتَهَا : من معاني وقْدَه : سكنه ، وتركه عليلاً .. والمراد :
 أن العبادَةَ لم تؤثر عليه بدليل أن عنقه مازالت ممتلئة وغير مستقرة .

قال : فمضى الرجلُ ، ثم عاد قاصداً إليهم ، فقال
رجلٌ لرقبةَ : يا أبا عبد الله ، أخبرهُ بما قلت ؛ لا تكون
غيبتهً . قال : نعم . أخبرهُ حتى تكون نائمةً .

وكان رقةٌ يقول : أيُّ مجلسٍ المسجدُ لو كان عليك
فيه إذن !

خاصم رجلٌ خالدَ بنَ صفوان (١) إلى بلال ، فقضى
للرجل عليه . فقام خالدٌ وهو يقول :

* سحابةٌ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ *

فقال بلالٌ : أما إنها لا تتقشع حتى يصيبك منها
شؤبوب (٢) بَرْد . وأمر به إلى الحبس .

فقال خالد : علامَ تحبسني ؟ فوالله ما جنيتُ
جنايةً . فقال بلال : يخبرنا عن ذلك بابٌ مُصَمَّتٌ ،
وأقيادٌ ثَقَالٌ ، وقيسمٌ يقال له : حفص .

قال بلال : إذا رأيت الرجل لجوياً مमारياً ، معجباً
برأيه ، فقد تمت خسارته .

(١) خالد بن صفوان : هو أحد بخلاء العرب .

(٢) شؤبوب برد : الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والدفعة من كل شيء .

كان إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرّة (١) صادقَ الظنِّ ،
لطيفاً في الأمور ، وتولّى قضاءَ البصرة في أيام عمرَ بنِ
العزيز . واختصم إليه رجلان في مُطَرَفٍ خَزٍّ وأنبجانيٍّ (٢) ،
فادّعى كلُّ واحدٍ منهما المُطَرَفَ الخَزَّ أنه له ، وأنَّ
الأنبجاني الآخر . فدعا إياس بمشط وماء ، فبلَّ رأسَ
كلِّ واحدٍ منهما . ثم قال لأحدهما : سرح رأسك .
فخرج في المُشط غفرُ المطرف (٣) ، وفي مشط الآخر غفرُ
الأنبجاني . فقال : يا خبيثُ ؛ الأنبجاني لك . فأمر . فدفع
المطرف إلى صاحبه .

استودعَ رجلٌ رجلاً من أمناء إياسٍ مالا ، وخرجَ
الرجلُ إلى مكة . فلما رجع طالبه بالمال فجحدته ،
فأتى إياساً فأخبره ، فقال إياسُ : عليم أنك أتيتني ؟
قال : لا . قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا . لا يعلم أحدٌ

(٣) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني الليثي ، وكنيته أبو وائلة .
يضرب بذكائه المثل .

(٢) الأنبجاني : ثوب من الكتان ونحوه وليس غالي القيمة .
(٣) غفر المطرف : يقال : غفر الثوب غفراً : ثار زئبره .
والمطرف : الثوب والمعنى : ظهر غبار الثوب .

أحدٌ بهذا . قال : فانصرف ، واكتُم أمرك ثم عُدْ
إليَّ بعد يومين . فمضى الرجل ، ودعا إياسٌ أمينه ذلك ،
فقال : قد حضرَ مالٌ كثيرٌ ، وأريد أن أصيِّرَه إليك
أُحصَنَ منزلكَ ؟ قال : نعم . قال : فأعيدَ موضعاً
للحال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال له :
انطلقْ إلى صاحبك ، فاطلُبْ مالكَ . فإن أعطاك
فذاك ، وإن جحدَكَ فقلْ له : إنني أخبرُ القاضي .
فأتى الرجلُ صاحبه ، فقال : مالي ، وإلاَّ أتيتُ القاضي ،
وشكوتُ إليه ، فدفعَ إليه ماله ، ورجعَ الرجلُ إلى
إياس فأخبره ، وجاء الأمينُ لموعيدِهِ ، فزجره إياسُ
وقال : لقد بانَ يا خائنٌ .

قال إياسٌ لقوم من أهل مكَّة : قدمنا بلادكم ،
فعرفنا خياركم ، وشراركم قالوا : وكيف عرفتم ؟
قال : كان معنا أخيارٌ ، وأشرارٌ نعرفُهم ، فالحق
كلُّ جنسٍ بجنسه .

كان إياسُ يقول : الحبُّ (١) لا يخدعُني ، ولا يخدع
ابنَ سيرين ، ويخدع الحسن ، ويخدعُ أبي .

(١) الحب : المخادع الغاش .

أخذَ الحكمُ بنُ أيُّوبَ (١) إياسَ بنَ معاويةَ في
 ظِنَّةِ الخَوَارِجِ ، فقال له الحكمُ : إنَّكَ خَارِجِيٌّ مُنَافِقٌ ،
 وَأَوْسَعَهُ شَتْمًا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِيْتَنِي بِكَفِيلٍ . فَقَالَ :
 أَكْفُلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَمَا أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْكَ بِي . قَالَ :
 وَمَا عَلِمَ بِكَ وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ
 الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : فَفِيمَ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟
 فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

كَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَلِيَّ الْقَضَاءِ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، وَبَعْدَهُمْ
 لِبَنِي الْعَبَّاسِ . وَقِيلَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى قَضَاءَ بَغْدَادَ .
 وَقِيلَ : بَلْ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّاهَا مِنَ الْقُضَاةِ شَرِيكًا .

وَقَالَ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 ابْنَ الْأَسْوَدِ عِنْدَ ابْنِ لَيْلَى بِشَهَادَةٍ ، فَتَوَقَّفَ فِي شَهَادَتِهِ .
 قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَنَظَرْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ
 لَهُ : أَنَّى لَكَ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ مِثْلُهُ ؟ ؟ فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ ،
 إِلَّا أَنَّ الَّذِي شَهِدَ بِهِ عَظِيمٌ ، وَالرَّجُلُ فَقِيرٌ . قَالَ : فَأَعْجَبَنِي
 هَذَا مِنْ قَوْلِهِ .

(١) هُوَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ الثَّقَفِيِّ عَامِلُ الْحِجَاجِ .

وأخذ على ابن ليلى رجلٌ من جلسائه كلمةً ،
فقال له ابن أبي ليلى : أهيد إلينا مِن هذا ما شئت .
وكان يقول : أهدركم الثقات (١) .

دعا المنصور ابن أبي ليلى ، فأرادَه على القضاء ،
فأبى ، فتوعَّده إن لم يفعل . فأبى أن يفعل ، ثم إنَّ غداء
المنصور حضرَ ، فأتي فيما أُتي بصحفة فيها مثالُ رأس .
فقال لابن أبي ليلى : خذ أيها الرجلُ مِن هذا . قال ابنُ
أبي ليلى : فجعلتُ أضربُ بيدي إلى الشيء ، فاذا وضعته
في فمي سال ؛ لا أحتاجُ إلى أن أمضغه . فلما فرغَ
الرجلُ جعلَ يلحسُ الصَّحفةَ . فقال لي : يا محمدُ .
أتدري ما كنتَ تأكلُ ؟ قلتُ : لا - والله - يا أميرُ
المؤمنين . قال : هذا منخُ النِّينان (٢) معقودٌ بالسكر
الطَّبرزد (٣) . وتدري بكم تُقَوِّم هذه الصَّحفةُ علينا ؟

(١) المراد أنه لا يليق أن يثق الإنسان بغيره ثقة مطلقه ، بل يأخذ
كلامه بحرص وتأمل وتشكيك حتى يثبت صدقه .
(٢) النِّينان : جمع (نون) وهو الخوت .
(٣) السكر الطَّبرزد : الطَّبرزد : السكر ، معرب ، كأنه نحت من
نواحيه بالفأس .

قلت : لا ، يا أمير المؤمنين . فقال : تقوُّم بثلاث مائة
وبضعة عشر . أتدري : لِمَ ألحسُها ؟ هذه صحيفةُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أطلبُ البركةَ بذلك .
فلما خرج ابنُ أبي ليلى من عنده رفعَ رأسه إلى الربيع
فقال : لقد أكل الشيخُ عندنا أكلةً لا يفلحُ بعدها أبداً .

فلما كان عَشِيَّةُ ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلى إلى
المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فكرتُ فيما عرضتُ
عليَّ ، فرأيتُ أنه لا يسعُنِي خِلافُكَ . فوالله القضاء .
ثم قال للربيع : كيف رأيت حَديثي ؟

رُوي عن العباس بن محمد (١) أنه قال : لما أرادَ
المنصورُ شريكَ بنَ عبد الله على القضاء قال : أريدُ
أن تكلمَ أمير المؤمنين ليُعَفِّينِي فقالت له : إنَّ أبا جعفر
إذا عزمَ أمراً لم تُردَّ عزمائهُ . قال : فلما قام ، وأقرَّه
على القضاء قلتُ له : إنَّ أمير المؤمنين المهديَّ ألينُ عَريكةً
من الماضي . فقال : أما الآن فلا ، فإنني أخشى شماتةَ
الآعداء .

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أخو المنصور .

قال بعضُ أصحاب الحديث : سألتُ شريكاً عن النبيذ ، فقال لي : أمّا أنا فلا أتركه حتى يكونَ أسوأَ عملي .

وسئل عن أبي حنيفة (١) ، فقال : أعلمُ الناسَ بما لا يكونُ ، وأجهلُهم بما يكونُ .

ودخل على المهديّ فقال له : يا شريكُ ، بلغني أنّك فاطميٌّ . فقال : أتحبُّ فاطمةَ ؟ أعثرَ اللهُ من لا يحبُّ فاطمةَ . فقال المهديُّ : آمين . فلما خرج شريكٌ قال المهديُّ لمن عنده : لعنهُ الله ، ما أظنُّهُ إلا عَناني . وقال له يوما : أيُّنا أشرفُ : نحن أم ولدُ عليٍّ ؟ فقال شريكٌ : هات أمّاً مثلاً فاطمة حتى تُساوِيَهُم في الشرف .

ولما دعاه المهديُّ إلى القضاء قال له : لا أصلُحُ لذلك . قال : ولمَ ذاك قال : لأنّي نساءٌ . قال : عليك بمضغٍ

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ، الإمام الفقيه ، الكوفي ، أدرك بعض الصحابة وكان عالماً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً تقياً ، دائم التضرع إلى الله . وقد أبى أن يتولى القضاء على الرغم من إلحاح الخلفاء عليه في ذلك حتى حبس من جراء امتناعه . ومذهبه يعتنقه الكثير من المسلمين . توفي سنة ١٥٠ هـ .

اللبان (١) . قال : إني حديدٌ . قال : قد فرضَ لك أمير المؤمنين فالوذجةَ (٢) توقرك . قال : إني امرؤ أقضي على الوارد ، والصادر .

قال : اقضِ عليّ ، وعلى والدي . قال : فاكفني حاشيتك . قال . قد فعلتُ .

فكانت أول رقعة وردت عليه خالصة جارية المهدي . فجاءت لتتقدم الحُصم ، فقال : وراءك مع خصميك مِراراً . فأبَت . فقال : وراءك يالخناء (٣) قالت : يا شيخُ ، أبت أحمقُ .

قال : قد أخبرتُ مولاكِ ، فأبى عليّ . فجاءت إلى المهدي تشكوُ إليه . فقال لها : الزمي بيتكِ ، ولا تعرّضي له .

(١) اللبان - بضم اللام : نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغاً ويسمى الكندر .

(٢) الفالوذج : والفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر ، وهو معرب .

(٣) يالخناء : اللخن : قبح ريح الفرج . والخناء : التي لم تخبئ . وقيل : اللخن : النتن .

قال ابن أبي ليلى إلى قوله : ليست من الإيمان .
وقال : كيف أجيزُ شهادة قوم يزعمون أن الصلاة
ليست من الإيمان .

وكان ابنُ شُبْرُمة يقول : لأنَّ أَسْتَعْمِلَ خائناً
بصيراً بعمله أحبُّ إليَّ من أن أَسْتَعْمِلَ مُضِيّاً لا يبصر
العملَ .

ودخل سوارُ بن عبد الله على المنصور — والمصحفُ
في حجره ، وعينهاه تملان (١) — فقال : السلام عليكم .
يا أمير المؤمنين . فقال : يا سوارُ ، ألا مرةً على المؤمنين !!
هدمتُ ديني ، وذهبتُ بآخرتي ، وأفسدتُ ما كان من
صالح عملي . قال سوارُ : فانتهازتها فُرصةً ، وطلبتُ
ثوابَ الله في عِظَتِهِ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك جديرٌ
بالبكاءِ ، حقيقٌ بطُولِ الحزنِ ما أقمتَ في الدنيا . وقد
استرعاك الله أمرُ المسلمين ، واستحفظك أموالهم ؛
يسألك عما عملت فيما استرعاك في اليوم الذي أعلمك في
كتابه ، فقال «(يومئذ يصدُّرُ الناسُ أَشْتَاتاً ليرُوا

(١) عيناه تملان : هملت : فاضت وسالت .

أَعْمَالُهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (١) . فَازداد بُكَاءً ،
وَقَالَ : ((يَا لَيْتَنِي مِيتٌ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا)) (٢) .
ثُمَّ قَالَ يَا سَوَّارُ إِنِّي أُعَالِجُ نَفْسِي ، وَأُعَاتِبُهَا مِنْذُ وَآيَتْ
أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَمَلِ الدَّرَّةِ عَلَى عُنُقِي ، وَالْمَشْيِ
فِي الْأَسْوَاقِ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنْ أَسْدَّ بِالْجَرِيشِ (٣) مِنَ الطَّعَامِ
جَوْعَتِي وَأُوَارِي بِأَخْشَنِ الثَّوْبِ عَوْرَتِي ، وَأَضَعَ قَدْرَ
مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا ، وَأَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ، وَسَعَى لَهَا ،
فَلَمْ تُطِئْنِي ، وَعَصْتَنِي ، وَنَفَرْتُ نِفُورًا شَدِيدًا .

قَالَ سَوَّارٌ لَا تَجَشَّمْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَعَابَ الْأُمُورِ ،
وَلَا تُحْمَلْهَا مَا لَا تُطِيقُ ، وَأَلْزَمَهَا أَرْبَعَ خِصَالٍ تَسَامُ
لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ : أَقِيمِ الْحُدُودَ وَاحْكُمِ بِالْعَدْلِ ،
وَاجْبُ الْآمَوالَ مِنْ وَجُوهِهَا ، وَاقْسِمِهَا عَلَى أَهْلِهَا بِالْحَقِّ .
نَخَاصِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الْكَرِيزِيِّ (٤) مَوْلَى

(١) سورة الزلزلة : ٦ - ٨ .

(٢) سورة مريم : ٢٣ وأولها : « فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ... » .

(٣) الجريش : دقيق فيه غلظ . والمعنى الطعام الخشن .

(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كرز ،

القرشي .

له في أرض إلى سوار — وكان جدُّه أقطعها جدّه — فقال
سوار : إني لأرغبُ بك عن هذا ، تُنازعُهُ في أرض
أقطعها جدُّك جدّه ؟ فقال الكريزي : الشيخُ أغدرُ من
الظالم . فنكس سوارُ طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال :
اللهمَّ ارددْ على قریش أخطارها .

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي (١) ليلاً فسأله عن
مسألة ، فأفتاه . فأمر له بمائة ألف درهم . فقال : إن
رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصُّبح . فقال :
عجلوها له . فقيل : إن الخازنَ في بيته ، والآبواب
مغلقة . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدُّروبُ
مُغلقة ، فحين دعيتُ بي فُتِّحت .

وقال له الرشيد : بلغني أنك لا ترى لبس السَّواد (٢)
فقال : يا أمير المؤمنين . ولِمَ ؟ وليس في يدي شيءٌ أعزُّ
عليَّ منه . قال : ما هو ؟ قال : السَّوادُ الذي في عيني .

(١) القاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، ولد سنة
١١٣ هـ . وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحباً للإمام أبي حنيفة ، وقد
أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وقد توفي سنة ١٨٢ هـ .

(٢) كان شعار العباسيين لبسهم العمام السَّوداء ، تشبهاً بما فعله
النبي عليه السلام في بعض غزواته .

وسُئِلَ مرةً عن السَّوَادِ ، فقال : النُّورُ في السَّوَادِ .
يريد سواد العين .

وكان خالدُ بنُ طليقٍ الخُزاعيُّ قاضيًا ، فاختصم
إليه اثنان ، فكان أحدهُما كلما أراد أن يتكلّم غمزهُ
الشرطي ألاّ يتكلّم . فلما كثر ذلك عليه قال : أيُّها
القاضي ، أتقضي على غائبٍ ؟ فقال : لا . فقال : أنا
غائبٌ إذا لم أترك أن أتكلّم .

وكان خالدٌ تيّاهاً صليفاً (١) ، وقال يوماً لمحمد بنِ
سليمان - مع محله وشرفه وثروته - نحنُ وأنتمُ في
الجاهلية كهاتين . وجمع بين إصبعيه .

كان عُبيدُ بنُ ظبيانٍ قاضي الرّقّة ، فجاءه رجلٌ
واستعده على عيسى بنِ جعفر ، وكان الرشيدُ إذا ذاك
بالرّقّة فكتب ابنُ ظبيانٍ إلى عيسى أمّا بعد أطال الله
بقائه الأمير وحفظه وأنتمُ نعمته عليه . أتاني رجلٌ فذكر
أنّ له على الأمير خمسمائة ألف درهم . فإن رأى الأميرُ -

(٢) الصلف : الصلف مجاوزة القدر في الظرف والادعاء فوق
ذلك تكبر .

أعزّه الله - أن يحضر مجلس الحكم ، أو يُوكّل وكيلاً
يُنظر عنه فعل .

ودفع الكتاب إلى الرجل ، فأتى باب عيسى ، فدفع
كتابته إلى الحاجب ، فأوصله إليه ، فقال له : كُئِلُ
هذا الكتاب !! فرجع إلى القاضي فأخبره . فكتب إليه :
أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك . حضر رجل
يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقاً ، فصر معه
إلى مجلس الحكم ، أو وكيلاً إن شاء الله .

تقدم رجل إلى أبي خازم ، وقدّم أباداً يطالبه بدين
له عليه . فأقرّ الأب بذلك . فأراد الابن حبس أبيه بالدين .
فقال له أبو خازم : هل لأبيك مال ؟ قال : لا أعلسه .
قال : فمُئِدكم دايشتَه بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا .
قال . فقد عرضت عليك نفقة أبيك من وقت المداينة .
فحبس الابن ، وخلّى عن الأب .

وكان إسماعيل بن إسحاق (١) قاضياً للمعتمد بمدينة

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهمي ،
فقيه مالكي المذهب جليل التصانيف ، .

السلام (١). فدخل على الموفق ، فقال له : يا إسماعيلُ :
ما تقول في هذا النبذ ؟ فقال له : أيها الأميرُ ، إذا أصبح
الإنسانُ وفي رأسه منه شيءٌ ، قال ماذا ؟ قال الموفق :
يقولُ : أنا مخمورٌ . قال : فهو كاسمه .

قدم البلاذريُّ (٢) إلى الحسن بن أبي الشوارب في
دين عليه ، فادّعى غربته مائتي دينار . فذكر البلاذري
معاملةً بينهما . وعادة جرت بالنظيرة . فقال له القاضي :
أنظيره . فقال : لم أطأ به إلا وقد علمت الساعة نعمته .
فقال البلاذري : صدق أيها القاضي ، إني من الله انهي
نعم ، لا أقومُ بشكرها ، أولها : نعمةُ الإسلام ، وهي
التي لا تعادلُها نعمةٌ ثم نعمةُ العافية — وهي أفضلُ النعم

(١) مدينة السلام : بغداد .

(٢) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو
الحسن ، وتيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، مات في أيام المعتمد على الله ،
في أواخرها ، وأهم كتبه فتوح البلدان .

بعدها - وما يُقضى من هاتين الدين . فقال القاضي
لغيره : انصرف ، ورح إلي . فراح إلى القاضي ،
فأعطاه عنه مئتي دينار .

كان يحيى بن سعيد الأنصاري^(١) قاضياً للرشد ،
وكان خفيف الحال وكان له مجلس من السوق . فلما
ولي القضاء ، وارتفع شأنه لم يترك مجلسه في السوق .
فقال له في ذلك ، فقال : من كانت له نفس واحدة لم
يغيره الإقتار ، ولا المال .

كان البرقي عفيفاً ، صالحاً ، وولي قضاء مدينة
السلام أيام المعتمد ، وكان قد ولاه قبل ذلك يحيى بن
أكثم . فقال له : واثبت البرقي القضاء وهو رجل من
أهل السواد ؟

فقال يحيى : ألم تسمع قول الله تعالى : « وما
أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم » (٢) .

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري أبو سعيد ، قاض ،
من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة ولي القضاء بالمدينة زمن بني أمية .
(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

قال بعضهم : رأيت البرقي يوماً وهو يقرأ علينا شيئاً من حديث سفيان فقال له رجل كان معنا يا أبا العباس . فقام إليه البرقي ، وضرب لحيته ، وقال له : أنا قاضٍ منذ كذا وكذا سنةً !! تقول : هيا يا أبا العباس . وكان أبو العيناء (١) يقول : كان أحمد بن أبي دُواد إذا رأى صديقه مع عدوه قتل صديقه .

وقال أبو العيناء : ما رأيت مثل ابن أبي دُواد من رجلٍ قد مكّن في الدنيا ذلك التمكين ، كنت أراه في مجلس سقفه غير مُغرّى ، جالساً على مسح (٢) وأصحابه معه يتدّرن (٣) القميص عليه فلا يبدّله ، حتى يعاتب في ذلك ، ليست له همة ولا لذة من لذات الدنيا إلا أن يحمل رجلاً على منبر ، وآخر على جذع .

وقال له المعتصم في أمر العباس بن المأمون : يا أبا عبد الله ؛ أكره أن أحبسه ، فأهتكه وأكره أن أدعه

(١) أبو العيناء هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة ، وكان ضريراً وهو ممن اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة .

(٢) جالساً على مسح : المسح بكسر الميم : الكساء من الشعر .

(٣) يتدّرن القميص : درن الثوب : أصابه الدرن ، وهو الوسخ ،

أو تلطخ .

فأهملته . فقال له ابن أبي دُواد : الحبسُ - يا أمير المؤمنين - فإن الاعتذار خيرٌ من الاغترار .

وكان الأَفْشِينُ (١) يحسدُ أبا دُلف (٢) ، ويبغضُهُ للعربية ، والشجاعةِ والجُود ، فاحتال عليه حتى شُهِد عليه بخيانةٍ فجلس له ، وأحضره ، وأحضر السيَّاف لقتله . وبلغ ذلك أحمد بن أبي دُواد ، فركب مع من حضره من عُدُوله . ودخل على الأَفْشِين وقد جيء بأبي دلف ليُقتل . فوقف ، ثم قال : إني رسولُ أمير المؤمنين إليك بألا تحدث في القاسمِ حدثاً حتى تحصله إليه مسلماً . ثم التفت إلى العُدُول ، فقال : اشهدوا أنني أدتُ الرسالة والقاسمُ حيٌّ مُعافى . وخرج فلم يَقدم الأَفْشِينُ عليه .

وصار ابنُ أبي دُواد من وقته إلى المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدَّيتُ عنك إلى الأَفْشِين رسالةً لم تقبلها لي ، لا أعتدُّ بعملِ عملته خير منها ، وإنِّي لأرجو

(١) حيدر بن كاوس من أجل قواد المعتصم .

(٢) أبو دلف : القاسم بن عيسى .

لك يا أمير المؤمنين بها الجنة . وخبره الخبر ، فصوب رأيته ،
وأمر بالإفراج عن أبي دلف .

وكان أحمد بن أبي دؤاد بعد ذلك يقرظُ أبا دلف
ويصفه للمعتصم ، فقال له : يا أبا عبد الله ؛ إن أبا
دلف حسنُ الغناء ، جيّدُ الضربِ بالعود . فقال : يا
أمير المؤمنين ، القاسمُ في شجاعته وبيته في العرب يفعلُ
هذا !! .

ثم أحبّ المعتصمُ أن يسمعه ابنُ أبي دؤاد . فقال له
يوما : يا قاسمُ ، غنّني . فقال ، والله ما أستطيع ذلك —
وأنا أنظرُ إلى أمير المؤمنين — هيبةً وإجلالاً . قال : فاجلس
من وراء ستارة . ففعل وغنّى .

وأحضر ابن أبي دؤاد ، وأجلسه وقال : كيف
تسمعُ هذا الغناء ؟ . قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ به ، ولكنّي
أسمعُ حسناً . فغمز غلاماً ، فهتَكَ الستارة ، فإذا أبو دلف .

فلما رأى أبو دلف ابن أبي دؤاد وثب قائماً ، وأقبل
على ابن أبي دؤاد ، فقال : إني أُجبرتُ على هذا ؟
فقال : يا ماجنُ . لولا دُرْبَتُكَ في الغناء ؛ من أين

كنت تأتي مثل هذا ؟ هبك أجبرت على أن تُغني ،
مَنْ أجبرك على أن تُحسن ؟ .

قال الحسن بن وهب : شكرتُ أبا عبد الله أحمد
ابن أبي دواد على شيء كان منه . فقال لي : لا أخرجك
الله ، ولا إيماننا إلا أن نعرف مآلنا عند الأصدقاء :
وتخطى بعض بني هاشم رقاب الناس عند ابن أبي
دواد ، فقال : يا بُني ، إن الأدب ميراث الأشراف ولست
أرى عندك من سلفك ميراثا . فاستحسن كلامه
كل من حضر .

قال الواثق لأحمد بن أبي دواد في رجل حميل إليه
من بعض النواحي : قد عزمتُ على ضرب عنقه . فقال :
لا يحيل لك يا أمير المؤمنين . قال : فأضربه بالسياط :
قال : ظهرك المسلم حمي (١) إلا من حد . قال له :
أنت أبدا تعترض علي . قال : يا أمير المؤمنين : أخاف
عليك العامة . قال : وما عسى العامة تفعل ؟ قال :
أقول يا أمير المؤمنين ولا تغضب . قال : قل :
قال : إذا رأوك قد جرت في الحكم ؛ أخلوا بيدك

(١) الحمي : ما يجب حمايته . والمعنى : لا يحل عقوبة المسلم الا
بسبب تنفيذ حد من حدود الله .

فأقاموك عن مجلسك ، واجلسوا غيرك . قال : فأمسك
الواثق ، ولم يحرك جواباً (١) ، وزال المكروه عن
ذلك الرجل .

وقال ابن أبي دُواد : موتُ الأحرار أشدُّ من ذهابِ
الأموال .

وقال : الشجاعةُ شجاعةٌ في القلب ، والبخلُ
شجاعةٌ في الوجه .

قال رجلٌ لابنِ شُبْرُمَة : ذهب العلمُ إلا غُبَّراتٍ
في أوعيةٍ سوء (٢) .

* * *

(١) أفحم فلم يجد ما يجب به .

(٢) المعنى : لم يبق منه إلا القليل الذي لا ينتفع به ؛ لأنه عند أناس
خير حسبي الخلق .

الباب التاسع

كلامُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (١)

كان الحجاجُ يقولُ : أخطبُ الناسُ صاحبُ العمامةِ
السوداءِ بين أخصاصِ (٢) البصرة ؛ إذا شاء تكلم ،
وإذا شاء سكت . يعني « الحسن » .

كتب إليه عُمَرُ بنُ عبد العزيز : أنْ أعنِّي ببعض
أصحابك . فكتبَ إليه الحسنُ : أما بعد . فإنه مَنْ كان
مِنْ أصحابي يريد الدنيا فلا حاجةَ لك فيه ، وَمَنْ كان
يريد الآخرةَ فلا حاجةَ له فيما قبلك ، ولكن عليك
بندوي الإحسان فإنهم إن لم يَسْتَحْيُوا استَحْيُوا ، وإن لم
يَسْتَحْيُوا تَكْرَمُوا .

(١) الحسن البصري هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار
البصري ونشأ الحسن بوادي القرى ، وتلقى الفصاحة عن أعرابه ، وكان
من سادات التابعين وكبرائهم بارعاً في الفقه ، معروفاً بالورع والزهد
والعبادة . وهو شيخ واصل بن عطاء الله رأس المعتزلة . وكانت وفاته
بالبصرة سنة ١١٠ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) أخصاص البصرة : المفرد نخص ، وهو بيت من شجر أو
قصب ، والبيت يسقف بخشب .

وقال : كُنْ في الدنيا كالغريب الذي لا يجزعُ
من ذُلِّها ولا يشارك أهليها في عزِّها . للناس حالٌ وله
حالٌ أخرى ، قد أَهَمَّتْهُ نفسه ، وعملٌ لما بعد الموت ؛
فالناسُ منه في عافية ، ونفسه منه في شُغل .

ذكروا أنه سمع رجلاً يقولُ : أهلك الله
الهُجَارَ فقال : إذن نَسْتَوْحِشُ (١) في الطُّرُق .

قال أعرابي للحسن : عَاشَنِي دِينَاً وَسُوطاً (٢) ،
لا ذاهباً شَيْطُوطاً ، ولا هابطاً هَبُوطاً .

فقال الحسنُ : لئن قُلْتَ ذلك ؛ لِنَ خَيْرِ الأُمُورِ
لَا وَسَاطُهَا .

وقال له رجل : لِي أكره الموتَ . قال : ذاك
أَنْتَ أَخَرَّتْ مَالَكَ ولو قدمته لَسَرَّكَ أَنْ تُلْحَقَ بِهِ .

وقال : اقْدَعُوا (٣) هذه النفوسَ فإنها طُلْعَةٌ ،
واعْصُوا فإنكممُ إن أطعتموها تنزع بكممُ إلى شر
غاية ، ومُحَادَثُهَا بِالذِّكْرِ فإنها سَرِيعَةُ الدُّثُورِ (٤) .

(١) المراد أنه لن يجد من يؤنس لكثرة من يهلك بسبب الفجورة .

(٢) الوسوط : المتوسط ، والجمع وسط .

(٣) قدعه : منعه وكفه . والمعنى امنعوها وحدوا من نوازعها .

(٤) الدثور : دثور القلوب : إجماع الذكر منها .

وقال الحسنُ : لا تزُولُ قدمُ ابنِ آدمَ حتى يُسألَ
عَن ثلاثَ : شـبابـيـه : فيمَ أبلاه ؟ وعمـرـه : فيمَ أفناه ؟
وماله : من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقَه ؟

ورأى رجلاً يـكـيـدُ (١) بنفسه فقال : إن امرأً هذا
آخـرهُ بلـديـرٌ أن يـزـهـدَ في أوله ، وإن امرأً هذا أوله بلـديـرٌ
أن يـخـافَ آخـره .

وقال : بـعْ دُنـيـاك بآخـرتـاك تـرـجـحـهـما جـمـيـعاً ، ولا تـبـعْ
آخـرتـاك بـدُنـيـاك فتـخـسـرَـهُـما جـمـيـعاً .

وقال : مَن أيقنَ بالخلفِ جادَ بالعطية .

وقال : مَن خافَ اللهَ أخافَ اللهُ منه كلَّ شيءٍ ،
ومَن خافَ الناسَ أخافَهُ اللهُ من كلِّ شيءٍ .

وقال : ما أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئاً من الدُّنيا إلَّا قِيلَ لَهُ :
نَحْذَرُهُ ومثله من الحرص .

قال الحسنُ : إن قومًا جعلُوا تواضُعَهُمْ في ثيابِهِمْ ،
وكبرَهُمْ في صلبُورِهِمْ حتى لصاحبُ المدرعة في مدرعته
أشدُّ فرحاً من صاحبِ المِطْرفِ (٢) بمطرفه .

(١) هو يـكـيـدُ بـنـفـسـه كـيـدًا : يـجـودُ بـها .

(٢) المِطْرف ، بضم الميم وكسر ها : واحد المطارف ، وهي أردية

من خز مربعة لها أعلام ،

قيل لخالد بن صفوان : مَنْ أبلغُ الناس ؟ قال :
الحسنُ البصريُّ لقوله : فضح الموتُ الدنيا . لو عقل أهلُ
الدُّنيا خربت الدنيا .

وقال : أهينُوا الدنيا فوالله لأهناً ما تكونُ حين
تُهينُونها .

وقال له رجلٌ : ما تقول في الدنيا ؟ قال : حلالُها
حسابٌ ، وحرامُها عذابٌ . فقال له : ما رأيتُ أَوْجزَ
من كلامك . فقال الحسنُ : بل كلامُ عمرَ بن عبد العزيز
أَوْجزُ من كلامي . كتب إليه بعضُ عمَّالِ حِمصَ (١) :
أما بعد : فإنَّ مدينةَ حِمصَ قد تهاوت ، واحتاجت إلى
إصلاح . فكتب إليه عمرُ : حصنها بالعدل ، ونقِّ
طُرقها من الجور . والسلام .

قال الحسن لفرقد (٢) : يا أبا يعقوب . بلغني أنَّك
لا تأكلُ الفالوذج . قال : يا أبا سعيد . أخافُ ألاَّ

(١) حمص : مدينة وسط سوريا .

(٢) فرقد : هو فرقد السبخي النصراني ، وكنيته أبو يعقوب .

أُودِي شُكْرَهُ . قال : يا لُكْعُ ! ! وهل تُؤدِّي شُكْرَ
الماءِ البارد .

وسَمِعَ رجلاً يشكو علةً به إلى آخر . فقال : أمّا
إِنَّكَ تشكو مَنْ يرحمك إلى مَنْ لا يرحمك .
وقيل له : مَنْ شرُّ الناس ؟ قال : الذي يرى أَنَّهُ
خَيْرُهُمْ .

وقال : قد ذمَّ الله الثَّقلان في القرآن بقوله « (فإذا
طَعِمْتُمْ فانتشروا) » (١)
وقال : الدنيا كسلْسُها غمٌّ ، فما كانَ فيها من سرور
فهو ربحٌ .

وقال : إِنْ الله - جل ثناؤه - لم يَأْمُرْ نبيَّه عليه السلامُ
بمشاورة أصحابه لحاجة منه إلى آرائهم ، ولكنَّه أحبُّ
أَنْ يُعَاثِمَهُ ما في المشورة من البركة .

ويُروى عنه أَنه قال منذُ دهر ندعو الله فنقول :
اللهم استعملْ علينا أختيارنا فأعظمْ بها مصيبةً ألا يُستجاب

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ وأولها « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا
بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » .

لنا ، وأعظمُ من ذلك أن يكون استُجيبَ لنا فيكون
هؤلاءِ خيارنا .

وذكر الدنيا فقال : المؤمنُ لا يجزعُ من ذُلِّها ولا
يُنافس في عزها .

وقال : أربعٌ قواصمٌ للظهر : إِمَامٌ تُطِيعُهُ وَيُضِلُّكَ ،
وزوجةٌ تَأْمَنُهَا وتَحْزَنُكَ ، وجارٌ لِيْنٌ عَالمٌ خَيْرٌ أَسْرَهُ ، وإن
عَلمَ شَرًّا نَشَرَهُ وَفَقْرٌ حَاضِرٌ لا يَجِدُ صَاحِبُهُ عَنْهُ شَارِداً (١) .

ووصفَ الأسواقَ ، فقال : الأسواقُ موائدُ اللهِ
مَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا .

وقال : من عمل بالعافية فيمَن دونه رُزق بالعافية
مِمَّنْ فوقه .

وقيل له : وكيف رأيت الولايةَ يا أبا سعيد ؟ قال
رَأَيْتَهُمْ يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ (٢) آيَةً يَعْبَثُونَ . ويتخذون
مصانعَ لعَلَّهِمْ يَخْلِدُونَ . وإِذَا بَطَشُوا بِطَشُوا جَبَارِينَ (٣) .

(١) الشارد : النافر . والمراد لزوم الفقر لصاحبه .

(٢) الريح - بكسر الراء : المرتفع من الأرض .

(٣) انظر الآيات ١٢٨ - ١٣٠ من سورة الشعراء .

وكان يقولُ : ذمُّ الرجلِ نفسهُ في العلانية مدحُ
لها في السرِّ .

وقال : مَنْ وَسَّعَ اللهُ عليه في ذاتِ يده فلم يخفْ
أنْ يَكُونُ ذلك مكرأ من الله به فقد أَمِنَ مَخُوفاً ، وَمَنْ
ضَيَّقَ اللهُ عليه في ذاتِ يده فلم يرجُ أنْ يَكُونُ ذلك نظراً
من الله له فقد ضيَّعَ ما مَولاهُ .

وقال : إِنْ مِنْ عَظِيمٍ نِعَمَ اللهُ على مخلقه أَنْ شَاقَ
لَهُمُ النَّارُ يَحُوشُهُمْ (١) بها إلى الجنة .

وقال لرجُلٍ : كَيْفَ طَلَبْتُكَ لِلدُّنْيَا ؟ قال شديدٌ .
قال : فهل أدركتَ منها ما تُريدُ ؟ قال : لا . قال : فهذه
التي تطلبُها لم تدركْ منها ما تريد فكيف بالتي لا تطلبُها ؟
وقال : ابنُ آدمُ أسيرُ الجُوعِ ، صريعُ الشَّبعِ .
وذكر يوماً الحجاجَ فقال : أتانا أعيَّشْمْشَ - أنخيفْشَ (٢)

(١) يقال : حاش الصيد يحوشه : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحباله .

(٢) أنخيفش : تصغير الأخفش ، وقد يكون الخفش علة ، وهو

الذي يبصر الشيء بالليل ، ولا يبصره بالنهار .

والأعيَّش : تصغير الأعمش ، والأعمش ألا تزال العين تسيل الدمع ،

ولا يكاد الأعمش يبصر بها .

له جُمَيْمَةٌ* (١) يُرَجِّلُهَا فَأُخْرِجَ إِلَيْنَا لِسَاداً* (٢) قِصَاراً ،
والله ما عرق فيها عِنَانٌ* في سبيل الله . فقال : بايعوني .
فبايعناه* ثم رقى هذه الأعوادَ ينظر إلينا بالتصغير ،
وننظرُ إليه بالتعظيم ، يَأْمُرُنَا بالمعروف ويحْتَنِبُهُ* ، وينهانا
عن المنكر ويرتكبُهُ* .

وسُئِلَ عن قوله تعالى : « (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْدِيهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) » (٣) ما الثمنُ القليلُ ؟
قال : الدنيا بخلافها .

وقال : الدنيا تطلبُ الهاربَ منها ، وتهربُ من الطالبِ
لها ، فإن أدركتِ الهاربَ منها جرحتهُ* ، وإن أدركها
الطالبُ لها قتلتهُ* .

وقال : رَبٌّ هَالِكٌ بالثناء عليه ، ومغرورٌ بالسترِ
عليه ، ومستدرجٌ بالإحسانِ إليه* .

(١) والجميمة : تصغير الجمة ، وهو مجتمع شعر الرأس .

(٢) اللام : جمع لمة وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
واللمة (بضم اللام) : الصاحب أو الأصحاب في السفر .

(٣) سورة آل عمران : ٧٧ .

وقال : إِنْ لَمْ تُطْعَمْكَ نَفْسُكَ فِيمَا تَحْمِلُهَا عَلَيْهِ
مِمَّا تَكْرَهُ فَلَا تُطْعَمْهَا فِيمَا تَحْمِلُكَ عَلَيْهِ مِمَّا تَهْوَى .

وقال تَشَبَّهَ زِيَادٌ بِعُمَرَ فَأَفْرَطَ ، وَتَشَبَّهَ الْحِجَاجُ
بِزِيَادٍ فَأَفْرَطَ ، وَأَهْلَاكَ النَّاسَ .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَحْزِنُ (١) عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ،
وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ .

وقال لهُ بَعْضُ الْجُنْدِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةٍ : تُرَى أَنْ
أَتَّخِذَ أَرْزَاقِي أَوْ أَتْرَكُهَا حَتَّى آتُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؟ . قال : مُرُّ فَخُذْ أَرْزَاقَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَهَالِسُ .

وكتب إلى أخيه له : أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الصِّدْقَ أَمَانَةٌ ،
وَالْكَذِبَ خِيَانَةٌ وَالْإِنْصَافَ رَاحَةٌ ، وَالْإِلْحَاحَ وَقَاحَةٌ ،
وَالْتَوَانِي إِضَاعَةٌ ، وَالصَّحَّةَ بَضَاعَةٌ ، وَالْحَزْمَ كِيَاسَةٌ ،
وَالْأَدَبَ سِيَاسَةٌ .

وقال : يَا بَنَ آدَمَ . اصْبَحْ النَّاسَ بِأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ
يَصْحَبُوكَ بِمِثْلِهِ .

(١) الحيف : الظلم والجور .

وقال : الرّجالُ ثلاثةٌ ، رجلٌ بنفسه ، وآخر بلسانه
وآخر بماله .

وقال له رجلٌ : لي بُنيّةٌ وأنها تُخطبُ . فمسنّ
أزواجها ؟ قال : ؛ وجها ممن يتقي الله فإن أحبها أكرمها ،
وإن أبغضها لم يظلمها .

وقال : كنا في أقوام يخزنون ألسنتهم ، ويسفّقون
أوراقهم ، فقد بقينا في أقوام يخزنون أوراقهم (١) ،
وينفقون ألسنتهم .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز . أمّا بعدُ : فكأنّك
بالدنيا لم تكن ، وكأنّك بالآخرة لم تزل .

وقيل له في أمير قديم البصرة ، وعليه دينٌ قد
قضاهُ . فقال : ما كان قطُّ أكثر ديناً منه الآن .

وقال : ينادي مناد يوم القيامة : من له عسى الله
أجرٌ فليقم ، فيقوم العافون عن الناس . وتلا قوله
تعالى : « فمن عفا ، وأصلح فأجره على الله (٢) » .

(١) الأوراق : جمع ورق ، وهو المال .

(٢) سورة الشورى : ٤٠ . وأولها « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

اجتاز نخّاس^(١) مع جارية به . فقال أتبيعها ؟
 قال : نعم . قال : أفترضى أن تقبض ثمنها الدرهم
 والدرهمين حتى تستوفي ؟ قال : لا : قال : فإن الله
 عز وجل قد رضي في الحور العين بالفلس والفلسين .
 وقيل اه : ما بال الناس يكرمون صاحب المال ؟
 قال : لأن عشيقهم عنده .

وكان بلال بن أبي بردة أكلوا . فقال الحسن فيه :
 يتكئ على شماليه ويأكل غير ماله ، حتى إذا كظّه
 الطعام يقول : ابغوني هاضوماً . ويلاك ! ! وهل
 تهضم إلا دينك ! !

وكان الحسن إذا دخل ختانه^(٢) تنحى عن مكانه اه ،
 ويقول : مرحبا بمن كفى الموضة ، وستر العورة .
 ومن كلامه : مسكين ابن آدم ، مكتوم الأجل
 والعيال ، أسير الجوع والشبع .

(١) النخاس : تاجر الرقيق .

(٢) الختن : كل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج

البنت وزوج الأخت . والمراد هنا : زوج البنت أو الأخت .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها ، فقال :
 مالكم تزدحمون ؟ ؟ هاهي تلك ساريته (١) في المسجد .
 اقعدوا تحته ، واصنعوا ما كان يصنع حتى تكونوا مثله .
 وقال لشيخ في جنازة : أتري أن هذا الميت لو رجع
 إلى الدنيا يعمل عملاً صالحاً ؟ قال : نعم . قال له :
 إن لم يكن ذاك فكن أنت ذاك .

ونظر إلى قصور المهالبة ، فقال : يا عجباً رفعوا
 الطين ، ووضعوا الدين ، وركبوا البراذين ،
 واتخذوا البساتين ، وتشبهوا بالدهاقين (٢) « فذرهم
 في غمرتهم حتى حين (٣) » .

وكان يقول في دعائه : اللهم إنا نعوذ بك أن نمل
 معافاتك . فقبل له في ذلك .

فقال : أن يكون الرجل في خفض عيش فتدعوه نفسه
 إلى سفر .

(١) السارية : الاسطوانة أو العمود الذي يقام عليه المسجد .

(٢) الدهاقين : المفرد : دهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم .

(٣) سورة المؤمنون : ٥٤ .

ودخل إلى مريض قد أبلّ من علمته ، فقال له :
 إنّ الله ذكرك فاذكّره . وأقالك (١) فاشكّره .

ويقالُ : إنّ أوّل كلامه أنّه صلّى يوماً بأصحابه ،
 ثم انفل ، وأقبل عليهم ، فقال : أيها الناس ، إنيّ
 أعظّكم ، وأنا كثير الإسراف على نفسي ، غيرُ مصلح
 لها ، ولا حاملٌ لها على المكروه من طاعة ربّها . قد بلوتُ
 نفسي في السّراء والضّراء ، فلم أجِدْ لها كثير شكر
 عند الرّجاء ، ولا كبير صبر عند البلاء ، ولو أنّ الرجل
 لم يعظْ أخاه حتّى يحكم أمر نفسه ، ويكمل في الذي
 خلّق له من طاعة ربّه لقلّ الواعظونُ الساعون إلى الله
 بالحثّ على طاعته ، ولكن في اجتماع الإخوان واستماع
 حديث بعضهم من بعض حياة للقلوب ، وتذكير من
 النّسيان . أيها الناس إنّما الدنيا دارٌ منّ لادار له ، وبها
 يفرح من لا عقل له ، فأنزّلوها منزلتها . ثم أمسك .

(١) أقالك فاشكّره : يقال : أقلته البيع إقالة : قبلت فسخه للبيع .

والمعنى : أنقلك أقدم شكرك له .

ولمّا مات أخوهُ بكى ، فقل له : أتبكي يا أبا سعيد ؟
 فقال : الحمد لله الذي لم يجعل الحزن عاراً على يعقوب (١)
 وقال : إذا خرجت من منزلك فلقيت من هو أسنُّ
 منك فقل : هذا خيرٌ منّي عبّد الله قبلي ، وإذا لقيت
 من هو دونك في السنِّ فقل : هذا خيرٌ منّي عصيتُ
 الله قبله . وإذا لقيت من هو مثلك فقل : هذا خيرٌ
 منّي أعرف من نفسي مالا أعرف منه .

وكان يقول : يا عجباً لقوم قد أمروا بالزاد ، وأوذنوا
 بالرحيل ، وأقام أولههم على آخرهم . فليست شعري
 ما الذي ينتظرون ؟

ونظر إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ،
 ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إنَّ الله - عزَّ وجل -
 جعل الصَّوم مضماراً لعباده ليستبقُّوا إلى طاعته ، ولعمري
 لو كشف الغطاء لشغل محسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ
 بإسأائه عن تجديد ثوب ، أو ترطيل شعر (٢) :

(١) يشير إلى بكاء يعقوب عليه السلام حزناً على يوسف وأخيه
 حتى ابيضت عيناه .

(٢) رطل شعره : لينه بالدهن وكسره وثنائه .

وكان يقول : اجعل الدنيا كالمظرة تجوز عليها
ولا تعمّرُها .

وقال : تلقى أحدهم أبيض بضاً يملخ في (١) الباطل
ملخاً ، ينفض مذكرويه (٢) ، ويضرب أضديه ، يقول
هأنذا فاعرفوني . قد عرفناك ، فمقتك الله ومقتك
الصالحون .

وقال : نعيم الله أكثر من أن تُشكر إلا ما أعان عليه .
وذئوب ابن آدم أكثر من أن يسلم منها إلا ما عفا عنه .
وكان يقول : ليس العجب ممّن عطب كيف عطب ؟
إنما العجب ممّن نجا كيف نجا ؟

وكان يقول : حدّثوا هذه القلوب فإنّها سريعة
الدُّثور ، واقدعوا هذه الأنفس فإنّها طليعة (٣) ،
فإنّكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية .

(١) يملخ في الباطل : الملمخ - كالمخ : السير الشديد ، والتردد في
الباطل وإكثاره .

(٢) المذروان : فرعا الأليتين ، والمنكبين ، وطرفا كل شيء .
والمراد بهما هنا فرعا المنكبين . ويقال ذلك للرجل إذا جاء باغيا يتهدد .

(٣) طلعة : كثيرة التطلع إلى الشيء .

وقال لمطرف (١) بن عبد الله بن الشَّخِير : يامطرفُ ،
عظُّ أصحابك . فقال مطرفُ : إني أخافُ أن أقولَ مَلا
أفعلُ . فقال الحسنُ : يرحمك اللهُ وأيُّنا يفعلُ مايقُولُ ؟
يودُّ الشَّيْطانُ أنه ظفرُ بهذهِ منكم ، فلمْ يأمرُ أحدٌ
بمعروف ، ولم ينه عن منكر .

وكان يقولُ : ما حَاجَةٌ هؤلاء ، السلطان إلى الشرط .
فلمَّا ولي القضاء ، كثرُ عليه الناس فقال : لا بُدَّ
للنَّاسِ مِن وزعةٍ (٢) .

وكان يقولُ : لَيْسَانُ العاقِلِ مِن وراء قلبه فإن
عرض له القولُ نظر ، فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان
عليه القولُ أمْسَكَ ، ولسانُ الأحمق أمام قلبه فإذا عرض
له القولُ قال عليه أو له .

وقال : أو لم يُصب ابنُ آدمُ إلا الصحة والسلامة
لأوشكا أن يرداه إلى أرذل العمرُ فحدثَ بذلك محمدُ بنُ

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف .. كان فقيها ،
وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم .
وقد توفي سنة ٨٧ هـ .

(٢) وزعة : جمع وارع ، وهو الحابس العسكر الموكل بالصفوف .

جعفر فأعجبته ، وقال : سبحان الله ما أعجب كلام العرب وأشبه بعضه ببعض ؟؟ والله لكأن النمر بن تُولَيْب (١) سمع هذا . فقال :

يسرُّ الفتى طولُ السَّلامةِ جاهداً
فكيف ترى طولُ السَّلامةِ يفعلُ ؟
وقال حميدُ بنُ ثور (٢) .

* وحسبك داءٌ أن تصحَّ وتسَلِّما *

وكان يدعو ويقول : اللهم أعطنا قوةً في عبادتك ،
وبصراً في كتابك ، وفهماً في حكمك ، وآتانا كِفَافاً (٣)
من رحمته . بيّضْ وجوهنا بنورك ، واجعلْ
راحتنا في إيقائك ، واجعلْ رغبتنا فيما عندك من
الخير . اللهم إننا نعوذُ بك من العجز والكسل ، والهَرَم ،
والخبث ، والبخل . اللهم إننا نعوذُ بك من قُلُوب

(١) هو النمر بن تُولَيْب بن أقيش ، شاعر ، مقل ، مخضرم أدرك
الجاهلية ، وأسلم فحسن إسلامه ،

(٢) صدر البيت :

(*) أرى بصري قد رايتني بعد صحة * وحميد بن ثور شاعر مخضرم

(٣) الكفل : النصيب .

لا تخشع ، وأذنفُس لا تشبع ، اللهم إنا نعوذُ بك أنفسنا
وأهلينا وذراريَنا من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وقال : إنيّا تعظُ مُسْتَرْشِداً ليفهمَ ، أو جاهلاً
ليتعلّمُ ، فأما منْ وضع سيفه وسوطه وقال : احذرنى
فما لك وله ؟

وقال : إنَّ قومًا لبسُوا هذه المطارفَ العتاق ،
والعمائمَ الرقاق ، وأوسعُوا دُورهم ، وضيقُوا
قبورهم ، وأسجنُوا دوابَّهم ، وأهزلوا دينهم ، طعامُ
أحدهمُ غضبٌ ، وخادمه سُخرة ، يتكىء على شماله ،
ويأكل من غير ماله ، حتّى إذا أدركته الكظّةُ ،
قال : هلمي يا جارية هاضوماً ، ويلك !! وهل تحطمُ
إلا دينك ؟ .. أين مساكينك ؟ أين يتاماك ؟ أين ما أمرك
الله به . أين ؟ أين ؟؟ .

ورأى رجلاً يدشّ مِشْيَةً منكّرةً . فقال : يخرجُ (١)
في مشيه خَلَجَانِ المجنُون . لله في كلِّ عَضْوٍ منه
لقمةٌ ، وللشَّيْطَانِ لُحْمَةٌ .

(١) يخرج في مشيه : يضطرب .

كان أبو الحسن اسمه يسار ، واسم أمه خيرة ،
 مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكانت خيرة ربما
 غابت فيبكي الحسن فتعطيه أم سلمة ثديها تعلقه به ،
 إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها . فيرون أن تلك
 الحكمة ، والفصاحة ، من بركة ذلك . ونشأ الحسن
 بوادي القرى (١) .

وشكا إليه رجل ضيق المعاش ، فقال : وبحك !!
 أما هنا ضيق أو سعة ؟ إنما الضيق والسعة أمامك .

وقال : أولا قيصر همم الناس ما قامت الدنيا .

وقال : يا بن آدم : إنما أنت عدد أيامك إذا
 مضى يوم مضى بعضك .

وتذاكروا عنده أمر الصحابة . قال الحسن :
 رحمهم الله ، شهدوا وغبنوا وعلموا وجعلنا ،
 وحفظوا ونسينا . فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما
 اختلفوا فيه وقفناه .

وقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم .

(٣) وادي القرى : مكان قريب من المدينة ، ولد به الحسن البصري .

وقال : عاشراً أهْلُكَ بأحسن أخلاقك ؛ فإن
الشَّوَاءَ فيهم قليلٌ (١) .

وقال : السُّؤالُ نصفُ العِيشِ ، ومُداراةُ النَّاسِ
نصفُ العَمَلِ ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المعيشة . ومَا
عَالٌ مُقْتَصِدٌ .

وقال : خِفِ اللَّهَ خَوْفاً تَرَى أَنَّكَ لو أَتَيْتَهُ بِحَسَنَاتٍ
أَهْلُ الْأَرْضِ لم يَقْبَلُهَا مِنْكَ وارْجُ اللَّهَ رَجَاءً تَرَى أَنَّكَ
إِنْ أَتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتٍ أَهْلُ الْأَرْضِ غَفَرَهَا لَكَ .

وقال : مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهَ رَجُلًا عَقْلًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ
بِهِ يَوْمًا مَا .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَسْخِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا
يَأْتِمُ فَيَسَنُ يَحِبُّ .

ودخل إِلَيْهِ أَمْرَدٌ حَسَنُ الْوَجْهِ : فَالتَفَتَ إِلَى
أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ ذَكَرْتَنِي هَذَا الْفَتَى الْحُورِ الْعَيْنِ .
وَوُلِدَ لَهُ غُلَامٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ :

(١) الشَّوَاءُ فيهم قليل : الإقامة بينهم قصيرة .

بارك الله لك في هيبته ، وزادك في نعمته . فقال الحسن :
الحمد لله على كل حسنة ، ونسأله الزيادة من كل
نعمة ، ولا مرحباً بمن إن كنت مُقِلاً أنصبتني ،
وإن كنت غنياً أذهمني لا أرضني بسعْيي له سعياً ،
ولا بكادِّي عليه في الحياة كدّاً ، حتى أشفيق عتاسيه بعد
وفاي من الفاقية ، وأنا في حال لا يصل إليّ من هيبته
حزن ، ولا من فرحه سرور .

وقال : عز الشَّريف أدبه ، وعز المؤمن استغناؤه
عن الناس .

وقال : العام في الصغر كالنقش على الحجر ،
وفي الكبر كالرقم على الماء .

وقال : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعَلِيه
فيها تبعه إلا سُلَيْمان فإنَّ الله قال : « هذا عطاؤنا
فامننْ أو أمْسِكْ بغير حساب » (١) .

(١) سورة ص ٣٩ .

وقال : لا أبالك ، إن لم تكن حليماً فتحلهم فإنه
 قلَّ رجلٌ يتشبهُ بقومٍ إلاَّ أوْشاك أن يكون منهم .
 وقال : لا تشترين عداوة رجل بمودة ألف رجل .
 وقيل أهلك فلان فجأة . فقال : لو لم يهلك
 فجأة لمرض فجأة .

وقال : من زهيد في الدنيا ملكها ، ومن رغب
 فيها عبدها .

قال له رجل : يا أبا سعيد ، ما تقول في الغناء ؟
 قال : نعم الشيء الغنى تصل به الرحيم ، وتفك به
 العاني ، وتسفّس به عن المكروب .

قال : لست عن هذا أسألك ، إنما أسألك
 عن الغناء . قال : وما هو أعرف منه شيئاً ؟ قال :
 نعم : قال : فهاتيه : فاندفع يغني ، ويأوي
 شدقيه ، ومنخريه ، ويكسر عينيه : قال :
 فبهت الحسن ، وجعل يعزب عنه بعض عقله
 حتى فعل كما فعل الرجل بتحريك عينيه ،

وَكَسَّرَ حَاجِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَمَّا تَنَبَّهَ مِنْ سِنَّتِيهِ : أَمْسِكْ
بَاهِلَا ، قَبِّحَ اللَّهُ هَذَا ، مَا كُنْتُ إِلَّا نِي حُلُمٍ .

قَالُوا : وَلِيَّ الْحَسَنُ الْقَضَاءُ فَمَا حُمِدَ . يَرِيدُ
أَنَّهُ لَوْ حُمِدَ لِنَسَانٍ فِي وَلَايَةِ أَوْ قَضَاءِ الْحَمِيدِ الْحَسَنُ ؟

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ تَعَفَّفْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ
عَابِدًا ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ مِنْ الرِّزْقِ تَكُنْ
غَنِيًّا . وَصَاحِبِ النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ
تَكُنْ عَدْلًا ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحَاكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ
الْقَلْبَ . لَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ جَمَعُوا كَثِيرًا ،
وَأَمَلُوا بَعِيدًا ، وَبَنَوْا شَدِيدًا ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا ،
وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا ، وَأَمَلْتُهُمْ غُرُورًا .

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ (١) جِهَادَ
الْغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتَّكِلْ الْمُسْتَسْلِمَ ؛

(١) الطلب : الجري والسعي وراء الرزق ، والمراد : لا تحاول
الإلحاح في الحصول على طابتك .

فإنَّ ابتِغَاءَ الفضلِ مِنَ الشُّرَّةِ (١) ، والإجْمالَ
في الطَّلَبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ رزقاً ،
ولا الحرصُ يجلبُ فضلاً ، وإنَّ مِنَ الحرصِ اكتسابَ
الإثمِ .



(١) الشرة : شرة الشباب : حرصه ونشاطه .

الباب العاشر

نُكِيتٌ مِّنْ كَلَامِ الشَّيْعَةِ

خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى الْعِظَةِ قَامَ إِلَيْهِ
رَجُلٌ مِّنْ آلِ صُوحَانَ (١) . فَقَالَ : مَهْلًا مَهْلًا .
تَأْمُرُونَ فَلَا تَأْتَمُرُونَ ، وَتَنْهَوْنَ وَلَا تَنْتَهُونَ ،
وَتَعْظُونَ وَلَا تَتَّعِظُونَ . أَفَسَنَقُتْدِي بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
أَمْ نُسْطِيعُ أَمْرَكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ : اقْتَدُوا
بِسِيرَتِنَا فَأَنَّى ؟ وَكَيْفَ ؟ وَمَا الْحِجَّةُ ؟ وَمَا النَّصِيرُ
مِنَ اللَّهِ بِاقْتِدَاءِ سِيرَةِ الظَّالِمَةِ الْفَاسِقَةِ ، الْجَوْرَةِ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا (٢) ، وَعِيدَهُ نَحُولًا (٣)

(١) آل صوحان : ينسبون إلى صعدة بن صوحان بن حجر بن
الحارث العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة كان خطيباً بيناً
عاقلاً له شعر .

(٢) اتخذوا مال الله دولا : جمع دولة بالضم ، أي جعلوه متداولاً
بينهم ، مرة لهذا ومرة لهذا .

(٣) نحولا : الخول : ما أعطاك الله من النعم - محرّكة - والعبيد
والإماء وغير ذلك من الخاشية ، وهو يطلق على الواحد والجمع والذكر
والأنثى .

وَلِإِنْ قُلْتُمْ : اقْبَلُوا نَصِيحَتَنَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَنَا ،
فَكَيْفَ يَنْصَحُ لغيره مَنْ يَغُشُّ نَفْسَهُ . أَمْ كَيْفَ
تَجِبُ الطَّاعَةُ لِمَنْ لَمْ تَثْبُتْ عِنْدَ اللَّهِ عِدَالَتُهُ ؟ وَلِإِنْ
قُلْتُمْ خُذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا ، وَاقْبَلُوا
الْعِظَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا فَعَلَامَ وَلَيْسْنَا كُمْ أَمْرَنَا ،
وَحَكْمَتُنَا كُمْ فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ؟ أَمَّا عَلِمْتُمْ أَنْ
فِينَا مَنْ هُوَ أَنْطَقُ مِنْكُمْ بِاللُّغَاتِ ، وَأَفْصَحُ بِالْعِظَاتِ ؟
فَتَحَلَّحُوا (١) عَنْهَا أَوَّلًا ، فَأَطْلِقُوا عِقَالَهَا ، وَخَلُّوا
سَبِيلَهَا يَبْتَدِرْ لِرَئِيهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الدِّينَ شَرَّدْتُمُوهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَفَرَّقْتُمُوهُمْ
فِي كُلِّ وَادٍ ؛ بَلْ تَثْبُتْ فِي أَيْدِيكُمْ لَانْقِضَاءِ الْمُدَّةِ
وَبُلُوغِ الْمُهْلَةِ ، وَعِظَمِ الْمَحَنَةِ . إِنْ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدَرًا
لَا يَعْدُوهُ وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ
« (لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ، وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) » (٢) .

(١) أي تحلوا .

(٢) سورة الكهف : ٤٩ .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (١) .
قال ثُمَّ أَجْلَسَ الرَّجُلُ فَطُلِبَ فَلَمْ يُوْجَدْ .

قال يونس (٢) : قلت للخليل (٣) : ما بال
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنهم بنو
أمّ وإخوة ، وعليّ كأنّه ابن علة (٤) فقال لي : من
أين لك هذا السؤال ؟ فقلت : أريد أن تجيبني . قال
علّي أن تكتم عليّ ما دمت حياً . قلت : أجل .
قال : تقدّمهم لإسلاماً ، وبدّهم شرفاً ، وفاقّهم علماً ،
ورجّحتهم حلماً ، وكان أكثرهم زهداً ، فخرّوه
والناس إلى أشكاليهم أميل .

سُئِلَ أحمد بن حنبل (٥) عن قول الناس :

-
- (١) سورة الشعراء : ٢٢٧ وأولها : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
(٢) هو يونس بن حبيب من أعلام النحاة في العصر العباسي .
(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ، وصاحب
كتاب العين وكتاب الخيل .
(٤) العلة : الضهرة
(٥) هو الإمام أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي
الأصل . ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ . وكان إمام المحدثين .

عليّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . فَقَالَ : هَذَا صَحِيحٌ لَأَنَّ
النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِعَلِيٍّ : « لَا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ »
وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ » وَالْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمُنَافِقُ
فِي النَّارِ .

• • •

الباب الحادي عشر

كلامُ الخوارج (١)

مِنْ كَلَامِ أَبِي حَمْزَةَ (٢) : تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ
سَرِيرَةً ، وَأَفْضَلُ ذَخِيرَةً ، مِنْهَا ثِقَّةُ الْوَأَثِقِ ،
وَعَلَيْهَا مِيقَةُ الْوَأَمِيِّ . لِيَعْمَلَ أَمْرًا فِي فِكَكَ نَفْسِهِ وَهُوَ
رَخِي (٣) اللَّسْبِ ، طَوِيلُ السَّبَبِ ، وَلِيَعْرِفَ مَمْدَّ
يَدِهِ ، وَمَوْضِعَ قَدَمِهِ ، وَيَحْذَرَ الزَّلِيلَ وَالْعَلَلِ
الَّتِي تَقْطَعُ عَنِ الْعَمَلِ . رَحِيمٌ اللَّهُ عَبْدًا آثَرَ التَّقْوَى ،
وَأَسْتَشْعَرَ شِعَارَهَا وَاجْتَنَنَى ثِمَارَهَا . بَاعَ دَارَ
النَّفْسِ بِدَارِ الْآبَدِ . الدُّنْيَا كَرُوضَةٌ اعْتَمَّ مَرْعَاهَا ،

(١) الخوارج : هم أتباع أقدم الفرق الإسلامية . وترجع أهميتهم إلى
أقوالهم ، في نظرية الخلافة ، وفي الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان
والعمل ؟ وقد ترتب على معتقدتهم هذا قيامهم بثورات محلية عكزت صفو
السلام في الدولة الإسلامية .

(٢) أبو حمزة هو : يحيى بن المختار بن عوف بن سليمان بن
مالك الأزدي السلمي البصري ، ثائر فتاك ، من الخطباء القادة .
(٣) المراد : وهو في مستقبل عمره .

وَأَعْجَبَتْ مَنْ يَرَاهَا ، تَمُجُّ عُرُوقُهَا الشَّرَى ، وَتَنْطَفُ (١)
فروعها النَّدَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْعُشْبُ إِنَاهُ (٢) ، وَانْتَهَى
الزُّبْرَجُ (٣) مِنْتَهَاهُ ، ضَعْفَ الْعُمُودُ ، وَذَوَى الْعُودُ ،
وَتَوَاسَى مِنْ الزَّمَانِ مَالاً يَعُودُ ، فَحَسَّتِ الرِّيحُ الْوَرَقَ ،
وَفَرَّقَتْ مَا اتَّسَقَ ، « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذُرُّهُ الرِّيحُ
« وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا » (٤)

كَانَ شَبِيبٌ (٥) يَقُولُ : اللَّيْلُ يَكْفِيكَ الْحَبَّانَ
وَيَصِفُ الشُّجَاعَ .

أَتَيْتِ الْحَجَّاجُ بامرأة مِنْ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لِمَنْ
حَضَرَ : مَا تَرَوْنَ فِيهَا ؟ قَالُوا : اقْتُلْنَهَا . فَقَالَتْ :

(١) تنطف فروعها : تنطفت : تقرطت ، ووصيفة منطفة أي
مقرطة .

(٢) بلغ إناه : - ويكسر - بلغ غايته أو نضجه وإدراكه .

(٣) انتهى الزبرج منتهاه : الزبرج - بكسر الزاي - الزينة من
رشي أو جوهر .

(٤) سورة الكهف : ٤٥ .

(٥) شبيب الخارجي هو : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ،
أبو الضحاك من أبطال العالم ، وأحد كبار الثائرين على بني أمية ومات غرقاً .

جُلُوسَاءُ أَخِيكَ خَيْرٌ مِّنْ جُلُوسَائِكَ : قال : وَمَنْ
أَخِي ؟ قَالَتْ : فِرْعَوْنُ : لَمَّا شَاوَرَ جُلُوسَاءَهُ فِي
مُوسَى « قَاتِلُوا أَرْجِيهِ وَأَخَاهُ وَأَبْنَيْهِ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ » (١) فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا .

مرَّ رجلٌ من الخوارج بدارِ ثُبَيْي ، فقال : مَنْ هَذَا
الذي يقيم كفيلاً ؟

أخذ ابنُ زيادٍ ، ابنَ أديَّةَ (٢) : أَخَاهُ بِلَالٍ ،
فقطع يديه ، ورجليه ، وصلبه على بابِ دارِهِ فقال لأَهْلِهِ
وهو مصَّوبٌ : انظروا إلى هؤلاء الموكَّنين بي فأحسِنُوا
لِإِيهِمْ فَإِنَّهُمْ أَضْيَافُكُمْ .

أَتَى عَتَّابُ (٣) بنُ وَرْقَاءَ بامرأة من الخوارج فقال
لَهَا : يَا عِدُوَّةَ اللَّهِ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الْخُرُوجِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ
اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

(١) سورة الشعراء : ٣٦ .

(٢) عروة بن أديّة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان
فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٥٨ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي .

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا
وعلى المُحصَّنات جرُّ الذُّيولِ
فقائت : يا عدوَّ الله ، أخرجني قلةُ معرفتك بكتاب الله .

خُطْبَةُ قَطْرِي بنِ الفُجَاءَةِ (١)

أَمَّا بعدُ : فإني أهدرُكم الدنيا فإنها حلوةٌ نخَضِرَةٌ ،
حُفَّتْ بالشهواتِ وراقتْ بالقليلِ ، وتَحَبَّبَتْ لِلعاجلةِ ،
وخلبت بالآمالِ ، وتزَيَّنت بالغُرورِ ولا تدومُ
حبسرتها (٢) ، ولا تؤمنُ فجيعتها ، غرارةٌ ضرَّارةٌ ،
وحائلةٌ زائلةٌ ، ونافذةٌ بائدةٌ ، أكالةٌ غَوَّالةٌ ،
لا تعدُّو — إذا تناهت إلى أمنية أهلِ الرغبة فيها ، والرضا
عنها — أن تكونَ كما قال الله تعالى : « كما أنزلنا سماءاً
من السماء ، فاختلطَ به نباتُ الأرض فأصبح هَشِيماً
تذروه الرياحُ وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتَدِراً (٣) » .

(١) هو أبو نعمة قطري بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن بن
يزيد ، والفجاءة أمه وكان أطول الخوارج أياماً وأحدهم شوكة وكان شاعراً
جواداً وخطيباً مشهوراً وقد توفي سنة ٥٧٨ .

(٢) الخبرة : النعمة .

(٣) سورة الكهف : ٥٤ . وأولها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا » .

مع أنَّ امرأ لم يكنْ منها في حَبْرَة (١) إلاَّ أعْقَبَتْهُ
بَعْدَهَا عِبْرَة ، ولمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ
مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا ، ولمْ تَظْلِلْهُ غِيَمَةٌ رَخَاءٍ إِلَّا هَطَلَتْ
عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءٍ ، وَحَرِيَّةٌ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مَنَصِيرَةٌ ،
أَنْ تُسَمِّيَ لَهُ خَاذِلَةً مُتَنَكِّرَةً ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا
اعْتَدَوْذَبَ وَاحْتَلَوْا لِي أَمْرٌ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ وَأَوْبَى (٢) .

وإنَّ آتَتْ امْرَأً مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَقًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ
نَوَائِبِهَا تَعَبًا وَلَمْ يُمَسَّ مِنْهَا امْرُؤٌ فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا
أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . غَرَارَةٌ ، غُرُورٌ مَا فِيهَا ،
فَانِيَةٌ فَإِنْ مَنَ عَلَيْهَا . لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا
إِلَّا التَّقْوَى . مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ ، وَمَنْ
اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ (٣) وَيَطِيلُ حُزْنُهُ ،
وَيُسْبِكِي عَيْنَهُ ، كَمْ وَاتَّقِ بِهَا فُجْعَتَهُ ، وَذِي طَمَأْنِينَةٍ
إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِي احْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ ، وَكَمْ

(١) الحبرة : البهجة والنضارة .

(٢) أوبى : أي صار فيه الوباء فهو مسهل من أوبى .

(٣) يوبق : يهلك .

ذِي أَبْتَهَةِ فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَسَخُوهُ قَدْ رَدَّتْهُ
 ذَلِيلًا ، وَمِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّرَتْهُ لِلْيَدِينِ ، وَلَلْفَسَمِ .
 سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ (١) وَعَذِيبُهَا أَجَاجٌ ،
 وَحُلُوهَا صَبِيرٌ (٢) ، وَغَدَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا
 رِمَامٌ (٣) ، وَقَطَافُهَا سَلَعٌ (٤) ، حَيْثُهَا بَعَرَضَ مَوْتٌ ،
 صَحِيحُهَا بَعَرَضَ سَقَمٌ ، مَنِعُهَا بَعَرَضَ اهْتِضَامٌ .
 مَتَلِكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَلِيمُهَا
 مُنْكَوَبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ (٥) ، مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ
 سَكْرَاتُ الْمَوْتِ ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ ، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ
 يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا
 وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٦) » .

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ

(١) عَيْشُهَا رَنْقٌ : كَدْرٌ .

(٢) حُلُوهَا صَبِيرٌ : الصَّبْرُ كَكَتَفٍ : عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍّ .

(٣) أَسْبَابُهَا رِمَامٌ : وَاهِيَةٌ .

(٤) وَقَطَافُهَا سَلَعٌ : السَّلْعُ - بِتَحْرِيكِ اللَّامِ - شَجَرٌ مَرٍّ .

(٥) مَحْرُوبٌ : مَسْلُوبٌ .

(٦) سُورَةُ النُّجُومِ : ٣١ .

أَعْمَاراً ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَاراً ، وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ
جُنُوداً ، وَأَشَدَّ عُنُوداً .

تُعَبِّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعْبُدُ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارِ ،
وَضَعَعُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصَّغَارِ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ
أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبٍ ؟ بَلْ قَدْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَاحِ ،
وَضَعَعْتَهُمْ بِالنَّوَابِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْفَجَائِعِ . وَقَدْ
رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ،
حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا أَفْرَاقَ الْأَبَدِ إِلَى آخِرِ الْمُسْتَدِ (١) .

هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ ، وَأَحْلَلَتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ،
أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلُمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟
أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِبُونَ ؟ أَمْ إِلَيْهَا
تَطْمِئِنُّونَ ؟

يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ (٢) » . فَبُيِّنَتْ الدَّارُ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا .

(١) آخر المسند : المراد الدهر يقال لا آتية أبد المسند أي أبداً .

(٢) سورة هود : ١٥ .

فاعلمُوا — وأنتم تعلمون — أنكم تار كُوها لا بُدَّ ،
 فإنَّما هي كما وصفَهَا اللهُ باللَّعِبِ ، واللَّهْوِ . وقد قال
 اللهُ تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ
 مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ
 جَبَّارِينَ » (١) .

ذكر الدين قالوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » (٢) «
 ثم قال : حُمِّلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رَكْبَانًا ،
 وَأَنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وجعل اللهُ لهم من الضَّرِيحِ
 أَجْنَانًا (٣) ، ومن التُّرَابِ أَكْفَانًا ، ومن الرُّفَاتِ جِيرَانًا ،
 وهم جِيرةٌ لا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، ولا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا .
 إنْ خَنَصُوا لم يَفْتَرِحُوا ، وإنْ قَحَطُوا لم يَقْنَطُوا .
 جَمِيعٌ وهم آحاد ، جِيرةٌ وهم أَبْعَادٌ ، مُتَنَائِمُونَ
 لا يزورون ولا يُزَارُونَ .

(١) سورة الشعراء : ١٢٨ — ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٥ « فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةً » .

(٣) الأجنان : جمع جنين ، وهو السر والمراد القبر .

حُلُمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهْلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ
أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُسْخَشِي فِجْجُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ،
وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فِتْلَتُكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ
مَنْ بَعْدَ هِيَمٍ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (١) » .
وَاسْتَبَدَّوْا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ،
وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلُمَةً ، فَنَمَارَقُوهَا كَمَا
جَاءُوهَا حُمْفَةً ، عُرَاةً ، فُرَادَى . غَيْرَ أَنْ ظَعَنُوا
بَأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ . يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
وَعَدًا عَلَيْنَا إِنْ كُنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (٢) » .

فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ،
وَاعْتَصِمُوا بِحَبِيبِهِ . عَصَيْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقْنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

قَالُوا : لِمَا أَخَذَ (أَبُو) بَيْهَسَ (٣) الْخَارِجِيُّ ،

(١) سورة القصص : ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) هو أبو بيهس هيصم بن جابر الضبي الخارجي وأتباعه يسمون

البيهسية إحدى فرق الخوارج .

وَقُطِعَتْ يَدَاهُ ، وَرَجُلَاهُ ، تُرِكَ يَتَمَرَّغُ فِي التُّرَابِ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : هَلْ أَحَدٌ يُفْرِغُ عَلَيَّ دَأْوِينَ ؟
فَإِنِّي احْتَلَمْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . هَذَا إِنِّ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ
عَجِيبٌ ، وَإِنِّ كَانَ قَالَهُ اسْتِهَانَةً بِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ
أَعْجَبٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِعْتُ أَبَا بَلَالٍ فِي جَنَازَةٍ وَهُوَ يَقُولُ :
أَلَا كُلُّ مَيِّتَةٍ ظَنُّونَ (١) إِلَّا مَيِّتَةَ الشَّجَّاءِ . قَالُوا :
وَمَا مَيِّتَةُ الشَّجَّاءِ ؟ قَالَ : امْرَأَةٌ أَخَذَهَا زِيَادٌ فَقَطَعَ
يَدَيْهَا ، وَرَجُلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهَا : كَيْفَ تَرَيْنَ يَا شَجَّاءُ ؟
قَالَتْ : قَدْ شَغَلَنِي هَوْلُ الْمَطَّلَعِ عَنْ بَرْدِ حَمْدِ يَدِكُمْ .

قَالَ الْحَبِجَّاجُ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْحَوَارِجِ : اقْرَأِي شَيْئًا مِنَ
الْقُرْآنِ . فَقَالَتْ : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ
النَّاسَ » يَخْرُجُونَ (٢) « فَقَالَ : وَيَحْكُ يَدْخُلُونَ .
قَالَتْ : قَدْ دَخَلُوا ، وَأَنْتَ تُخْرِجُهُمْ .

(١) كُلُّ مَيِّتَةٍ ظَنُّونَ والمراد كَسَلُ مَيِّتَةٍ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْمَيِّتِ إِلَّا
هَذِهِ الْمَرْأَةَ الْخَارِجِيَّةَ .

(٢) سُورَةُ النَّصْرِ : ١ ، ٢ .

وقال الحجَّاجُ لِأُخْرَى : لَأَحْصِدَ نَكَمَ حَصْدًا .
قَالَتْ : أَنْتِ تَحْصِدُ ، وَاللَّهِ يُزْرِعُ ، فَاَنْظُرِي أَيْنَ
قُدْرَةُ الْمُخْلُوقِ مِنْ قُدْرَةِ الْحَاقِّ ؟

رَأَتْ أُخْرَى مِنْهُمْ رَجُلًا بَضًّا فَقَالَتْ إِنِّي لَأَرَى
وَجْهَهَا لَمْ يُؤْثَرُ فِيهِ وَضُوءُ السَّهَرَاتِ (١) .

كَانَ شَيْبِبُ الْخَارِجِيِّ (٢) يُسَمَّى لَأُمِّهِ : فَيُقَالُ :
قُتِلَ : فَلَا تُصَدِّقُ ، إِلَى أَنْ قِيلَ لَهَا : غَرِقَ
فَوَلَّوْا ، وَصَدَّقَتْ : فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ . فَقَالَتْ
لِنَفْسِي رَأَيْتُ حِينَ وَلَدْتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نَارٌ فَعِلِمْتُ
أَنَّهُ لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا الْمَاءُ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي بِيْهَسَ وَقَدْ أَمَرَ بِقَطْعِ
يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَقَالَ : أَلَا أُعْطِيكَ خَاتِمًا تَتَخْتَمُ بِهِ ؟
فَقَالَ لَهُ أَبُو بِيْهَسَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْعَرَبِ فَأَنْتَ مِنْ هَذِيلَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْعَجَمِ فَأَنْتَ
بَرْبَرِيٌّ . فَسَمِّلْ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ مِنْ هَذِيلَ وَأُمُّهُ بَرْبَرِيَّةٌ .

(١) السهرات : جمع السهرة - بفتح السين ، وهي الغداة الباردة .

(٢) هو شبيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية .

أَتَى رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ قَالَ : هُمْ أَصْحَابُ دُنْيَا ، وَقَالَ : وَمَنْ أَيْنَ قُلْتَ وَأَحَدَهُمْ يَمْشِي فِي الرَّمْحِ حَتَّى يَنْكَسِرَ فِيهِ ، وَيَخْرُجُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ؛ فَقَالَ الْحَسَنُ : حَدَّثَنِي عَنْ السُّلْطَانِ أَيْمَنُكَ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحِجِّ وَالْعُمْرَةِ ؟ قَالَ : لَا : قَالَ : فَأَرَاهُ إِنَّمَا مَنَعَكَ الدُّنْيَا فَقَاتَلْتَ .

نَزَلَ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ عَلَى أَخٍ لَهُ مِنْهُمْ فِي اسْتِتَارَةٍ مِنَ الْحِجَابِ ، وَأَرَادَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ شُخُوصاً إِلَى بَلَدٍ آخَرَ لِحَاجَةٍ لَهُ ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : يَا زُرْقَاءُ أَوْصِيكِ بِضَيْفِي هَذَا خَيْرًا . وَبَعْدَ لِيَوْجَهْتِيهِ . فَلَمَّا عَادَ بَعْدَ شَهْرٍ قَالَ لَهَا : يَا زُرْقَاءُ . كَيْفَ رَأَيْتِ ضَيْفَنَا ؟ قَالَتْ مَا أَشْغَلَنِي بِالْعَمَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَكَانَ الضَّيْفُ أَطْبَقَ عَيْنَهُ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْمَنْزِلِ إِلَى أَنْ عَادَ زَوْجُهَا .

اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْخَوَارِجِ فَعَقَدَ اثْنَانِ لِيَوَاحِدٍ ، وَخَرَجُوا يَمْشُونَ خَلْفَهُ يَلْتَمِسُونَ شَيْئاً يَرْكَبُهُ ،

فَجَعَلَ الْاِثْنَانِ يَتَلَاحيانَ (١) ، فَاتَّمَتَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ :
 مَا هَذِهِ الضَّوَضَاءُ الَّتِي أَسْمَعُهَا فِي عَسْكَيرِي ؟؟

كَبَرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَهَرَمَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ بِهِ نَهْوَضٌ ،
 فَأَخَذَ مَنْزِلًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَكُلَّمَا جَاءَ مَطَرٌ
 وَابْتَلَّتْ الْأَرْضُ أَخَذَ زُجَاجًا ، وَكَسَرَهُ ، وَرَمَاهُ
 فِي الطَّرِيقِ ، فَإِذَا مَرَّ إِنْسَانٌ وَعَقَرَ (٢) رِجْلَهُ الزُّجَاجَ
 قَالَ الْخَارِجِيُّ مِمَّنْ وَرَاءَ الْبَابِ ، لَأَحْكُمَنَّ إِلَّا لَيْلَةً
 تُسَمِّي يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مِنْهُمْ يُدِي .

لَقِيَ رَجُلٌ بَعْضَ الْخَوَارِجِ بِالْمَوْقِفِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ (٣)
 فَقَالَ لَهُ : مَنْ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِمَّنْ أَصْحَابُكُمْ ؟
 فَقَالَ : مَا حَجَّ غَيْرِي . فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا بَاهَى اللَّهَ
 عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِشَقِّ مُحْمَلِهِ ؟

أَحْضَرَ الْحَجَّاجُ رَجُلًا مِمَّنْ الْخَوَارِجُ ، فَمَنَّ عَلَيْهِ ،
 وَأَطْلَقَهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، قَالُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ

(١) يَتَلَاحيانَ : لَحَاهِ يَلْحُوهُ : شَتَمَهُ .

(٢) عَقَرَ الزُّجَاجَ : أَي جَرَحَهُ ، وَالْعَقْرُ : الْجَرْحُ .

(٣) أَي يَوْمَ عَرَفَةَ آخِرِ النَّهَارِ ، وَهُوَ يَوْمُ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ .

مَخْلُصُكَ مِنْ يَدِهِ لِيَزِيدَكَ بِصِيرَةٍ فِي مَذْهَبِكَ ،
فَلَا تُقْصِرْ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ . فَقَالَ . هِيَهَاتَ . « غَلٌّ
يَدَا مُطْلَقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُعْتَقُهَا (١) » .

وَكَانَ الْمُسْتَوْرِدُ كَثِيرَ الصَّلَاةِ شَدِيدَ الْجَهْدِ ،
وَلَهُ آدَابٌ مُحْفُوظَةٌ عَنْهُ .

كَانَ يَقُولُ : إِذَا أَفْضَيْتُ بِسَرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَفْشَاهُ
لَسَمُ أَلَمُهُ لِأَنِّي كُنْتُ أَوَّلِي بِحِفْظِهِ .

وَكَانَ يَقُولُ : لَا تَفْشِ إِلَى أَحَدٍ سِرّاً . وَإِنْ كَانَ
لَكَ مَخْلُصٌ إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْمَشَاوَرَةِ .

وَكَانَ يَقُولُ : كُنْ أَحْرَصَ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ صَاحِبِكَ
مَنْكَ عَلَى حَقِّكَ ذَلِكَ .

وَكَانَ يَقُولُ : أَقَلُّ مَا يَدُلُّ عَلَى عَائِبِ النَّاسِ
مَعْرِفَتُهُ بِالْعُيُوبِ وَلَا يَعِيبُ إِلَّا مُعِيبٌ .

وَكَانَ يَقُولُ : الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ فَاشْتَرِ بِهِ مِنَ الْحَمْدِ
مَا يَبْقَى عَلَيْكَ .

(١) غَلٌّ يَدَا مُطْلَقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُعْتَقُهَا ، غَلٌّ يَدَا : أَيُّ وَضْعٍ
فِيهَا الْغُلُّ وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً : أَيُّ مَلَكَهَا بِالرَّقِّ وَيَضْرِبُ لِمَنْ يَسْتَعْبِدُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ .

وكان يقول : بَذْلُ المَالِ فِي حَقِّهِ اسْتِدْعَاءٌ للمزيد
من الجَوَادِ .

وكانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : لو ملكت الدُّنْيَا
بِحَذَافِيرِهَا (١) . ثُمَّ دُعِيتُ إِلَى أَنْ أُسْتَقِيلَ (٢) بِهَا
خَطِيئَةُ عَلِيٍّ لَفَعَلْتُ .

وَلَمَّا أَتَى عبيدُ اللَّهِ بن زياد بعروَةَ بنِ أَدِيَّةٍ — وكانَ
قد أُصِيبَ فِي سَرِيَّةٍ (٣) للعلاء بنِ سُويْدٍ فِي اسْتِتَارِهِ —
قالَ لَهُ عبيدُ اللَّهِ : جَهَّزْتَ أَخَاكَ عَلِيًّا : فقالَ : واللَّهِ
لقد كنتُ بِهِ ضَمِينًا وكانَ لي عِزًّا ، ولقد أردتُ لَهُ ما
أريده لنفسي ، فعزَمَ عِزًّا فمَضَى عَلَيْهِ ، وما أَحَبُّ
لنَفْسِي إِلَّا المَقَامَ وتَرَكَّ الخُروجَ . قالَ لَهُ : أَفَأَنْتَ عَلِيٌّ
رَأْيُهُ ؟ قالَ : كُنَّا نَعْبُدُ رَبًّا واحِداً . قالَ أَمَّا لَأُمَثِّلَنَّ بِكَ .
قالَ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مِنَ القِصَاصِ ما شِئْتَ . فَأَمَرَ بِهِ

(١) بِحَذَافِيرِهَا : جَمْعُ حَذَفُورٍ أو حَذَفَارٍ ، وَهُوَ أَعْلَى الشَّيْءِ
وَنَاحِيَتُهُ وَالْمُرَادُ جَمِيعُهَا .

(٢) أُسْتَقِيلَ خَطِيئَةُ عَلِيٍّ : أَطْلَبَ الصَّفْحَ عَنْ خَطِيئَةِ حَسِبْتَ عَلِيٍّ .

(٣) السَّريَّةُ : القِطْعَةُ مِنَ الجَيْشِ .

فقطعوا يديته ورجليه . ثم قال : كيف ترى ؟ قال
أفسدت عليّ دنياي وأفسدت عليك آخرتك .

وفي كتاب لنافع بن الأزرق (١) كتبه إلى قعدة
الخوارج : ولا تطمئنثوا إلى الدنيا فإنها غرارة ، مكارة ،
لذتها نافذة ، وتعيمها بائد . حُفَّت بالشهوات اغترارا ،
وأظهرت حبرة ، وأضمرت عبرة ، فليس لآكل
منها أكلة تسره ، ولا شربة تؤنيقه إلا دنسا بها درجة
إلى أجله ، وتباعد بها مسافة من أمله . وإنما جعلها الله
داراً لمن تزود منها إلى النعيم المقيم ، والعيش السليم ،
فلن يرضى بها حازم داراً ، ولا حكيم بها قراراً ،
فاتقوا الله ، « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » (٢)
والسلام على من أتبع الهدى .

ولما حاربهم المهلب بسلي ، وسليري (٣) فقتل

(١) نافع بن الأزرق هو : نافع بن الأزرق الحنفي صاحب فرقة
الأزراق من الخوارج .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) في معجم البلدان : سلى وسليري ، - بكسر السين وتشديد اللام
فيهما وقصر الألف كذلك : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

رئيسهم : ابن الماخور (١) اجتمعوا على الزبير بن علي من بني سليط ، وبايعوه ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، فقال لهم : اجتمعوا . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه - ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تَمَحِيضٌ وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبةٌ وخزيٌ ، وإن يُصَبَّ منكم أميرٌ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خالف . وقد أصبتم فيهم مسلم بن عبيس ، وربيعاً الأجدم ، والحجاج بن باب ، وحارثة (٢) ابن بدر ، وأشجيتهم بالمهلب ، وقتلتم أخاه المَعَارِك . والله يقول لأخوانكم من المؤمنين : «(إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)» (٣) فيوم سَلَّى كان لكم بلاءٌ وتمحيصاً ، ويوم سولاف (٤) كان لهم عقوبة ونكالا . فلا تُغْلِبَنَّ عَنْ الشُّكْرِ

(١) عبيد الله بن الماخور أمير الخوارج وكانوا يسمونه أمير المؤمنين وقد قاتله المهلب بن أبي صفرة بجيش كبير قتل فيه ابن الماخور هذا وسبعة آلاف معه .

(٢) هو حارثة بن بدر الفزاري ، كان ذابيان وجهارة وكان شاعراً عالماً بالأخبار والألقاب .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

(٤) سولاف - بضم أوله وسكون ثانيه وآخره فاء قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان .

فِي حِينِهِ . وَالصَّبْرُ فِي وَقْتِهِ . وَثَقُوا بِأَنْكُمْ الْمُسْتَخْلَفُونَ فِي
الْأَرْضِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

وَلَمَّا اسْتَرَدَّ مُصْعَبُ الْمُهَلَبِ مِنْ وَجْهِ الْأَزَارِقَةِ ،
وَوَلَاهُ الْمَوْصِلَ (١) شَاوَرَ النَّاسَ فِيمَنْ يَسْتَكْفِيهِ أَمْرَ
الْخَوَارِجِ ، قَالَ قَوْمٌ ، وَلَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ .
وَقَالَ قَوْمٌ : وَلَّ عُمَرَ (٢) بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ .
وَقَالَ قَوْمٌ : لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْمُهَنْبُ فَارْدَدَهُ إِلَيْهِمْ .

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ قَالَ بَعْضُهُمْ :
فَرَأَيْتَهُ يَحْدُثُ قَنَادِيلَ الْمَسْجِدِ بِالْحِصْنِ ، فَيَكْسِرُهَا
فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَنَا - كَمَا تَرَى -
شَيْخٌ كَبِيرٌ ، لَا أَقْدِرُ لَهُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا ،
أَغْرَمْتُهُمْ قَنَدِيلًا ، قَنَدِيلَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

(١) الموصل : إحدى مدن العراق تقع في الشمال .

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر : وُلد لمصعب بن الزبير قتال الخوارج
بعد المهلب بن أبي صفرة .

وهذا مختصرُ عمله الصَّاحِبُ رَحْمَةُ اللَّهِ وَسَمَاهُ
(الكَشْفُ عَنْ مَنَاجِ أَصْنَافِ الْخَوَارِجِ)

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على النبي محمد ،
وآله أجمعين . سألت أنْ أذكرَ لكَ ألقابَ طوائفِ
الخوارج ، وذرواً من اختلافها . وأنا أثبتُ ما يحضر
حفظي . على أنْ هذه الألقابُ تجمعُ أصولاً ، وفروعاً :
فربَّ طائفةٍ لحقَّها لقبٌ ثم تفرَّدَ من جملتها فريقٌ
فلحقَّهم لقبٌ آخر .

والذي يجمعهم من القول تكفيرُ أميرِ المؤمنين (١) —
صلواتُ الله عليه — وتكفيرُ عثمانَ ؛ وإنكارُ الحكمين (٢)
والبراءةُ منهما ، وممَّن حكَّمهما أو تولَّى أحداً ممن
صوبَهما . وأولُ من حكَّم بصفَتَيْنِ عُرُوَّةُ بنُ حُدَيْرٍ :
أنحو أبي بلال مرْدَاس ، وقيل عاصمُ المحاربي ، وأوّلُ
مَن تشرى (٣) رجلٌ من يشكُرَ ، وكان أميرُهم — أولُ

(١) هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الحكمان هما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري .

(٣) تشرى : تفرق : أو لعله صار من فرقة المحكمة التي لقيت أنفسها

الشرارة فيكون معنى تشرى : حكم .

ما اعتزلوا — عبد الله بن الكوّاء ، وأمير قتاتهم شبت
ابن ربيعي ، ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسبي .

ذكر القاب فرقههم مع جُسل من مذاهبهم

الأزارقة : أصحاب نافع بن الأزرق (١) ، ويروون
من القعدة .

النجدية : أصحاب نجد (٢) بن عامر الأسدي .
تولى أصحاب الكبائر من الخوارج إذ لم يُصروا .
ومن أصر منهم فهو مشرك عندهم .

الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباض التميمي .
فأما عبد الله بن يحيى الإباضي المنقّب بطالب الحق
فهو منسوب إليهم . ومعه خرج أبو حمزة الخارجي .

الصفريّة : أصحاب زياد بن الأصفر . وقيل
أصحاب عبد الله الصفّار

(١) هو نافع بن الأزرق الحنفي رئيس جماعة الأزارقة . وكانت
الخوارج قبله على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء والشاذ .

(٢) هو نجدة بن عامر الأسدي الحروري الحنفي من بني حنيفة من
بكر بن وائل .

العطويّة: أصحابُ عطيةَ بنِ الأسود الحنفيّ من المنكرين عاصي نافع .

العجاردة: أصحابُ عبدِ الكريم بنِ عجرد ، وهم عطوية ، إلا أنهم يوجبون دُعاءَ الأطفالِ عند بلوغهم والبراءة منهم قبل ذلك .

الميمونية: ميمونٌ هذا عبدٌ لعبدِ الكريم بنِ عجرد . ويقولُ بالعدلِ ويرى قتلَ السُّلطانِ خاصّةً ، ومن رَضِيَ ظُلُمه ، وأعانَه دُونَ سائرِ النَّاسِ ويحكى عنهم أنَّهُ التَّزَوَّجَ ببناتِ الإبنِ وبناتِ البناتِ ، وبناتِ بناتِ الأخواتِ وبناتِ بني الإخوةِ جائزٌ ، وأنَّ سورةَ يوسفَ ليست من القرآنِ ، وأكثرُ من بسجستانِ ميمونية ، وعجاردة . وقيلَ ميمونٌ رجلٌ من أهلِ بلخ .

الخلافية: يقولون بالجبْرِ (١) ، ويخالفون الميمونية في العدلِ .

(١) أي أن الإنسان مجبور على كل ما يأتيه من خير وشر وليس له اختيار في أفعاله .

الحمزِيَّة : أصحابُ حمزة بن أدرك . يقولون .
بِالْعَدَل . وله فارقُوا الخليفة .

الْحَازِمِيَّة : وهم الشعبية أصلهم عجاردة ، وهم
أصحابُ شُعيب يقولون : إنَّ الولاية والعداوة صفتان
في ذات القديم . وهم مجبيرة .

المعلومية : مِن الْحَازِمِيَّة يقولون : مَنْ لم يَعْلَمْ
اللَّهَ بجميع أسمائه ، وعرفه ببعضها فهو عارفٌ به .

المجهولية يقولون : مَنْ لم يعلم الله عز وجل بجميع
أسمائه فهو جاهلٌ به .

الصلَّية : عَجَّارْدَة أصحابُ عثمان بن أبي
الصلَّات : يقولون : إذا استجاب الرجلُ للإسلام
برِثْنَا من أطفالهم حتَّى يُدْرِكُوا .

الشَّعَالِيَّة : عَجَّارْدَة ، وصاحبُهم ثعلبة ، خالفَ عبد
الكریم بن عجرد فيما قاله في الطفل .

الأخْنَسِيَّة : أصحابُ ، الأخْنَس يحرمون البنات ،
والغيلة ويقفون عَمَّن في دار التَّثْنِيَةِ حتَّى يعرفوه .

العَبْدِيَّة : رَأَوْا أَخَذَ زَكَاةَ أَمْوَالِ عِبِيدِهِمْ إِذَا
اسْتَغْنَوْا ، وَإِعْطَاءَهُمْ إِذَا افْتَقَرُوا .

الشَّيْبَانِيَّةُ أَصْحَابُ شَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ .

الزِّيَادِيَّة : أَصْحَابُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

الْعُشْرِيَّة : وَهْمُ الرَّثِيدِيَّة ، كَانُوا يَرَوْنَ فِيهَا اسْتِثْنَاءً
بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ نِصْفَ الْعُشْرِ ، وَخَالَفَتِ الزِّيَادِيَّةَ فِي
لِجَابِهَا الْعُشْرَ .

المَكْرُمِيَّة : أَصْحَابُ أَبِي مَكْرَمٍ . قَالَتْ : تَارَكَ
الصَّلَاةَ كَافِرٌ . وَمَنْ أَتَى كَبِيرَةً فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللَّهِ .
وَقَالَتْ بِالمُؤَافَاةِ .

* * *

الباب الثاني عشر

الغلط والتصحيح (١)

قال بعضهم : خَالِفْ تَدْ كُرْ . فقليل له : إنَّما هو
تَدْ كُرْ فقال ؛ : هذا أول الخِلاف .

وقرأ بعضهم في كتاب : أنَّ النبيَّ عليه السلام بَلَغَ
قَدِيداً ، وإنَّما بَلَغَ قَدِيداً (٢) .

وقرأ آخر : أنَّه كان يُحِبُّ العَسَلَ يومَ الجمعة ،
وإنَّما هو « الخُسْل » .

وقرأ آخر : أنه كان يكره النَّومَ في القِدْرِ ، وإنَّما
هو الثُّوم .

(١) التصحيح لغة : الخطأ والتحريف هو الخطأ كذلك ، غير أن
بعض الباحثين يرى التصحيح خاصاً بالخطأ الناشئ عن نقط الحروف
زيادة أو نقصاً . أما التحريف فخاص بالخطأ في حروف الكلمة تقدماً أو
تأخيراً أو صورة أو ضبطاً .

(٢) قديد . اسم موضع قرب مكة .

وقرأ آخر : ولا يرث جميل^(١) إلا بشينة ،
وإنما هو لا يؤرث جميل^(٢) إلا ببينة .

وقال آخر : إذا أردت أن تُنعظ^(٣) فادخل
المقابر ، وإنما هو تنعظ .

وقرأ رجل^(٤) على ابن مجاهد : بل عجننت ،
ويسجرون^(٤) . فقال : أحسنت ، مع العجن
يسجر التنور .

كتب صاحب الخبر بأصبهان إلى محمد بن عبد الله
بن ظاهر : إن فلانا القائد يتأبى من خرنخية ، ويقعاه
مع النساء فكتب إلى العامل : ابعث إلي بفُسلان وخرنخيته
فصَحَفَ القاري . وقرأ : وجز ليحيته ، ففعل ذلك
به ، وأشخصه .

- (١) هو جميل بن معمر صاحب بشينة التي أغرم بها وشب بها في
شعره وكان في أيام دولة بني أمية مثالا للفرل العذري العفيف .
(٢) الحميل : الذي يحمل من بلده صغيراً ولم يولد في بلد الإسلام .
(٣) أنعظ الرجل : علاه الشبق والرغبة في الجنس الآخر .
(٤) سجر التنور : أحماه . وهو يشير إلى الآية الكريمة « بل عجننت
ويسخرون » .

وكان كافي الكُفأة يكرهُ أن يكونَ في مخاطباتِ
النِّساء حراستها ونظرُها وعقائُها ، ويقول : لا يؤمنُ
أنَّ يُصحَّفَ فيقرأ : حراستها ، وعقائُها ، وبظُرُها .

وكان حمَّادُ الراويةُ (١) لا يقرأ القرآنَ فاستقرىء
فقرأ ، ولم يَزلْ إلاَّ في أربعة متواضِعَ : عذابِي
أصيبُ به منُ أساء . وما كان استِغفارُ إبراهيم لأبيه إلاَّ
مَوْعدة وعاءُها أباه . ومن الشَّجر وما يغرسون . بل
الذين كفروا في غيرةٍ وشقاق (٢) .

وقد روي أنه صحَّفَ في نيِّف وعشرين موضعاً
كلها متشابهة وأنا أذكرها جميعاً من بعدُ بإذن الله .

(١) حماد الراوية : هو حماد بن ميسرة . وقيل بن سبور مولى
بني شيبان ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
والسَّابها ولغاتها .

(٢) صحة الآيات :

« عذابِي أصيب به من أساء » سورة الأعراف : ١٥٦ .

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » سورة
التوبة : ١١٤ .

« ومن الشجر وما يعرشون » سورة النحل : ٦٨ .

« بل الذين كفروا في عزة وشقاق » سورة ص : ٢ .

غَضِبَ كَاتِبُ الْمُؤْمُونِ عَلَى غُلَامِهِ فَرَمَاهُ بِالْأَوَاقِ ،
وَشَجَّهَ ، فَأَجَابَ رَأَى الدَّمَّ يَسِيلُ قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى :
وَالَّذِينَ « (إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْمِرُونَ) » (١) . فَبَلَغَ
ذَلِكَ الْمُؤْمُونَ . فَأَنْتَبَهَ . وَقَالَ : وَيَاكَ ! أَمَا تُحْسِنُ أَنْ
تَقْرَأَ آيَةً مِّنَ الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ : بَلَى . وَاللَّهِ إِنِّي لَأَقْرَأُ
مِّنَ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ (٢) .

قَالَ بَعْضُهُمْ : قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الصَّلَاةِ :
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٣) .

فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ وَأَبُوكَ فِي طَرَفِي نَقِيضٍ . زَعَمَ
أَبُوكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، وَأَنْتَ قَدْ جَعَلْتَ رَبَّ
الْقُرْآنِ مَخْلُوقًا .

(١) صَحَّةُ الْآيَةِ « وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا
مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ » سُورَةُ الشُّورَى : ٣٧ .

(٢) وَجْهُ الْعَجَبِ فِي هَذِهِ الْإِجَابَةِ : أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ فِيهِ سُورَةٌ عَدَدُ
آيَاتِهَا أَلْفَ آيَةٍ .

(٣) صَحَّةُ الْآيَةِ « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » سُورَةُ الْعَلَقِ : ١ بِنَاءِ
خَلَقَ لِلْمَعْلُومِ .

وحكي أنَّ المحامايَّ (١) المحدث قرأ : وفاكهةً
وابَّأ (٢) . فقيل له : الألفُ مفتوحةٌ . فقال : هو في
كتابي محسوطٌ مضبوطٌ .

وحكي أنَّ ابنَ حاتم قرأ : فصيامَ ثلاثةِ أيامٍ في
الحجِّ وتسعةٍ إذا رجعتُم ، تلكَ عشرةٌ كاملةٌ (٣) .

كان اسمُ أبي العتاهية (٤) « زيدٌ » فنقش على
نحاتيه أيا زيد « ثق » فكانَ الناسُ يتنادُّونَه :
أنا زَيْدِي .

قال بعضهم : سمعتُ ابنَ شاهين المحدث في
جامع المنصور يقول في الحديث : نهى النبيُّ عليه السلام

(١) هو القاضي أبو عبيد الله الحسن بن إسماعيل بن محمد الضبي من
الثقات لم يكن أشد منه في عصره مع الصدق والستر والثوق . توفي ببغداد
سنة ٨٣٣٠ .

(٢) وصحة الآية « وفاكهة وأبا » سورة عيس : ٣١ .

والأب : الكلاء أو المرعى أو ما أنبت الأرض والحضر .

(٣) صحة الآية « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتُم »
سورة البقرة : ١٩٦ .

(٤) أبو العتاهية هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ولد
بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة . توفي سنة ٢١١ هـ .

عن شقيق الخطب . فقال بعض الملائحين : يا قوم ،
فكيف نعمل والحاجة ماسة ؛ وهو شقيق الخطب .

قال : وسمعتُه مرة أخرى وهو يفسر قوله تعالى :
« (وثيابك فطهر) » فقال : قيل لا تلبسها على غيرة .
وهو لا تلبسها على عذرة (١) .

وكان كيسان مستديلي ابن الأنباري ، وكان
أعشى القلب ، فسُمع ابن الأنباري وهو يقول :
كيسان يسمع غير ما أقول ، ويكتب غير ما يسمع
ويقرأ غير ما يكتب ، ويحفظ غير ما يقرؤه .

ومحكي عنه أنه كان يكتب ما يسمع في الخرف ،
ويجمعه في حب ، فاشترى راوية ماء فغاط السقاء
بين حب الماء وحب الخرف ، فصب الماء في حب
العِلْم فرأينا كيسان وقد وضع يده على رأسه ، وذهب
عالمه كلّه .

(١) عذرة : العذرة : الغائط وانظر سورة المدثر : ٤ .

وقالوا تقدّمتِ امرأةٌ إلى عمرَ فقالت : أبا غفّر
حفّصَ اللهُ لك (١) . فقال : مالك : أغفّرتِ ؟
قالت : صلّعتُ فرقتُك .

وروى أبو ربيعة المحدثُ أنَّ النبيَّ عليه السلامُ
كان يغسِلُ حَصَى الجمار . قيل : ولمَ ذاكَ يا أبا
ربيعة ؟ قال : كان يُظْهِرُ تواضُّعَه بذلك . والخبر أنَّه
« كان يغسِلُ حَصَى الجمار (٢) » .

قال بعضُ المحدثين : حدّثني فلانٌ عن فلان عن
سبعة وسبعين ، يريد عن شُعْبَةَ وسفيان .

كان « يزُدَا نفا ذار » فيه لُكْنَةٌ ، وكان يجعلُ
الحاءَ هاءً ، أمّامى على كاتبٍ له : والهاصلُ ألفٌ كُـرٌّ .
فكتبها الكاتبُ بالهاء . كما لَشَطَّهَا ، فأعادَ عليه الكلامَ ،
فأعادَ عليه الكاتبُ الكتابَ ، فلما فطن لاجتماعهما على

(١) صحة العبارة أبا حفص غفر الله لك .

(٢) حصا الجمار : الحصيات التي يحذفها الحاج في منى يرمي بها
الجمار الثلاث وهذا الرمي أيام العيد من مناسك الحج .

الجهل ، قال : أنت لا تُهَسِّن تكتب . وأنا لا أهَسِّنُ
أُملي . فاكتب : الجاصل ألف كر فكتبها بالجم معجمة .

قالت أم ولد لحرير لبعض ولدها : وقع الجرذان
في عجان أمكم . أبدلت الذال دالاً وضمت الجيم ،
وجعلت العجين عجاناً . وإنما أرادت وقع الجرذان في
عجين أمكم .

وروى آخر : عم الرجل ضيق أبيه (١) . وإنما
هو صنو .

وروى آخر : لعين اليهود ، حرمت عليهم الشحوم
فحملوها . وإنما هو فحملوها (٢) ، أي أذابوها .

وروى بعضهم : أن الحارث (٣) بن كلدة كان
يقول الشمس تُثْقِلُ الريح ، وإنما هو تَنْفُلُ الريح (٤)

(١) هذا حديث عن النبي عليه السلام . والصنو المثل .

(٢) جمل الشحم : أذابه .

(٣) الحارث بن كلدة من أحلق أطباء الجاهلية وهو من بني ثقيف
من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب من جند يسابور . وقد
أدرك الإسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه وقد
توفي سنة ٨١٣ .

(٤) الشمس تنفل الريح يقال تفل يتفل - كفرح يفرح - بمعنى تغير
والمعنى هنا تغير الشمس رائحة الريح .

وقالوا : كان يجلسُ في مَقْشَاةٍ . وإنما هو في مَقْنَاةٍ (١) .

ورَوَوْا : أنه نُهيَ عن لبسِ القَسِيِّ وإنما هو القُسِّيَّ (٢) لضربٍ من الثياب .

ورَوَوْا : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يده سَخْلَةٌ (٣) تبعر . وإنما هو تَبْعَرٌ من اليبعار . وهو صوتُها .

قال بعضهم : قال الرياشي (٤) لي يوما - وقد جئتُ من مجلس ابن أبي الشَّوارب : أرني ما أُملي عليكم ، فأريتهُ ، فمرَّ به هذا الحديثُ : آخر ما يجازفُ به المؤمن عَرَقُ جَبِينِهِ .

(١) المقناة : المكان الذي لا تكاد تُمِيب عنه الشمس .

(٢) نُهيَ عن لبسِ القسي وإنما هو القسي وذلك لأن القسي هو الدرهم الزائف أما القسي فهو جمع قوس آلة النبل .

(٣) السخلة : ولد الشاة .

(٤) الرياشي : هو أبو الفضل العباس بن الفرّج الرياشي اللغوي .

فقال الرياشي : ما أحوج هؤلاء إلى بعض عنايتنا إنما
إنما هو يُحارفُ ، والحريفُ : الشريكُ ، يقالُ :
فلان حريفُ فلان ، أي شريكه ومُحاسبه .

وقال بعضهم : حضرت رجلاً من الكُبراء ، وقد
قرأ في المصحف : يا عيسى ابنَ مريم اذكرُ نِعْمتي
عليك وعلى والديك (١) .

وقرأ بعضهم : والعاديات صُبْحاً (٢) .

وقال آخر : فكذبوهما فغدرنا بثالث (٣) .

وقيل : إنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله
على المدينة : اخصِ المخنثين . يريدُ : عُدَّهم .
فقرأ الكاتب : اخص ، فخصَّاهم .

ومنه : أُنْجِلَه التَّصْحِيفُ في مجالس الخلفاء
أحمد بنُ أبي نخلد وزير المأمون ، فإنه حضر مجلسه

(١) صفة الآية : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
وعلى والدتك » سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) صفة الآية « والعاديات صبحاً » سورة العاديات : ١ .

(٣) صفة الآية « فكذبوهما فعزنا بثالث » سورة يس : ١٤ .

للهمّ ظالم يقرأ عليه القصص ، وكان فهماً ، فمرت به
 قصة "مكتوب" عليها : فلان البريدي (١) ، فقرأها :
 الشريدي فقال المأمون أبو العباس جائع . هاتوا له ثريدة .
 فقدمت إليه ، وأكثرهه على أكلها ، وغسل يده ،
 وعاد إلى أن تصفح القصص ، فمرت به قصة "مكتوب"
 عليها : فلان الحمصي (٢) فقرأها : الحبيصي . فقال
 المأمون : كان غداً أبي العباس غير كاف ، لا بد
 للثريدة من أن تتبع بخبيصة (٣) ، فقدمت إليه ، وأكلها .

* * *

(١) البريدي : أي صاحب البريد .

(٢) الحمصي : منسوب إلى حمص إحدى مدن الشام .

(٣) الخبيصة : طعام يصنع من التمر والسمن .

ونذكرُ الآنَ بعضَ ما أُخِذَ على العلماءِ مِنَ التَّصْحِيفِ

قالَ كَيْسَانُ : سمعتُ أبا عبيدةَ ينشدُ (١) :

ما زالَ يَضرِبُنِي حتَّى نَحَزَيْتُ لَهُ

ومحالَ من دُونِ بَعْضِ البَغِيَةِ الشَّفَقِ (٢)

قالَ : فقلتُ خَزَيْتُ خَزَيْتُ ؟ ؟ ، وضحكتُ ،

فغَضِبَ وقالَ : فكيفَ هُوَ ؟ قلتُ : إِنَّمَا هُوَ خَذَيْتُ .

قالَ : فَانْخَزَلْ ، وما أحرارَ جَوَاباً .

ورَوَى أيضاً أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْيَاتَ لَقِيَطِ (٣) فِي يَوْمِ جَبَلَةِ

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولى بني تميم من قريش . ولد سنة ١١٠ هـ وهو أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم ، وله مؤلفات كثيرة .

(٢) البيت لأبي شجرة . والتصحيف في خزيت . والرواية : خذيت بمعنى خضعت .

(٣) لقيط بن زرارة من أشراف تميم وفرسانها وقد قتل في يوم جبله بعد أن تم النصر فيه لعبس وعامر على تميم وغطفان .

يا قَوْمٌ قد حَرَقْتُمُونِي بِاللَّوْمِ
ولم أَقاتِلْ عامِراً قَبْلَ اليَوْمِ
سَيَّانَ هَذَا والعَيْنَانِ والنَّوْمُ
والمَشْرَبُ البَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ
وقال يعني فِي ظِلِّ نَخْلِ الْمُقْلِ (١) : فقال الأَصْمَعِيُّ :
قد أحوال ابنُ الحائِكِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِنَجْدِ دَوْمٍ . وجِبِلَةٌ
بِنَجْدٍ ؛ وإِنَّمَا الرِّوَايَةُ فِي الظِّلِّ الدَّوْمُ ، أَيِ الدَّائِمِ .
وروى الأَصْمَعِيُّ بَيْتَ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ (٢)
أَجَوْنُ تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقَيْرٍ لَهَا
وأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ جَوْنًا سَيَفْعَلُ
فقال ابنُ الأَعرابي : صَحَّفَ الدَّعِي ؛ إِنَّمَا هُوَ
تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقُرَابِهَا . أَيِ مَادَمْتُ أَطْمَعُ فِيهَا . وَفِي
مَثَلٍ لِلْعَرَبِ : « الْفِرَارُ بِقُرَابِ أَكَيْسٍ » (٣) .

-
- (١) المقل : ثمر الدوم .
(٢) أوس بن حجر ، من نُمير أحد بطون تميم من فحول الشعراء
الجاهليين .
(٣) المثل لحابر بن عمر المازني . ومعنى القراب : الغمد .

وروى بيت الحارث بن حلزة (١) .

عَمَتَا بَاطِلًا وَظُلُمًا كَمَا تُعَتُّ

ز عن حَجْرَةِ الرَّبِيعِ الطَّبَاءُ

وقال : العَمَزَةُ : الْحَرْبَةُ يُسْتَحَرُّ بِهَا . فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو

عَمْرُو وقال : إِنَّمَا هُوَ تُعَمَّتَرُ ، مِنَ الْعَمْتِيرَةِ وَهِيَ ذَبِيحَةٌ

الصَّيْمِ (٢) .

وروي بيت الحطيئة :

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنْ لَكَ لَا تَنِي بِالضَّيْفِ تَأْمُرُ

وقال أبو عمرو : إِذَا صَحَّفْتُمْ فَصَحَّفُوا مِثْلَ

تَصْحِيفِهِ وَإِنَّمَا هُوَ لَا بِنَ بِالضَّيْفِ تَأْمِيرٌ .

وروي بيت عنبرة (٣) :

(١) الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل ، اشتهر بمعلقته التي أولها :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِيْلٍ مِنْهُ الثَّوَاءُ

(٢) ومعنى البيت : إِنَّكُمْ تَأْخُذُونَنَا بِدَتَبٍ غَيْرَتَا كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا

وَجِبَ عَلَيْهَا نَذْرٌ فِي شَائِهَا ذَبَحَتِ الطَّبَاءَ مَكَانَهَا ، فَتَظْلِمُهَا بِذَلِكَ . وَالتَّصْحِيفُ

ظَاهِرٌ بَيْنَ تَعَتَّرَ وَتَعَارَ .

(٣) هو عنبرة بن شداد العبسي نسبة إلى عبس من قيس وهو من الشعراء

الفرسان الشجعان .

وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَجْرَ رُوحِي
وَفِي الْبَجَلِي مِعْبَلَةٌ وَقِيَعُ

فَقَالَ كَيْسَانُ لَهُ : إِنَّمَا هُوَ فِي الْبَجَلِي — بِإِسْكَانِ
الْجِيمِ — مَنْسُوبٌ إِلَى بَحْلَةٍ بَطْنُ مَيْنَ بَنِي سُلَيْمِ
وَرُوي لَدَى الرُّمَّةِ (١) :

عَيْنُ "مَطْحَلَةٍ" الْأَرْجَاءِ طَامِيَةٌ
فِيهَا الضَّفَادِعُ وَالْحَيْتَانُ تَصْطَخِبُ
فَقِيلَ : هُوَ يَصْطَخِبُ ، لِأَنَّ الْحَيْتَانِ لَا تَصْطَخِبُ ،
وَلَا صَوْتَ لَهَا .

وَرُوي لِرُؤْيَا :

« شَطَاءُ تَسْوِي الْغَيْظِ حِينَ تَرَامُ »

فَقِيلَ : إِنَّمَا هُوَ تَسْوِي ؛ أَيِ تَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَوِّ (٢)

(١) ذُو الرَّمَّةِ : هُوَ غِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ نَهَيْسٍ مِنْ مَضَرَ وَيَعَدُّ مِنَ الشُّعْرَاءِ
الْمُتَمِيمِينَ وَصَاحِبَتِهِ مَيْةُ بِنْتُ مِقَاتِلِ الْمُنْقَرِي .

(٢) الْبَوُّ وَلَدُ النَّاقَةِ ، وَبِجِلْدِ الْبَوَارِ يُخْشَى ثَبْنًا أَوْ تَمَامًا فَيَقْرَبُ مِنْ أُمِّ
الْفَحْصِيلِ فَتُعْطَفُ عَلَيْهِ فَتُدْر .

زوى أبو عمرو بن العلاء بيت امرئ القيس (١)
تأوَّبني دائي القديمُ فغلَّسنا

أحاذرُ أن يشتدَّ دائي فأنكسنا

فقال أبو زيد : هذا تصحيفٌ لأنَّ المتأوَّب لا يكونُ
مغلَّساً في حالٍ واحدةٍ لأنَّ غلَّس : أقي في آخر الليل ،
وتأوَّب جاء في أوله ، وإنما هو مغلَّساً ، أي اشتدَّ
وبرح .

وروى المفضل للمخبِّل (٢) :

وإذا ألمَّ خيالُها طرقتُ

عينني فماءُ شؤونها سَجَمُ

(٣) وامرؤ القيس أشهر شعراء الجاهلية وقد توفي بالحدري سنة ٥٤٠ هـ

قبيل ميلاد الرسول .

(٣) المفضل الضبي بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي ، أبو
العباس أديب نحوي لغوي عالم بالشعراء وأيام العرب ، من أهل الكوفة
لزم المهدي العباسي وعمل له الأشعار المختارة المسماة (المفضليات) وقد
ولد سنة ١٦٨ هـ .

فقال له خالف^١ : إنما هو طُرِفَتْ عَيْنِي .
فرجع عنه^٢ .



(٤) خلف الأحمر : هو خلف بن حيان وقد أخذ الأصمعي وسائر
أهل البصرة عنه ، وكان له قوة عجيبة على تمييز الأشعار وتعيين أصحابها .

هذه حروفٌ وكلماتٌ من المُصَحَّفِ
الذي يستعمله الناسُ عَمْدًا لا سهواً

كتب أبو تمام (١) الطَّنَّانِي رُقعةً إلى محمد بن عبد الملك
ابن صالح يسأله فيها مُحالاً ، وكتب على عُنوانها
« حبيب »

فأخذه محمد ونقطه « خبيث » .

ورفع آخر رُقعةً إلى محمد بن عبد الله بن طاهر (٢) ،
وعليها « خريث بن الفارس » وكان اسم الرجل ، فجعلته
محمد « خريث في الفراش » وكتب تحته : « بئسما
فعلت » .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطنَّاني ، واد بمنبج في بلاد الشام
وجاء مصر صغيراً فجالس الأدباء بجامع عمرو ، فأخذ عنهم وتعلم ، وكان
فطناً فهما بالشعر .

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب
بغداد . كان جواداً ، جيد الشعر . مات بإلحوايق سنة ٥٢٣ هـ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ : أَعْتَصِرُ .
أَخْرِجُ ، أَبَادِرُ . فَقَالَ الْحَسَنُ : كَذَبُوا عَلَيْهِ ؛ مَا كَانَ
ذَلِكَ . يَرِيدُ السَّائِلُ : أَعْتَصِمَانُ أَخْرِجْ أَبَا ذَرٍّ ؟

وَمِنْ تَصْغِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ : مَتَدَاثِمِل . يَرِيدُ :
مَنْ مَلَّ مَلَّ .

وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا لِطَبَّائِهِ لَهُ فَارَسِي : حَاسِبَتْ
رَشِيد . فَقَالَ : زِنْ نَبِيذ .

أَرَادَ الْمُعْتَصِمُ : جَاءَ شَتِّيت رَسِيد ، أَيِ أَدْرَكَ غِلَاؤُكَ .
وَقَالَ الْآخَرُ : رَسِيد ، أَيِ أَدْرَكَ .

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ يَوْمًا لِيَحْيَى بْنِ مَاسُوِيَّةَ : بَعَثْ بَيْتِي
بِقَصْرَيْنِ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : أَخَّرَ الْغِلَاءَ . أَرَادَ الْمُتَوَكِّلُ :
تَحَشَّيْتُ فَضْرَنِي . فَأَجَابَهُ ابْنُ مَاسُوِيَّةَ بِالْعَلَّاجِ .

» * »

ومن هذا الجنس حروف وكلمات من المصحف عمداً لا سهواً

الحنصر : الحب ضر . متى ألج بيت هند ؟ :
 ميت الحب شهيد . نرجس طري : برح بي نظري .
 بمطرف تستري : نسم طرقي بسري . طست حسن :
 طيبي : حبيبي . القبعثري وحلبس (١) : ألفت
 غييري وخاليتني . فنعت بتكفيلي : في عينيك قتلي .
 وحموه حدك بشأني : حمر خدك سباني . نخشخاش (٢) :
 حبيب خائني . ميشمشة ثقيلة : من ينتم ينتميه
 بقبلة . صينيئة حسنة : صب نبيه حبيبته . مخبرة أبوس :
 مسح زها يبوس .

(١) القبعثري ، بالقصر : من معانيها : الحمل العظيم ، الفيصل
 المهزول - والحلبس - بوزن جعفر : الشجاع ، والأسد ، والملازم للشيء .
 (٢) الخشخاش : منوم ، مخدر ، مبرد ، وقشره يفيد في قطع الإسهال .

كلني بيديناك فبعثني بحبتيين : كلُّ شيء منك في
 عيني حسن . لبَّ سرجٍ مُضِرِّي : ليس ترحم ضُرِّي .
 مسعود : متى تعود ؟ . الثَّوبُ يمانِي بثوب : الثَّوْتُ
 ثم استوت . سعيد بن جبير (١) : نَبَّتٌ عند فرجس .
 فروج مُسَمَّسٍ بحبته : تودُّ جَمَشَ (٢) مَنْ تُحبه .
 تحت الفيل مِرْوَحَةٌ خَيْشٌ : تحبُّ القُبْلَ مِنْ وجهه
 حسن . حَبَشٌ بن حنين : حبيبي بتَّ بخير . سكَباج (٣) :
 ثيابك (٤) باخ . كشكِيَّةٌ : كنتُ نكتة . قَانَسُوهُ
 نحضرنا : قلبي يتوهجُ ضُرًّا . لمازح مَقَالٌ يَغْمُ : لما
 رَحِمَ قال : نعم .

* * *

-
- (١) سعيد بن جبير : كان كاتباً وزيراً لأبي بردة بن أبي موسى
 الأشعري بأمر الحجاج الثقفي .
 (٢) الجمش : المفاضة .
 (٣) السكَباج : طعام يصنع من اللحم والمرق ، وهو معرب (سكبا)
 بالفارسية ، .
 (٤) الثني : العطاقة والقوة . وباخ : سكن . والمعنى : سكنت قوتك .

الباب الثالث عشر

نوادِرُ من النحو واللحن (١)

سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قرأ ،
فلحنَ . فقال : أرشدوا أناكم .

قال الأَصمَعِيُّ : قلتُ لآبِي مَهْدِيَّةَ (٢) : كيف
تقولُ : لا طيبَ إلاَّ المسكُ ؟ قال : فأينَ أنتَ عن العنبرِ ؟
قلتُ : فقلْ لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ . فقال : أينَ أنتَ
عن البانِ ؟ قلتُ : قلْ لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ
والبانُ . قال : فأينَ أنتَ عن أدهانِ (٣) محمَرِ
قال قلتُ : فقلْ لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ والبانُ وأدهانِ
محمَرِ . قال : فأينَ أنتَ عن فارةِ (٤) الإبلِ صادرةٍ ؟

-
- (١) النوادر : لون جميل من التعبير الأدبي تفتن فيه الأمم ، ويتبارى
في حلته أصحاب الصناعات وكلما كانت النادرة غير مصطنعة ، ولا متكلفة ،
كانت أجلب للسرور ، وأمتع للنفس ، وأجدر أن يتناقلها الأفراد والجماعات .
(٢) أبو مهديّة : أعرابي ، صاحب غريب ، يروي عنه البصريون .
(٣) أدهان محمر : نوع من العشب أطيب رائحة من غيره .
(٤) الفارة : المسك . وقد تخفف (الفارة) .

عميلٌ بعضُ النّحويّين كتاباً في التّصغير ، وأهداهُ
إلى رئيس كان يختلفُ إليه ، فنَقَصَ عطيتَه ، فصنّف
كتاباً في العطف ، وأهداهُ إليه ، وكتبَ معه : رأيتُ
بابَ التّصغير قد صغّرني عند الوزير ، وأرجو أن يعطيهُ
عليّ باب العطف .

سمعتُ الصّاحبَ - رحمه الله - يقول : كان سببُ
انصال ابنِ قريّة (١) القاضي بالوزير أبي محمد الملهاسي
أن ابنَ قريّة كان تيسّم رحي له ، فرفعَ إليه حساباً ،
فيه درهمان ودانقان ، وحبّتان ، فدعاهُ ، وأنكرَ عليه
الإعرابَ في الحساب .

فقال : أيّها الوزير ، صارَ لي مايبعا ، فليستُ أستطيعُ
له دَفْعاً . فقال : أنا أزيلُه عنك صَفْعاً ه ه ثم استدناهُ
بعد ذلك ، وقربَه .

قال نحوي لرجل : هل ينصرفُ إسماعيلُ ؟ قال :
نعم . إذا صليتَ العشاءَ فما قُعوده ؟

(١) أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريّة ، قاض ، من أهل بغداد .

وحكي أن جماعةً عند محمد بن بحر (١) اختلّوا في بناء سراويل ، فدخل البرقي وقال : فيم كنتم ؟ قالوا : في بناء سراويل . فما عندك فيه ؟ قال : مثل ذراع البكر أو أشد .

قال النوشجان (٢) : حضرت مجلس المبرد ، فسمعنا واحداً يقول : في حرام أصبهان .

فقال أبو العباس : هذا قد شتمك على مذهب قول الله تعالى : « واسأل القرية » (٣) .

سمع ذو الرمة رجلاً يقول : على فلان لعنة الله . فقال : لم يرض بواحد حتى شفّعها بأخرى . وذلك أنه لما سمعته مفتوحاً قال : أنه أراد التثنية : لعنتا الله .

قيل لرجل كان يكثّر اللحن في كلامه : لو كنت إذا شككت في إعراب حرف تخلصت منه إلى

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، وال من أهل أصفهان ، توفي سنة ٣٢٢

(٢) النوشجان : علم فارسي .

(٣) سورة يوسف : ٨٢ . ومعنى اسأل القرية : أي أهل القرية .

غيره . مِّنْ غَيْرِ أَنْ تُزِيلَ المعنى عن جهته ، كان الكلامُ واسعاً عليك . فلتَقِي رجلاً كان مشهوراً بالأدب . فأراد أن يسأله عن أخيه ، وخشي أن يأنحَن في مخاطبته ، فذهب إلى أن يتخلَّص عنده نفسه إلى الصواب . فقال : أخوك ، أخيك ، أخاك ههنا ؟ فقال له الرجلُ : لا ، لَو ، لي ، ماهو حاضر .

وقف نحوي على صاحب باذنجان ، فقال له : كيف تبيعُ ؟ قال : عشرين بدانق . قال : ماعليك أن تقول : عشرون بدانق ! ! فقدّر أنّه يستزيدُه . فقال : ثلاثين بدانق . فقال : وماعليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زالَ على ذلك إلى أن بلغَ تسعين . فقال : وماعليك أن تقول : تسعون ؟ فقال : أراك تَدورُ على المائتون ، وهذا مالا يكون .

ومر نحوي بقصّاب — وهو يسْلُخُ شاةً — فقال : كيف المستطرقُ (١) إلى درْبِ الرّسّين ؟ فقال القصّابُ : اصبر قليلاً حتى يخرجَ الكرّشُ ، وأدلك على الطّريق .

(١) أي كيف الوصول إلى تجار لحم الرؤوس . والرّأسون القصّابون الذين يبيعون لحم الرأس .

وقدّم نحوي خَصَمًا له إلى القاضي ، وقال له :
لي عليك مائتان وخمسون درهماً .

فقال لخصمه : ماتقول ؟ فقال : أصالح الله القاضي ،
الطلاق لازم له إن كان إلا ثلاثمائة . وإنما ترك
منها خمسين ليُعالم القاضي أذه نحوي .

قدم رجلٌ على بعض الولاة ، فقال له : من أين
أقبلت ؟ قال : من أرض الله . قال : وأين تريد ؟ قال :
بيت الله . قال : وميمّن أنت لا أمّ لك ؟ قال : من
« تيم » الله . فأمر بوجسي عُنُقِه . فقال : بسم الله .
فقال : اتركوا ابن الخبيثة . فاو ترك الرفع وقتاً تركه
الساعة .

قال أبو العيّناء : دخل رجلٌ إلى عليل : فقال له :
لا إله إلا الله ، وإن شئت لا إله إلا الله ، والأولى أحبُّ
إلى سيبويه (١) . فقال أبو العليل : محرمني الله أجره إن
لم يكن مشهدك له أشدّ عليّ من موته .

(١) سيبويه : من الموالي ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، نشأ
بالبصرة ، وتعلم الفقه ، ثم طلب النحو حتى برع فيه وألف كتابه الذي
لم يسبق إليه ، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى صار لفظ « الكتاب » علماً عليه .
وقد توفي سيبويه سنة ١٨٣ هـ .

قال رجلٌ لآخر : تأمرُ « بشيئا » ؟ قال : بتقوى الله ،
وإسقاط الألف .

قال ختلفٌ : قلتُ لأعرابيٍّ : ألقى عليك بيتاً ؟
قال : على نفسك فألقى .

قال رجلٌ من البلديين لأعرابي — وأراد مسأله
عن أهله — كيف « أهليك » ؟ .

قال بكسر اللام فقال الأعرابي : صلاتاً (١) . لأنه
أجابته على فهميه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله .
سئل نحويٌّ عن تصغير عبّيد الله . فقال : ليس
في سجدي السهو سجور (٢) .

وذكر أن معاوية قال : كيف أبو زياد ؟ فقالوا :
ظريفٌ علي أنه يلحن .

فقال : أو ليس ذلك أطرب له ؟ أرادوا اللحن الذي
هو الخطأ . وذهب معاوية إلى اللحن الذي هو الفطنة .

(١) الصلب : قتلة معروفة ، وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه
على جذع .

(٢) يريد أن المصغر لا يصغر ، كما أن الساهي عن سجدي السهو
لا يسجد للسهو .

قالوا : كان سبب عمل أبي الأسود الدؤلي (١) النّحو وهو أول من وضعه ، وقيل إنّ أمير المؤمنين عليه السلام - جعل له ميثاقاً فبنى عليه واحْتِذَاهُ - أن أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسوله (٢) » بالخفض . وسمع ابنته تقول : ما أطيب الرُّطَب ؟ وهي تريد التَّعْجَب ، وظنَّ أنها تريد الاستفهام ، فعمل شيئاً من النّحو ، وعرضه على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : ما أحسن هذا النّحو الذي أخذت فيه . فسُمِّيَ فُحْوًا .

مرَّ الشعبيُّ بناس من الموالي يتذاكرون النّحو ، فقال : لئن أصلحتموه إنَّكم لأوَّل من أفسده .

وروي أن الحجاج قرأ : إنا من « المجرمون (٣) » مُتَّقِمُونَ .

(١) أبو الأسود الدؤلي : هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس ... وهو من وجوه النابغين وفقائهم ومحدثيهم . وهو الأصل في وضع علم النّحو وعقد أصوله .

(٢) سورة التوبة : ٣ . وصحة اللفظ رفع رسوله بدلاً من الخفض وأول الآية : « وأذان من الله ورسوله ... » .

(٣) صحة الأيد « إنا من المجرمين متقّمون » . سور السجدة : ٢٢ .

وكان محمد بن سليمان يقول في خطبته : إن
الله وملائكته (١) يرفع الملائكة . فقيل له في ذلك .
قال : فخرّجوها لها وجهها ، ولم يدع الرفع .

* * *

(١) صحة الآية : «إن الله وملائكته» بفتح التاء سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الرابع عشر

نَوَادِرُ الْمُخَنَّثِينَ (١)

قال بعضهم : شهدتُ مجلساً فيه قينةٌ تغني ، فذهبتُ
تتكلفُ صيحةً شديدةً فانقطعت . فصاحتُ من الخجل :
للصوص اللصوص . فقال لها مُخَنَّثٌ كان في المجلس :
والله يا زانيةُ ما سُرِقَ من البيت شيءٌ غيرُ حلقِيكِ .

استوهب رجلٌ من مخنَّث في الحمامِ خيطمياً (٢) ،
فمنعته . فقال : سبحان الله ! ! تمنعني الخطمي وقميرُ
منه بدرهم ؟ فقال المخنَّث : فاحسبُ حسابك أنت
على أربعة أقمرة بدرهم ، كم يصيبك بلا شيء ؟
قال المتوكل ليعبادة : ماتقول في تطبيل سَمانِ
المخنَّث ؟ قال : هو حسنٌ ، واكنَّه مثلُ الهَيْضَةِ (٣)
يأني بأكثر مما يحتاجُ إليه .

(١) المخنثون : هم الذين يتشبهون بالنساء ، فيتكسرون في مشيتهم
ويلينون في أحاديثهم ، ويبالغون في رقتهم .
(٢) الخطمي - بفتح الخاء وكسر هـ - ضرب من النبات يغسل به .
(٣) الهَيْضَةُ : معاودة الهم والحزن ، والمرضة بعد المرضة .

سمع آخرُ رجلاً يقولُ : دعَا أبي أربعةَ أنفسٍ ،
وأنفقَ عليهم أربعَ مائةَ دينارٍ ، فقال : يا ابنَ البَغِيضَةِ
لعلَّه ذَبَحَ لهم مُغَنِّيتَيْنِ ، وزامرةً ، وإلاَّ فأربعَ مائةٍ
في « أَيُّش » أنفقَها ؟

قال شيخٌ لقرقر المَخْنَثِ : أبُو مَنْ أنت ؟ قال :
أمُّ أحمد . فديتُك ! !

تاب مَخْنَثٌ ، فلقبه مَخْنَثُ آخرُ ، فقال : يا أبا
فلان : أَيُّش حَالُكَ ؟ قال : قد تَبْتُ .

قال : فمن أين معاشُك ؟ قال : بقيتُ لي فضيلةٌ
من الكَسْبِ القديمِ فأنا أتمزُّزُ لها (١) .

قال : إذا كانت نفقتُك من ذلك الكَسْبِ فالحِمُّ
الخنزيرِ طرىٌ خيرٌ من قديدٍ .

رأى عبادةً دابةً مُخَارِقٍ — وهي تُقرمِطُ مَشْيَها (٢) —
فقال : يامخارقُ برذونُك هذا يمشي على استحياء .

(١) أتمزز : يقال : مزه بمعنى مصه والتمزز : تمصص الشراب
فليلاً قليلاً .

(٢) دابة تقرمط مشيها : القرمطة : مقارنة الخطو ، ومعنى تقرمط
مشيها : تقارب في خطوها ، وهذا كناية عن بطء سيرها .

قُدِّمَ إلى عُبادةٍ رَغِيفٍ يابِسٍ ، فقال : هذا نُسِيجٌ
في أيامِ بني أُمَيَّةٍ واكُنْ بلا طراز .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إلى مسجدٍ صَغِيرٍ اطِيفٍ ، فقال لآخر :
أما تريدُ هذا المسجدَ ؟ ما أَمَلَحْتَهُ ، لا يَصْلِحُ واللَّهِ إِلَّا
أنْ يُحْمَلَ في السَّفَرِ .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إلى رجلٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ
يَمْشِي وهو يَتَبَخَّثِرُ ، فقال : انظروا إلى مَشِيَّةِ مَنْ
خَدَعَ أَبَاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

تَقَرَّى (١) مَخْنَثٌ فَاتَى جَبَلَ (٢) لُكَّامٍ عَلَى أَنْ
يَتَعَبَّدَ فِيهِ ، فَأَخَذَ زَادَهُ وَصَعِيدَةً ، وَسَارَ عَلَى سَهْلٍ ،
فَنَفِدَ زَادُهُ وَجَلَسَ قَدْ أَعْيَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجَبَلِ مَسَافَةٌ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى أَسْفَلٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَطَعَ
أَكْثَرَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْجَبَلِ وَقَالَ : وَاشْمَاتَنِي بِكَ فِي يَوْمٍ
أَرَاكَ كَالْعِيْهِنِ الْمُنْفُوشِ .

جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَجْلَسٍ - وَمَعَهُمْ مَخْنَثٌ - وَقَالَ

(١) تَقَرَّى : تَتَبَعَ .

(٢) جَبَلٍ لُكَّامٍ - بَضْمٌ أَوَّلُهُ : جَبَلٌ بِالشَّامِ .

رجلٌ منهم : أنا أَشْتَهِي كَشْكِيَّةَ حَمَامِيضَةٍ ، وَضَرْطَ .
فَقَالَ الْمَخْنَثُ : قَطَعَ اللَّهُ ظَهْرَ الْكَشْكِيَّةِ : مَا أُسْرِعَ
مَا تَنْفُخُ الْبَطْنَ !!

لَقِيَ مَخْنَثٌ آخَرَ لِيُودِّعَهُ ، فَقَالَ : أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى
بُعْدِ سَفَرِكَ ، وَانْقِطَاعِ أَثَرِكَ ، وَشِدَّةِ ضَرْبِكَ .
فَقَالَ لَهُ : أَنَا أُسْتَوْدِعُكَ الْعَمْسَى . وَالضَّنَى ، وَانْقِطَاعَ
الرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ .

وَقَالَ مَخْنَثٌ لآخر : أَرَانِي اللَّهَ فِي وَجْهِكَ السَّاطُورِ ،
وَفِي عَيْنَيْكَ الْكَافُورِ ، وَفِي شِقِّ اسْتِكَ النَّاسُورِ (١) .

قَالَ عَلَّانُ شَيْدُقٍ — وَكَانَ قَبِيحاً جَدّاً — مَرَرْتُ
بِمَخْنَثٍ يَعْزِلُ عَلَى حَائِطٍ ، فَقَالَ لِي : مِمَّنْ أَتَيْتَ ؟
قُلْتُ : مِمَّنِ الْبَصْرَةِ . فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !! تَغْيِيرُ
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى هَذَا !! كَانَتْ الْقُرُودُ تُجْلِبُ مِنْ
الْيَمَنِ . الْآنَ تَجِيءُ مِنَ الْعِرَاقِ .

وَحِجَّ بِمَخْنَثٍ فَرَأَى إِنْسَاناً قَبِيحاً يَرْمِي بِالْحِجَارِ ،
فَقَالَ لَهُ الْمَخْنَثُ : يَا أَبِي أَنْتَ بِرَيْبٍ أَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ

(١) وَالنَّاسُورُ مَرْفُوعٌ مَعْرُوفٌ .

تعودُ إلى هذا المكان . قال : ولمَ ؟ أَلستُ مسلماً ؟
قال : بلى ، ولكنْ لا أرى لك أن تبسُخل على أهل النار
بهذا الوجهِ .

نظرَ مُخَنَّثٌ إلى رجلٍ قصيرٍ على حِمَارٍ صَغيرٍ ،
فقال : هُما توأمان .

وقال بعضُ المخَنَّثين : كان لي أستاذٌ مخَنَّثٌ
يقالُ له زائدةٌ ، فمات . فرأيتُهُ في النَّومِ فقمتُ له : ما فعل
اللهُ ربُّك بك ؟ قال : أدخلني النار .

قلت : فمَن تورُّك (١) فيها ؟

قال : هيَّات !! انقلبتُ المسألةُ أنا « تورُّ » فيرعون .
ركبَ المتوكِّلُ يوماً زللاً (٢) ومعه جماعةٌ ،
فعصفت الرِّيحُ ، وفزعَ الناسُ . فقال عبادة . يا أميرَ
المؤمنين . أما كنيزٌ (٣) دُبَّةٌ فإنه لا يخافُ الغرق . فقال
المتوكِّلُ : وكيفَ ذاك ؟

(١) التور : من معانيه الرسول بين القوم .

(٢) الزلال : نوع من السفن .

(٣) كنيز : مغن مشهور في عصر المتوكل العباسي .

قال : لأنه يسبحُ على رَقٍّ . وكان كنيزٌ مخنثاً آدر (١)
 كان بعضٌ ولد الفضل بن الربيع يتخنثُ ، فوكل
 به أبوه غلاماً يمنعُه مِن نَتْفِ لحيته ، فبات ليلة .
 فلما أصبح رآه ميتوف اللحية ، فقال : أهاكُتني - واللّه -
 أين لحيّتك ؟ قال .. « (فطاف عليها طائفٌ مِن رَبِّكَ
 وهمُ نائمون . فأصبحتُ كالصريم) » (٢) .

أدخل مخنثٌ على العُريّان بن الهيثم - وهو أميرُ
 الكوفة - فقالوا : إنه يفعلُ ويصنعُ . فقال له العريانُ :
 يا عدوّ اللّهِ . لمَ تفعلُ هذا ؟ قال : كذبوا عليّ -
 أيها الأمير - كما كذبوا عليك . فغضب العريانُ ،
 واستوى جالساً ، وقال : وما قيلَ فيّ ؟ قال : يُسمّونك
 العُريّانَ . عليك عِشرون قطعة ثياب . فضحك . وخلاه .

قال هيت (٣) المخنثُ لِعُمَرَ بن أمّ سلمة : إن
 فتحَ اللّهُ عليكم الطائِف (٤) فسلّ رسولَ اللّهِ صلى

(١) وكان آدر : الآدر : من يصيبه فتق في إحدى خصيه .

(٢) سورة القلم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) هيت المخنث : أحد المخنثين المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم

(٤) الطائف من نواحي مكة المكرمة ، وجوها جميل وبها بعض البساتين .

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَهَبَ لَكَ بَادِنَةَ بِنْتِ غِيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ ،
فَإِنَّهَا كَحُلَاءٍ ، سَمُوْعٌ ، نَسَجَلَاءُ ، خُمُصَانَةٌ ، هَيْفَاءُ (١)
إِنْ مَشَتْ تَشْتَتِ ، وَإِنْ جَلَسَتْ تَدْنُتِ ، وَإِنْ تَكَلَّمَتْ
تَغْنُتِ ، تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ ، فَخُلْدِيَّتُهَا كَالْإِنَاءِ
الْمَكْفَأِ .

فَرَوَى أَنَّ كَلَامَهُ بَلَغَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَمَنْعَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ .

* * *

(١) خُمُصَانَةٌ هَيْفَاءُ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ، دَقِيقَةُ الْخَاصِرَةِ .

الباب الخامس عشر

نَوَادِرُ جَمْعَا (١)

حَكَى الْجَاهِظُ أَنَّ اسْمَهُ نُوحٌ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْغُصْنِ ،
وَأَنَّهُ أَرَبِيٌّ عَلَى الْمِثَّةِ .

نَمَّ أَدْرَكَ أَبَا جَعْفَرٍ ، وَنَزَلَ الْكَوْفَةَ .

قِيلَ لَجَمْعَا : أَتَعْلَمَتَ الْحِسَابَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَمَا
يُشْكِلُ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ . قَالَ لَهُ : اقْسِمِ أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ
عَلَى ثَلَاثَةٍ . فَقَالَ : لِرَجُلَيْنِ دِرْهَمَانِ ، دِرْهَمَانِ ، وَلَيْسَ
لِلثَّلَاثِ شَيْءٌ .

وَأَرَادَ الْمَهْدِيُّ أَنْ يَعْثُرَ بِهِ فِدْعًا بِالنَّطْعِ (٢) وَالسَّيْفِ ،

(١) فِي كِتَابِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ شَخْصِيَّتَانِ عُرِفَتَا بِالنَّوَادِرِ وَالْمَلْحِ . وَكُلٌّ
مِنْهُمَا يُسَمَّى جَمْعَا : الْأَوَّلَى جَمْعَا الْعَرَبِيَّ وَالثَّانِيَةَ جَمْعَا الْتُرْكِيَّ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ
مُؤَرِّخُو الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي إِثْبَاتِ شَخْصِيَّةِ جَمْعَا الْعَرَبِيِّ نَظَرًا لِكثْرَةِ مَا رُوِيَ عَنْهُ
مِنْ نَوَادِرٍ تَخْتَلِفُ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَفِي الدَّلَالَةِ عَلَى ذِكَايَةِ الْخَارِقِ ، أَوْ
عَلَى غِبَائِهِ الْمَفْرُطِ ، أَوْ عَلَى غَفْلَتِهِ وَحِمَقِهِ .

(٢) النَّطْعُ : بَسَاطَةٌ مِنْ الْجِلْدِ .

فلما أوقَعِدَ في النُّطْع ، وقام السيِّافُ على رأسه وهزَّ سيفه ، رفع إليه رأسه . فقال : انظرُ لا تُصيبَ محاجمي (١) بالسَّيفِ ، فإنِّي قد احتجمتُ . فضحك المهديُّ وأجازَه .

وماتت لأبيه جاريةٌ "حبشية" : فبعث به إلى السُّوق ليشتري لها كفنًا ، فأبطأ عليه حتى أنفذ غيره ، وحمل الكفنَ ، وحملت جِنَازَتُها ، فجاء جُحًا - وقد حُمِلَتْ - فجعل يعدو في المقابر ، ويقول : رأيتُ جنازة جارية حبشية ، كفنُها معي ؟

وجمحت به بغلةٌ يومًا ، فأخذت به في غير الطريق الذي أرادَه ، فلقيه صديقٌ له . فقال : أينَ عِزمتَ يا أبا الغُصْنِ ؟ فقال : في حاجةٍ للغُلاةِ .

ومرت به جنازةٌ ، فقال : بارك اللهُ لنا في الموت وفيما بعدَ الموتِ . فقيل : إنها جنازةُ نَصْرانيٍّ . فقال : إذنْ لا بارك اللهُ لنا في الموتِ ، ولا فيما بعدَ الموتِ .

(١) المراد بها مكان الحجامة عند جحا .

وصلّى يقوم ، وفي كُفَّه جَرُّوْ كَلْب ، فلما
ركع سقط الحرو ، وصاح ، وتنحنح الناس . فالتفت
إليهم ، وقال : إنّه سلوقي^(١) عافاكم الله .

وحمل جرّة خضراء إلى السوق يبيعها . فقالوا :
هي مثقوبة . فقال : ليس تسيل ، فإنّه كان فيها قطن
لوالدي . فما سال منه شيء .

وأعطاه أبود درهماً يزنه ، فطرحه في الكفة ،
وطرح في الكفة الأخرى سنجة درهمين ، وهو يحسبهما
سنجة درهم ، فلم يستويّا ، فطرح سنجة الدرهم
على رأس الدرهم ، فكان أقل ، فطرح حبتين أيضاً ،
ثم قال لأبيه : لبس فيه شيء ، ويتنقص حبتين .

ونظر يوماً إلى السماء ، فقال : ما أخافها بالمطر
لو « كان » متغيمة .

ورأوه يوماً في السوق يعدو فقالوا : ما شأنك ؟
قال : مرّت بكم جارية رجل مخضوب اللحية ؟
واجتاز يوماً بباب الجامع فقال : لِمَنْ هذا القصر ؟

(١) سلوقي : نوع من الكلاب غالي الثمن .

قالوا له : هذا مسجدُ الجامع . قال : رحيمَ اللهُ جامعاً .
ما أحسنَ ما بنى مسجده ؟ ؟

وذهبتُ أمُّه في عرس . وتركتهُ في البيت ، وقالتُ
له : احفظِ البابَ . فجلسَ إلى الظهر . فلما أبطأتُ عليه
قامَ ، فقامَ البابُ ، وحمله على عاتقيه .

ومأتُ خالتيه ، فقالوا : اذهبْ ، واشترِ لها
حنوطاً (١) . فقال : أخشى ألاَّ ألحقَ الجنازةَ .

وتبخَّرَ يوماً فأحرقَتْ ثيابه . فقال : واللهِ لا تبخرتُ
أبداً إلاَّ عُرْياناً .

* * *

(١) الحنوط - كعبور : كل طيب يخلط للميت .

الباب السادس عشر

نَوَادِرُ أَشْعَبِ (١)

كان يقول : كلُّني كالبُ سَوءٌ ، يبصبصُ للأضياف
وينبجُ أصحابُ الهدايا .

وأشعبُ هذا هو الموصوف بالطمع . وقيل له : ما بلغ
مِنْ طمعك ؟ قال : لم تقُلْ هذا إِلَّا وفي نفسك خيرٌ
تصنعه لي .

ومِنْ عجيب أخباره أنه لم يمت شريفٌ قط من أهل
المدينة إِلَّا استعدى (٢) أشعبُ على وصيِّته ، أو وارثه ،
وقال له : احلف أنه لم يُوصِ لي بشيء قبل موته .
وقيل له : لقد لقيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله

(١) أشعب : هو أشعب بن جبير . ولد سنة تسع للهجرة ومات في
أيام المهدي ، وكان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان
أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة ، وكان من القراء حسني الصوت ، وكان
قد نُسك وغزا وروى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

(٢) استعدى : استعان ، واستنصر .

عليه وسلم ، فلو حَفِظْتَ أَحَادِيثَ تَتَحَدَّثُ بِهَا؟؟ قَالَ : أَنَا
أَعْلَمُ النَّاسَ بِالْحَدِيثِ . قِيلَ : فَحَدِّثْنَا . قَالَ : حَدَّثَنِي
عِكْرَمَةُ (١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : خَلَّيْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ
فِي مَوْمنٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ . ثُمَّ سَكَتَ . قِيلَ لَهُ : هَاتِ ،
مَا الْخَلَّتَانِ ؟ قَالَ : نَسِي عِكْرَمَةُ إِحْدَاهُمَا ، وَنَسَيْتُ
أَنَا الْآخَرَى .

قَالَ بَعْضُهُمْ : قُلْتَ لَهُ : لَوْ تَحَدَّثْتَ عِنْدِي الْعَشِيَّةَ ! !
فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ يَجِيءَ إِنْسَانٌ ثَقِيلٌ : قُلْتُ : لَيْسَ مَعَنَا
ثَالِثٌ . فَمَضَى مَعِيَ . فَلَمَّا صَلَّيْتُ دَعَوْتُ بِالْعِشَاءِ ،
فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَ صَدِيقٌ يَدُقُّ الْبَابَ ، فَقُلْتُ أَشْعَبُ :
تُرى قَدْ صِرْنَا إِلَى مَا نَكْرَهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : عِنْدِي
فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ لَا يُكْرَهُ مِنْهَا خِصْلَةٌ ، فَإِنْ كَرِهْتَ
وَاحِدَةً لَمْ أَذَنْ لَهُ . قَالَ . هَاتِ . قُلْتُ : أَوَلَاهُنَّ أَنَّهُ
لَا يَأْكُلُ . فَقَالَ التَّسْعُ الْبَاقِيَةُ لَكَ . أَدْخِلْهُ .

وَكَانَ أَشْعَبُ لَا يُغَيِّبُ (٢) طَعَامَ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُمَرَ (٣) فَاشْتَهَى سَالِمٌ أَنْ يَأْكُلَ مَعَ بَنَاتِهِ . فَمَخْرَجَ إِلَى

(١) هُوَ عِكْرَمَةُ بْنُ عِمَارٍ الْيَمَامِيُّ رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ طَاوُسٍ وَجَمَاعَةٍ .

(٢) لَا يَغَيِّبُ : أَغْبَى الْقَوْمَ : جَاءَهُمْ يَوْمًا وَاتْرَكَ يَوْمًا .

(٣) هُوَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ مُعَاصِرًا لِعُمَرَ بْنِ

عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بُسْتَان له ، فجاء أشعب فـخُبِرَ بالقصة ، فاكتسرى جملاً
بدرهم . فلما حاذى حائط البستان . وثب ، فصار عليه
فخطى سالمُ بناتيه بثوبه . وقال : بناتي بناتي . فقال أشعبُ :
إنك لتعلم « ما لنا في بناتك من حقٍّ وإنَّك لتعلم
ما نريد » (١) .

قيل : بغت أمُّ أشعب ، فضربت ، وحلقت ،
وحملت على بعير يُطاف بها ، وهي تقول : من رآني
فلا يزني . فأشرفت عليها ظريفةٌ من أهل المدينة . فقالت
لها : إنك لمطاعةٌ ! ! هانا الله عنه ، فما ندعه ، وندعه
لقولك ؟ ؟

كان زياد بن عبد الله الحارثي عاصي شرطة المدينة ،
وكان مبهضلاً على الطعام فدعا أشعب في شهر رمضان
ليفطر عنده ، فقدمت إليه في أول ليلة بصائية معتمودة ،
وكانت تعجبه ، فجعل أشعب يُسمع فيها - وزياد
يلامحه - فلما فرغوا من الأكل قال زياد : ما أظنُّ

(١) مقتبس من الآية « وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك

لتعلم ما نريد » سورة هود : ٧٩ .

أن لآهل السّجن إِمَاماً يَصَائِي بِهِمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَالْيُصَلِّ بِهِمْ أَشْعَبُ . فَقَالَ أَشْعَبُ : لَوْ غَيْرَ ذَلِكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - ؟ قَالَ : وَمَا دُنُو ؟ قَالَ : أَحْلِفُ أَنِّي لَا أَذُوقُ بِصَيَّيَّةً أَبَداً . فَمَضَجَلَ زِيَادٌ ، وَتَغَافَلَ عَنْهُ .

قَالَ أَشْعَبُ : جَاءَتْنِي جَارِيَةٌ بِدِينَارٍ ، وَقَالَتْ هَذِهِ وَدِيعَةٌ عَنْكَ . فَمَجَعَلْتُهُ بَيْنَ ثِيَابِي الْفَرَّاشِ . فَجَاءَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَقَالَتْ : يَا أَبَاي . الدِّينَارَ . فَقَالَتْ : أَرْفَعِي الْفَرَّاشَ . وَخُذِي وَلَدَهُ . وَكُنْتُ تَرَكْتُ إِلَى جَنْبِهِ دِرْهَمًا . فَتَرَكْتُ الدِّينَارَ ، وَأَخَذْتُ الدِّرْهَمَ وَعَادْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ فَوَجَدْتُ مَعَهُ دِرْهَمًا آخَرَ ، فَأَخَذْتُهُ .

وعادت في الثَّالِثَةِ كَذَلِكَ . فَلَمَّا رَأَيْتُهَا فِي الرَّابِعَةِ بِكَيْتٍ . فَقَالَتْ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَتْ مَاتَ دِينَارُكَ فِي النَّفَّاسِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ يَكُونُ لِلدِّينَارِ نِفَاسٌ ؟ ؟ قَالَتْ : يَا فَاسِقَةٌ تُصَدِّقِينَ بِالْوِلَادَةِ ، وَلَا تَصَدِّقِينَ بِالنَّفَّاسِ ! ! !

سَمَّى سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو أَشْعَبَ عَنْ طَمَعِيهِ ، فَقَالَ : قَالَتْ لِصَبِيَّانِ مَرَّةً : اذْهَبُوا . هَذَا سَالِمٌ قَدْ فَتَحَ

بيتَ صدقةَ عمرَ حتَّى يُطعمكم تمرّاً . فلمّا احتبسوا
ظننتُ أنه كما قلتُ لهم فغلبتُ في أثرهم .
وقيل له : ما بلغ من طعمك ؟ قال : أرى دُخانَ
جاري فأتُّردُ (١) .

وقيل له أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : لم أر
اثنين قطُّ يتسارَّانِ إلّا ظننتُ أنهما يأمرانِ لي بشيء .
وقيل أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ
عروساً بالمدينة تُزفُّ إلّا كنتُ بيتي ، ورششته طمعاً
في أن تُزفَّ إليّ .

ووقف على رجل نحيزُراني — وكان يعمل طبّقاً —
فقال له : وسّعْه قليلاً . قال النحيزُراني : وما تُريدُ
بذلك ؟ كأنّك تُريدُ أن تُشترّيه ؟ قال : لا ، ولكن
يُشترّيه بعضُ الأشرافِ ، فَيُهدي إليّ فيه شيئاً .

” ” ”

(١) أترد : ترد الخبز فتة .

الباب السابع عشر

نَوَادِيرُ السُّؤَالِ

قال بعضهم : رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزياتين - وهم أنصبُّ (١) من في الأرض - يسأل ، ويقول : تصدَّقوا عليَّ حبباً وكرامةً لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . وليس يلتفتُ إليه أحد ، ولا يُعطيه شيئاً . فدفعْتُ إليه درهماً ، وقلتُ في نفسي : إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء ، وبُغضهم لعليٍّ - عليه السلام - فأخذ الدرهم مني ، وقال : يا صاحبَ الصدقة ، إن كنتَ تصدَّقْتَ بها عليٍّ وفي قلبك بُغضٌ لأبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وفلانٍ ، وفلانٍ ومعاويةَ نحالِ المؤمنين رديفِ المصطفى ، وكاتبِ الوحي فقطعَ اللهُ يديكَ ورجليكَ وأُغمي عَيْنُكَ .

قال : فأخذتهُ الدراهمُ من كلِّ جانبٍ ، وبقيتُ أنا متحيراً . ثم مضى فاحفظته . فعلم ما في قلبي . فقال

(١) نصب : احتال.

يَا فَتَى . عَلَى رَسَائِكَ !! عِنْدَكَ أَنْ هَؤُلَاءِ الْقَرَانِيَّةَ (١)
لَا يَصْدَقُونَ عَلَيَّ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ .

جاء سائلٌ إلى قوم فسألهم ، فردّوا عليه ، وألح
عليهم فردّوا . فَأَلَحَّ ، فمخرجٌ إليه بعضهم فقال : عَافَاكَ
اللَّهُ . أَمَا سَمِعْتَ الرَّدَّ ؟ قال : ولكنكم غَمَمْتُمُونِي
فأردفُ أنْ : أَغَمَّتْكُمْ يَا قَرَانِيَّةُ .

أَعْطَيْتِ سَائِلٌ كَسْرَةً صَغِيرَةً . فقال : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ
تَمَّهَا لُقْمَةً .

قال بعضهم : رَأَيْتُ بِبَغْدَادٍ مَكْفُوفًا يَقُولُ : مَنْ أَعْطَانِي
حَبَّةً سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَوْضِ عَاسِي يَسَدِّ مَعَاوِيَةَ . فتبعته
حتى نَحَلْتُ بِهِ ، واطْمَأْنَنْتُهُ ، وَقُلْتُ : يَا كَذَا (٢) ،
عَزَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْخَوْضِ . فقال : أَرَدْتُ أَنْ
أُسْقِيَهُمْ بِحَبَّةٍ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟
لَا ، وَلَا كَرَامَةً .

(١) القرائنة : المفرد قرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) يَا كَذَا : كناية عن مناداته بلفظ قبيح ..

سأل أبو فرعون رجلاً ، فمنعه . فألح عليه فأعطاه
 فقال : اللهم اخزننا وإيتناهم . نسألهم لـلخافاً ، ويعطوننا
 كثرها ، فلا يُبَارِكُ اللهُ لنا فيها ، ولا يأجرهم عليها .
 وقف سائل على باب ، فقال : يا أهل الدار . فبادر
 صاحب الدار قبل أن يسمَّ السائل كلامه ، وقال : صنعَ
 اللهُ لك . فقال السائل : يا بنَ البَطْراءِ كُنْتَ تصبرُ حتى
 تسمعَ كلامي عسى جئتُ أدعوك إلى دعوة .

وقف أعرابيٌّ سائلٌ على باب ، وسأل . فأجابه رجلٌ :
 ليس ها هنا أحدٌ . قال : إنَّك لأحدٌ أو جعلَ اللهُ فيك
 بركةً .

قال الجهمَّازُ (١) : سمعتُ سائلاً يقول : مَنْ يعطيني
 حبیباً لأَمِينين : جبريل ومعاوية ؟
 وكان آخر يقول مَنْ يعطيني قطعةً حبیباً لهندِ (٢)
 حمادة النسي .

(١) الجهمَّاز : هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد عطاء بن ياسر
 وكان من أحدى الناس حكاية وأكثرهم نادرة .

(٢) هي هند أم معاوية ، وزوج أبي سفيان وقد تزوج الرسول -
 عليه السلام - ابنتها أم حبيبة .

ووقف سائلٌ بباب (المافروخي) عاملِ الآهواز ،
وسأل فأعطوه لقمةً منْ خُبْزٍ ، فسكتَ ساعةً ، ولم
يبرحْ . ثم صاحَ ، وقالَ : هذا الدواءُ لآتي شيءٌ
ينفعُ عني ؟ وكيف آخذُه ؟

وقف سائلٌ على باب قوم فقال : تصدَّقوا عليَّ فإنني
جائع . قالوا : لم نخبِزْ بعدُ . قال : فكفَّ سويِّقٌ ؟
قالوا : ما اشترينا بعدُ . قال : فشربةَ ماءٍ فإنني عطشانٌ .
قالوا : ما أتاانا السقاء بعدُ . قال : فيسيرَ دُهْنٌ أضبعُه على
رأسي . قالوا : ومنْ أين لنا الدهنُ ؟ فقال : يا أولادَ
الزَّنى ، فما قعودُكم ها هنا ؟؟ قومُوا وسألوا معي .

وقف سائلٌ على باب دارٍ فقال : تصدَّقوا عليَّ .
فقالو جاريةٌ من الدار : ما عندنا شيءٌ نعطيكَ ،
وسيتي في المأتم . فقال السائلُ : أيُّ مأتم أعظم منْ
مأتمكم إذا لم يكن عندكم شيءٌ ؟؟

وقف آخر بباب فقال : أوسعُوا عليَّ ١٤ رزقكم
اللهُ فإنني في ضيقٍ . فقال صاحبُ الدار : إن كنتَ
في الدهليز في ضيقٍ فادخل الدار فإنه أوسع لك فقال
السائل : إنما قلت : تأمر لي بشيء . قال : قد أمرتك
أن تشتري لابني قلنسوة .



الباب الثامن عشر

نِوَادِرُ الْمَعْلَمِينَ

قال بعضهم : مررتُ ببعضِ سِيكَاكِ البصرةِ وإذ
معائِمٌ قد ضربَ صبيّاً ، وأقام الصبيانَ صَنّاً ، وهو
يقولُ لهم : اقرؤوا . ثم جاء إلى صبيٍّ بجانبِ الصبيِّ الذي
ضربه ، فقال : قُلْ لهذا يقرأ ، فأنيّ لستُ أَكَلَمُهُ .

قال أبو عثمان : كان ابنُ شُبْرَمَةَ لا يقبلُ شهادةَ
المعلم ، وربّما قبلَ شهادةَ المؤدّب .

وكان يحيى بنُ أَكْثَمَ أسوأَ رأياً فيهم .

وكان السنائيُّ بنُ شاهكٍ لا يستحلفُ المكاريَ (١) ،
ولا الخائِكَ ، ولا الملاحَ ، ويجعلُ القولَ قولَ المدّعي
ويقولُ : اللهم إنيّ أَسْتَخِيرُكَ في الحَمّالِ ومعلّمِ
الكَتّابِ .

(١) المكاري : الذي يُوجِرُ الناسَ الدوابَّ يقال كراه مكاراة ،
وكراه : استأجره .

وصفَ بعضهم معلماً فقال : هو أفرهُ الناسِ
وصيفاً (١) ، وأكثر هُماً رغيماً .

قال بعضهم : مررتُ بمعلم وإذا صبيانُهُ يلعبون
ويقتتلون ؛ فقلتُ للمعلم : ما بالُ صبيانِكَ ليسوا
يتفرقون منك !! قال : وأنا أيضاً لستُ أفرقُ منهم .

قال : وقال غلامٌ لأبيه : لا أريد هذا المعلمَ .
فقال له أبوه : ما لك ؟ قال : يصنعُ بي أمراً عظيماً .
قال : يستخذمُك ؟ قال : أشدَّ مِن ذلك . قال :
فيضربُك ؟ قال : أشدَّ من ذاك . قال : فيعفجُك (٢) ؟
قال : أشدَّ مِن ذاك . قال : فأَيُّ شيءٍ ويلك يفعلُ بك ؟
قال : يأكلُ غدائي .

قال : كان معلمٌ يُقيمُ الصبيانَ صَنَتَيْنِ ، ويتكسى
صبيين بيديه ، ويقولُ : أربعةٌ وأربعةٌ : ستةٌ . فقلتُ
له : إذا كانَ أربعةٌ وأربعةٌ ستةً ، فكيف يكونُ ثلاثةٌ
وثلاثةٌ ؟ قال : صدقت . لم آخذُ جذره .

(١) هو أفره الناس وصيفاً : أحذقهم خادماً .

(٢) يعفج : يلوط .

وكان لأبي دواد المعلم ابنٌ ، فَمَرَضَ ، فلما فَرَغَ
قال : اغسِلوه . قالوا . لم يَمُتْ بعد . قال : إلى أن
يُفَرِّغَ من غَسَلِهِ ما (١) قد مات .

وقال شريكُهُ : تعلم الصبيانَ وعليك قميصٌ
جديدٌ فيسودونه عليك ؟ قال : قد اشتريتُ قطناً ، وقلت
لأهلنا : يغزلون قميصاً خَلَقاً (٢) .

قال : مروتُ يوماً بمعاصم — والصبيانُ يَحْذِفُونَ
عينَهُ بالقَصَبِ — وهو ساكتٌ فقلت : ويحك !!
أرى منك عَجَباً . فقال : وما هو ؟ قلتُ : أراك
جالساً والصبيانُ يَحْذِفُونَ عينَكَ بالقَصَبِ !! فقال :
اسكتْ : ودعهم . فما فرحني والله إلا أنْ يُصِيبَ
عيني شيءٌ ، فأريكَ كيفَ أنثِفُ لِحَى آبائهم .

كان بمحمدٍ معلّمٌ يُكَنِّي أبا جعفرٍ يتعاطى عِلْمَ
الحساب ، فصارتُ إليه يوماً امرأةٌ ، فقالتُ : يا أبا جعفر :

(١) (ما) هنا لا معنى لها ولعلها زائدة والمراد : إلى أن يتم غسله
يكون قد مات .

(٢) خلقاً : بالياء .

قفيرٌ دقيقٍ بشمانيّةٍ دراهمٍ كم يُصيّبني بأربعة دراهمٍ ؟
فقال لها ، بعد أن فكّرَ : في هذه المسألة ثلاثة أقوال :
أحدهما أن تُعطي الرجل أربعة أخرى ، وتأخذني
قفيزاً ، والآخر : لك قفيزٌ إلا بأربعة دراهم . والثالث :
تدفعين درهمين درهم ، وتأخذين مكشوك (١) مكشوك
حتى تستوفين (٢) .

وصار إليه ثلاثة « روز جارتين (٣) » قد أخذوا
أجرتهم درهمين فقالوا : يا أبا جعفر ، كيف نقتسم
الدّرهمن ونحن ثلاثة ؟ قال : أسقطوا منكم واحداً ،
واخذوا درهماً درهماً . قالوا : سبحان الله !! كيف
نُسقط أحداً وقد عميل ؟ قال : فزيلوا واحداً
واخذوا نصف نصف . قالوا : كيف نزيل فينا من لم
يعمل ويأخذ كراتنا ؟ قال : فخذوا نصفاً نصفاً واشتروا
بالبات تمرّاً . وكملوه .

(١) المكشوك - كتور - : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٢) في هذه العبارة من الخطأ النحوي ما هو ظاهر ويستوي في ذلك

عبارة المعلم وعبارة السائل

(٣) لفظ فارسي . واحله علم على نوع من العمال

وسألتها امرأة ، فقالت : أربعة أرطال تمر بدينارهم ،
كم يُصَيِّبُنِي بدائق ونصف ؟ فتكَّر ساعةً طويلةً .
وأدخلَ يديه تحت ذِيَالِهِ ، وجعلَ يحسِبُ بهذا ثم
أخرجَ يديه وقد جمعهما ، وقال : كُتْلَةٌ مثلُ هذه
كبيرةٌ .

قال بعضهم مررتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده ، وليس
عنده من الصَّبيانِ أحدٌ ، فقلتُ له : يا معلِّمُ ، ما فعل
صبيانُكَ ؟ فقال : خَلَفَ الدُّورَ يتصافَعُونَ . فقلتُ :
أريدُ أن أنظرَ إليهم . فقال : إن كان ولا بُدَّ فخطَّ رأسَكَ ،
لا يحسِبُونَا أنا فيصفَعُوكَ .

قال : ورأيتُ مُعَلِّمًا وقد جاء غلامان قد تعالَّقَ
أحدهما بالآخر ، وقال : يا معلِّمُ ، هذا عضوٌ أذُنِي .
فقال الآخرُ : واللَّهِ ما عضَضْتُهَا ، وإنَّما هو عضوٌ
أُذُنِ نَفْسِيهِ . فقال له المعلم : يا بنَ الحَبِيْثَةِ . صار
جَمَلًا حتَّى يعضُّ أذنَ نَفْسِيهِ ؟

وقال : رأيتُ مُعَلِّمًا بالكوفةَ - وهو شيخٌ مخضوبُ
الرَّأسِ واللِّحْيَةِ - وهو يجلسُ يبكي فوقَّتْ عليه ،

وقلتُ : يا عمّ : مِمّ تبكي ؟ فقال : سرقَ الصبيانُ
نخبُزي .

قال : وسمعتُ معلّمًا وهو يقرئُ صبيًّا « (وما
أمرُنا إلا واحدةٌ كسالمحٍ بالبَصَرِ) » (١) والصبيُّ يقولُ :
كأحم بالبَصِلِ فقال له : يا فاعلُ ، أحسبُك تشتهي
بصليّةً .

قال : وقرأ صبيٌّ على معلّمٍ « (الذين يقولون لا تُنفقُوا
على مَنْ عند رَسُولِ اللَّهِ) » (٢) فقال المعلمُ : من عند
أبيك القرّنانِ (٣) أولى ؛ فإنه كثيرُ المالِ يا بنَ الفاعلةِ ،
هو ذا ٩٩ تُلزِمُ النبيَّ نفقةً لا تُجيبُ عليه . أعجبك
كثرةُ ماله ٩٩

قال : ورأيتُ معلّمًا وقد جاء صبيٌّ ، فصفّعه صفعةً
محكمةً . فقال له المعلمُ : أيّها أصْلَبُ : هذه أم
التي صفّعتُك أمسَ ؟

(١) سورة القمر : ٥٥ .

(٢) سورة (المنافقون) ٧ وأولها « هم الذين يقولون » .

(٣) القرّنان : الديوث المشرك في قرينته .

قال : وكان بالمدينة معلّم يُفترط في ضربِ الصبيان ،
ويشتمهم . فلاموه على ذلك ، فسألني أن أقعدَ عنده ،
وأشاهدَ حاله معهم ، فقعدتُ عنده ، فإذا بصبيٍّ يقول :
يا معلّمُ : « (وإنّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدينِ) » (١)
فقال : عليك وعلى أبويك .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلّم : « (فانخرجُ منها فانك
رجيمٌ) » (٢) قال : ذاك أبوك الكشخّانُ (٣) .

وجاء آخر ، فقال : يا معلّم : « (إني أريد أن
أنكحك) » (٤) قال : انكح أمّك الفاعلة .

وقال آخرُ : يا معلّمُ : « (ما لنا في بَسَنَاتِكَ من
حقٍّ) » (٥) قال : لا ، ولا كرامةَ . فلا يزالُ معهم في
مثل هذا وهو يَضْرِبُهُمْ ، وَيُزْنِئُهُمْ (٦) .

(١) سورة الحجر : ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٣٤ وأولها : « قال ... »

(٣) الرجل الكشخان : الديوث .

(٤) سورة القصص : ٢٧ . وقرأها أنكحك بفنح الهمزة .

(٥) سورة هود : ٧٩ وأولها « قالوا لقد علمت » .

(٦) يزنيهم : يقدفهم بالزنا .

قال : ومررت بمعلم وقد جاء صبي صغير ، فصفحه .
فقلت له : لِمَ تَدَعُ هذا الصبي يَجْتَرِيْءُ عليك ؟ فقال :
دعهُ فإني أشكوه غدا إلى أبيه .

واستفتح غلامٌ ، فقال : يا معلم «(إن أبي يَدْعوكَ)» (١)
فقال : هَاتُمْ (٢) نَعْلَيْ . فقال الغلامُ : إنما استفتحتُ .
فقال : قد أنكرت أن يُفْلِحَ أبوك .

قال معلم الغلام : قُلْ «(قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا .
وقد خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)» (٣) . فقال : وقد داس مَنْ
نَجَّاهَا . فام يزل يكرِّرُ ذلك عليه إلى أن أَعْيَيْتَهُ الْعِلَّةُ .
فقال المعلم : وقد داسَ مَنْ نَجَّاهَا . فقال الغلامُ «(وقد
خابَ مَنْ دَسَّاهَا)» . فقال المعلم لأبيه : وقد قلتُ لك
إنه لا يُفْلِحُ .

* * *

-
- (١) سورة القصص : ٢٥ .
(٢) الصحيح نحووا : هاتوا .
(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ .

الباب التاسع عشر

نَوَادِرُ الصَّبِيَّانِ

قال رجلٌ لابنه : ما أراك تَفْلَحَ أبداً : فقال الابنُ :
إلاَّ أنْ يرزقني اللهُ مؤدَّباً غيرَكَ .

قال بعضهم : أحضرتُ لتعليم المعتزِّ — وهو صغيرٌ —
فقات له : بأيِّ شيءٍ تَبْدَأُ اليوم ؟ فقال : بالانصرافِ .

قال بعضهم : رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً ،
ويذكرُ حقَّه عليه . فقال الصبي : يا أبتَه إنَّ عَظِيمَ حَقِّكَ
عليَّ لا يُبْطَلُ صغيرَ حَقِّي عليك ، والذي تَمَتُّ به
إليَّ أمتٌ بِمِثْلِهِ إليك ، وليست أقولُ : إنا سواءٌ ، ولكن
لا يَجْمَلُ الاعتداءُ .

عُرْبَاءُ (١) غلامٌ على قومٍ ، فأراد عمُّه أنْ يعاقبه ،
ويؤدِّبَه ، فقال له : يا عمُّ : إني قد أسأتُ ، وليسَ
معي عقلِي ، فلا تُسيءْ بي ومعَكَ عقلُكَ .

(١) العريضة : سوء الخلق .

ونظر دَمِيمٌ يوماً في المِراة ، وكان دَمِيماً ، فقال :
الحمدُ لله ، خالقني فأحسن خالقني وصورني فأحسن
صورتني ، وابنٌ له صغيرٌ ، يسمع كلامه . فلما خرجَ
سأله رجلٌ — كان بالباب — عن أبيه فقال : هو
بالبيت يكذبُ على الله .

كان الفتحُ بنُ خاقان — وهو صبي — بين يدي
المعتصم (١) ، فقال له ، وعرضَ عليه خاتمةً : هل
رأيتَ — يا فتحُ — أحسنَ من هذا الفصِّ ؟ قال :
نعم : يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه — والفتحُ صغيرٌ — فقال له : داري
أحسنُ أم دارُ أبيك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، دارُ أبي
مادمتَ فيه (٢) .

(١) المعتصم العباسي : هو ثامن خلفاء العباسيين ببغداد ، ويدعى أبا
إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي وقد حارب الروم وانتصر عليهم ،
وفتح صورية سنة ٢٢٣هـ وفي هذا الفتح نظم أبو تمام قصيدته المشهورة . وقد
توفي سنة ٢٢٧هـ .

(٢) أي في الدار ، والدار مؤنثة وقد تذكر .

قال ابنُ أبي ليلى : رأيتُ بالمدينة صبيّاً قد خرجَ من دار ، وبِيده عودٌ مكشوفٌ . فقلتُ له : غَطِّه لا ذُعِرْتَ . قال : أَوْ يُغَطِّيهِ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ ؟ لا تَكَلِّفْتُ .

قال البلاذُري : أدخِلَ الركاضُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرّشيد ليُعجِبَ من فطنته ، فقال له : ما تحبُّ أنْ أهَبَ لك ؟ قال : جميلَ رأيك فلاني أفوزُ به في الدنيا ، والآخرة ؛ فأمر له بدنانيرَ ودراهمَ فصُبَّتْ بين يديه . فقال : اختر الأَحَبَّ إليك . قال : الأَحَبُّ إلى أمير المؤمنين ، وهذا مِنُ هَذَيْنِ ، وضربَ يده إلى الدنانير فضحك الرّشيدُ ، وأمر أن يُضَمَّ إلى وَلَدِهِ ، ويُجَرَى (١) عليه .

اجتازَ عمرُ بنُ الخطّاب — رضي الله عنه — بصبيان يلعبون ، وفيهم عبدُ الله ابن الزبير فتهاربُوا إلّا عبدَ الله

(١) يجري عليه : أي يربّ له جارية : أي راتب .

فلإنه وقف . فقال له عمرُ : لِمَ لمْ تَتَفَرَّ مع أصحابك ؟
قال : لمْ يَكُنْ لي جُرمٌ فَاَفَرَّ منك ، ولا كان الطريقُ
ضيقاً فأوسَّعتهُ عليك .

* = *

الباب العشرون

نواذرُ للعبيدِ والمَماليكِ

ولى بعض الأمراء عَولىَ بعد غيبة طويلة فقال :
أنت في الأحياء بعد . فقال : وأنا أستخير أن أموت قبل
مولاي الأمير .

قال الدارمي (١) لغلامه : بأبي أنت وأُمِّي لو كان
العِتقُ مثلَ الطلاقِ لستَ رناتِ بواحاةٍ (٢) .

اعترض بعضهم غلاماً أرادَ شراءَه فقال يا غلام :
لِمَ اشتريتك تُفاح ؟ فقال : فإن لم تُشترِ .

قال أبو العيناء : اشترى للوائح (٣) عبدٌ فصيحٌ
من البادية ، فأتيناه وجعلنا نكتبُ عنه كلَّ ما يقولُ ،
فلما رأى ذلك مِننا قأب طرفه وقال : « إنَّ تُرابَ
قَعْرِهِا المَلْتَهَب » .

(١) هو مستكين الدارمي الشاعر .

(٢) يقصد أن العتق لا يتجزأ ولا ينفذ على مرات كالطلاق .

(٣) اللوائح : هو أحد خلفاء الدولة العباسية .

يقال ذلك للرجل يُسَرُّ الناسُ برؤيته لا نفعهم به
وأصل ذلك : أن الحافر يحفر فإن خرج التراب مُراً
علم أن الماء ملح وإن كان طيباً علم أن الماء عذب
فأنشط (١) وإذا خرج طيباً انتبه الصبيان .

اشترى بعض الهاشميين غلاماً فصيحاً فبلغ الرشيد
خبره ، فأرسل إليه يطلبه . فقال يا أمير المؤمنين : لم
أشتره إلا لك ، فأمساً وقف الغلام بين يدي الرشيد قال
له : إن مولاك قد وهبك لي . فقال الغلام : يا أمير
المؤمنين ما زلت ولا زلت .

قال : فسر . فقال : ما زلت لك وأنا في ملكك
ولا زلت عن ملكك ، فأعجب الرشيد به وقدمه .

قال أبو العيناء : مررت بسوق النخاسين (٢) بالبصرة ،
فلما غلامٌ يُنادى عليه ثلاثين ديناراً والغلامُ يُساوي
خمسمائة دينار ، فاشتريته وكنت أبنى داراً فدفعته إليه
عشرين ديناراً على أن يُنفقها ، فلم أزل أصكُّ عليه

(١) نبط الماء : نبع ، والمراد هنا : استنبط الماء وأخرجه .

(٢) النخاسة : تجارة الرقيق .

حتى أنفقَ نحوَ العشرة . ثم صمكتُ بشيءٍ آخر . فقال لي : فأين أصلُ المال ؟ قلت : ارفعْ إليَّ حسابك ، فرفعَ حساباً بعشرة دنانير . فقلت : فأين الباقي ؟

قال : اشتريت ثوبا مصمماً (١) وقطعته . قلت : من أمرك بهذا ؟

قال : إنَّ أهلَ المِرْوَآت والأَقْدَارِ لا يعيرون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعودُ زينةً عليهم . قال : فقلتُ في نفسي : اشتريتُ الأصمعيَّ وابنَ الأعْرَاجيِّ ولم أدرِ . وكانت في نفسي امرأةٌ أردتُ تزويجها فقلتُ يا غلامُ فيك خيرٌ . قال : وهل الخيرُ إلّا فيَّ . فقلتُ له : قد عزمْتُ على كذا . وتزوجتها ودفعتُ إلى الغلام ديناراً وقلتُ له : خذْ لنا سمكاً هازبياً (٢) ، فأبطأ واشترى مارماهي (٣) فأنكرت عليه خلّافي . فقال يا مولاي : فكثرتُ فإذا بقرّاطٍ (٣) يقول : الهازبُ يُولّدُ السّوداءَ والمارماهي

(١) الثوب المصمت : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٢) والهازبي : الشعباني .

(٣) السمك المارماهي : المعروف بالقرموط .

أقلُّ غائلةً . قلت : لا الذي بقراط أنت أم جالينوس (١)
وأدخلته البيت وضربته عشرةً ، فلما قام أخذني وضربني
سبعةً وقال يا مولاي : الأَدبُ ثلاثةٌ وسبعةٌ لها قِصاصٌ ،
فغاضني ورميته فشججته (٢) ، فمضى إلى ابنة عمي وقال
لها : « الدينُ النصيحةُ » وقال النبيُّ صلَّى الله عليه :
« من غشَّنا فليس منا » . وقال : « مولى القوم منهم » :
وأعلمك أن مولاي تزوج واستكتمني ، فلما
أعلمته أني مُعرفك ما فعلَ شجني ، فوجهتُ إليَّ
بنتُ عمي بغليمانٍ ، فبطِحتُ في الدار وضربتُ
وسمته النسيح ، فما كان يتهيأ لي كلامه . فقلت : اعتقه ،
فلعلَّه يمضي عني ، فلزمني والدُّ بي وقال : الآن وجبَ
حقُّك عليَّ ، ثم لِنَّه أرادَ الحجَّ ، فجهَّزته ، فغاب عني
عشرين يوماً ورجعَ فقمت : لم رجعتَ ؟ فقال : قُطِعَ
علينا وفكَّرتُ ، فإذا الله جل وعز يقول :

(١) بقراط وجالينوس : من أكابر الأطباء .

(٢) شجني : جرحني في رأسي .

«(وَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِهِ
سَبِيلًا)» (١) .

وَكُنْتُ غَيْرَ مُسْتَطِيعٍ وَإِذَا حَقَّكَ أَوْجِبُ عَلَيَّ
فَرَجَعْتُ ثُمَّ لِنَسِهِ أَرَادَ الْغَزْوَ فَجَهَّزْتُ ، فَلَمَّا صَارَ
عَلَى عَشْرَةِ فَرَاسِخَ بَعْتُ مَا كَانَ لِي بِالْبَصْرَةِ وَخَرَجْتُ
عَنْهَا خَوْفًا أَنْ يَرْجِعَ وَصَرْتُ إِلَى بَغْدَادِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : اسْتَعْرَضْتُ غَلَامًا فَقُلْتُ لَهُ : يَا غَلَامُ
تَحِبُّ أَنْ أَشْتَرِيكَ . فَقَالَ : حَتَّى أَسْأَلَ عَنْكَ .
أَعْتَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ (٢) غَلَامًا ، فَقَالَ الْغَلَامُ :
أَكْتُبْ كَمَا أُمَلِّي .

قَالَ : فَتَأْمَلِ . قَالَ : أَكْتُبُ : كُنْتُ بِالْأَمْسِ لِي ،
فَوَهَبْتُكَ (٣) لَنْ وَهَبْتُكَ لِي . فَأَنْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَ
صَرْتَ مِثْلِي فَكُتِبَ ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَهُ وَزَادَهُ خَيْرًا .

(١) سورة آل عمران : ٩٧ ، أَوْهَا « فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ » .

(٢) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ .

(٣) ضَمِيرُ الرَّفْعِ يَعُودُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

قال حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقِ الموصلي : كان لَأَبِي غَلامٌ
يَسْتَقِي الماءَ لمن في داره على بَغْلَيْنِ ، فانصرف أبي يوماً
وهو يَسْرِقُ البَغْلَ وقد قَرُبَ من الحوض الذي يَصُبُّ
فيه الماء . فقال : ما خبَرَكَ يا فَتْحُ (١) ؟ قال : تخبرني أَنَّهُ
ليس في الدَّارِ أَشَقَى مِنِّي ومَنَّا .

قال : وكيف ؟ قال : لَأَنَّكَ تُطْعِمُهُم الخُبْزَ وأنا
أَسْقِيهِم الماءَ ، فضحك منه وقال : فما تَحِبُّ أَنْ أَصْنَعَ
بِكَ ؟ قال : تَعْتَقِنِي وتَهَبُّ لِي هَذَيْنِ البَغْلَيْنِ ، ففعلَ ذلك .

* * *

(١) اسم الغلام .

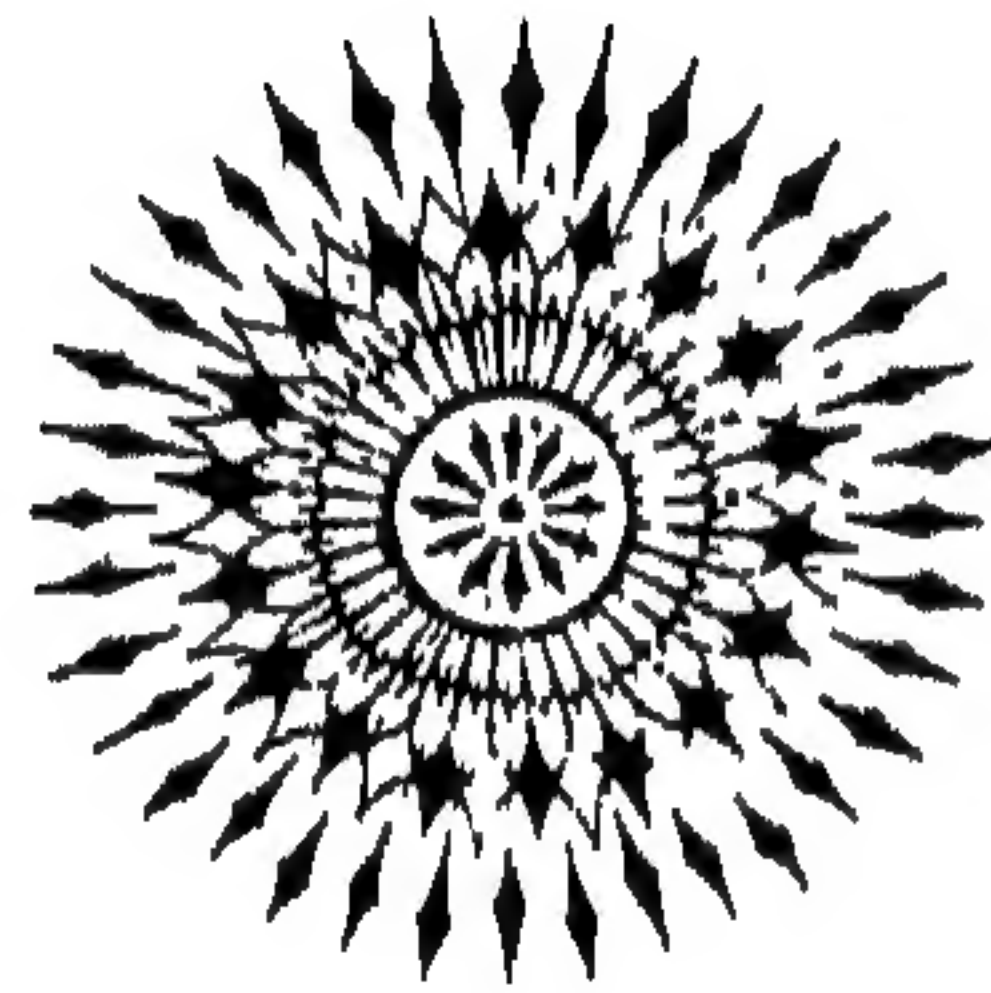
فهارس السفر الثالث

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الرابع :
٧	نكت من كلام الحكماء
٤٥	الباب الخامس :
٤٧	جنس آخر من الأدب والحكم وهو ما جاء لفظه الأمر و النهي
٦١	الباب السادس :
٦٣	جنس آخر من الحكم والأمثال والآداب وهو ما كان أوله « من »
٧٥	الباب السابع :
٧٧	في سياسة السلطان وأدب الرعية
٩١	الباب الثامن :
٩٣	نوادير للنساء المواجهن والجواري
٩٧	الباب التاسع
٩٩	نوادير القصاص
١١١	الباب العاشر :
١١٣	نوادير القصص لمن تقدم إليهم
١٢١	الباب الحادي عشر :
١٢٣	نوادير لأصحاب النساء والزناة والزواني
١٢٧	الباب الأول :
١٢٩	كلام زياد وولده
١٣٩	الباب الثاني :
١٤١	كلام الحجاج

الصفحة	الموضوع
١٥٣	الباب الثالث :
١٥٥	كلام الأحنف
١٦٥	الباب الرابع :
١٦٧	كلام المهلب وولده
١٧٣	الباب الخامس :
١٧٥	كلام أبي مسلم
١٧٧	الباب السادس :
١٧٩	كلام جماعة من الأمراء
١٩٣	الباب السابع :
١٩٥	فصول الكتاب والوزراء وتوقيعات ونكت من كلامهم ونوادير لهم
٢١٧	الباب الثامن :
٢١٩	نكت مستحسنة للقضاة
٢٥١٠	الباب التاسع :
٢٥٣	كلام الحسن البصري
٢٧٧	الباب العاشر :
٢٧٩	نكت من كلام الشيعة
٢٨٣	الباب الحادي عشر :
٢٨٥	كلام الخوارج
٣٠٣	مختصر الصاحب في الكشف عن مناهج أصناف الخوارج
٣٠٩	الباب الثاني عشر :
٣١١	الغلط والتصحيح

الموضوع	الصفحة
بعض ما أخذ على العلماء من التصحيح	٣٢٣
حروف و كلمات من المصحف الذي يستعمله الناس عمداً	٣٢٩
حروف و كلمات من المصحف عمداً لا سهواً	٣٣١
الباب الثالث عشر :	٣٣٣
نوادير من النحو واللحن	٣٣٥
الباب الرابع عشر :	٣٤٣
نوادير المختلئين :	٣٤٥
الباب الخامس عشر :	٣٥٣
نوادير جحا :	٣٥٥
الباب السادس عشر :	٣٥٩
نوادير أشعب	٣٦١
الباب السابع عشر :	٣٦٧
نوادير السؤال	٣٦٩
الباب الثامن عشر :	٣٧٣
نوادير المعلمين	٣٧٥
الباب التاسع عشر :	٣٨٣
نوادير الصبيان	٣٨٥
الباب العشرون :	٣٨٩
نوادير للعبيد والمماليك	٣٩١

1997/0/1 5 0...



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار المهيبة ما يعادل
٤٥٠ ل. ص.

سعر النسخة داخل القطر
٢٢٥ ل. ص.